وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الدرس الصوتي في الأندلس بيـــن علماء التجويد وعلماء اللغة
(دراسة موازِنة)

رسالة تقدّمت بها الطالبة
صبا فريد برتو

إلى مجلس كلّيّة الآداب – جامعة بابل

وهي جزءٌ من مُتطلّبات نيل شهادة الماجستير في آداب اللّغة العربيّة / اللّغة

بإشراف
الأستاذ الدكتورة
منى يوسف حسين الجعيفري

١٤٤٢هـ **٢٠٢١م**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

صدق الله العظيم

[طه/١٠٨]

الإهداء

إلى /

من شرّفني بحمل اسمه . . . . ورحل قبل أن يرى ثمرة غرسه . . . .والدي رحمه الله تعالى

نور عيني . . . .وأجمل ابتسامة في حياتي . . . .أمي الغالية

رفيق الدرب والكفاح . . . .زوجي الحبيب

أولادي . . .فلذات كبدي

من أمدّاني بالنصح والإرشاد . . .أختي الحنونة وزوجها العزيز

سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني . . . إخوتي وزوجاتهم الأحباء

كل من ساندني ولو بابتسامة

أهدي لكم هذه الثمرة حبًا ورفعًة وكرامًة

الباحثة

rawpixel

شكر وامتنان

أحمد الله تعالى كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السموات والارض على ما أكرمني به من إتمام هذه الدراسة التي أرجو أن تنال رضاه.

ثم أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى :

- عمادة كلية الآداب _ جامعة بابل المتمثلة بالدكتور صالح كاظم عجيل المحترم . . . وقسم اللغة العربية المتمثل بالدكتور حيدر غضبان محسن المحترم . . .والأساتيذ الافاضل الذين بذلوا جهدهم في توجيهي ورعايتي، فشرفت باللقاء بهم والتلقي عنهم.
- أستاذتي الفاضلة الدكتورة منى يوسف حسين . . .التي سعدت بإشرافها، فكان لعلمها الفياض وتوجيهاتها البناءة وروحها الطيبة وخلقها الكريم، الأثر الكبير في نفسي، فأشرفت ووجهت، وتابعت وراجعت ، فكانت وما تزال منارة للبحث تضئ جنباته ، فجزاها الله عني خيرا .
- الدكتور الفاضل حيدر فخري ميران . . .الذي كان نعم الموجه والمرشد طوال مدة الدراسة . . .أساله تعالى أن يمده بالصحة والعافية.
- الدكتور الفاضل صباح عطيوي عبود . . . والدكتور الفاضل فالح حسن كاطع . . . .لقد أنرتما دربي بالمعرفة والعطاء . .لن انسى فضلكما وجهدكما القيم.
- الدكتورة الفاضلة سوسن غانم قدوري حمد . . .لا استطيع أن أوفيك حقك. لك مني كل التقدير والثناء .
- الدكتور الفاضل جاسم محمد سلمان . . .الذي وجهني الى طريق العلم في تواضع رفيع وأخلاق سامية .
- الدكتور فراس سليم حياوي . . .الذي اسدى لي معروفاً فجزاه الله خير الجزاء .
- زملاء الدراسة وزميلاتي . . .أنتم نعم الاخوة والاخوات . . .وفقكم الله وافاض عليكم من رحمته. وأخص رفيقة الدراسة انتصار محمد بستان .
- منتسبي المكتبات التي راجعتها جميعهم . . .موصوًل للمكتبة المركزية في جامعة بابل . . .ومكتبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب . . لإثرائي بالمصادر والمراجع التي أغنت دراستي . فجزى الله الجميع عني خير الجزاء .
- أخواني وأخواتي في رئاسة جامعة بابل . . . لا أنسى الأيادي التي ارتفعت بالدعاء وشدّت علي يدي ورفعت حجرا أثقل كاهلي . . . فأشكر حُسن صنيعكم لي .

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٤
التمهيد : علماء التجويد بين التأثر والتأثير	٦-١١
أثر علماء العربية في علماء التجويد	٦-٨
أثر علماء التجويد في الدرس الصوتي	٩-١١
الفصل الأول : المنهج والمصطلح بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس	١٣-٥٥
المبحث الاول :المنهج الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس	١٣-٣٢
منهج علماء التجويد في الأندلس	١٣-٢١
منهج علماء اللغة في الأندلس	٢٢-٣٢
المبحث الثاني: المصطلح الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس	٣٣-٥٥
اولًا: مصطلحات أعضاء النطق	٣٣-٤٣
١.الرئتان	٣٤-٣٥
٢.الصدر	٣٥
٣.الحنجرة	٣٥-٣٦
٤.الحلق	٣٦-٣٧
٥.الحنك الاعلى	٣٧-٣٨
٦.اللسان	٣٨-٣٩
٧.الأسنان	٣٩-٤٠
٨.الشفتان	٤١

٩.الخياشيم	٤١-٤٢
١٠.الجوف	٤٢-٤٣
ثانيًا: مصطلح المخرج	٤٤
ثالثًا: مصطلحات صفات الأصوات	٤٥-٥١
الهمس والجهر	٤٥
الشدة والرخاوة والتوسط	٤٥-٤٦
الإطباق والانفتاح	٤٦-٤٧
الاستعلاء والاستفالة	٤٧
التفخيم والترقيق	٤٧-٤٨
القلقلة	٤٨-٤٩
التكرير	٤٩
التفشي	٤٩
الاستطالة	٥٠
الصفير	٥٠
الانحراف	٥٠-٥١
رابعًا: مصطلحات التركيب الصوتي	٥٢-٥٥
الإدغام	٥٢

الإدغام التام والإدغام الناقص	٥٢
الإدغام الكبير والإدغام الصغير	٥٣
الإبدال	٥٣
الإمالة والفتح	٥٣-٥٤
الروم والإشمام	٥٤
المدّ	٥٥
الفصل الثاني :مخارج الأصوات بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس	**٥٧-٨٦**
اولًا: الحلق	٦٠-٦٥
١- أقصى الحلق	٦٠-٦٣
٢- وسط الحلق	٦٣-٦٤
٣- ادنى الحلق	٦٤-٦٥
ثانيًا: اللسان	٦٥-٨٠
١- اقصى اللسان	٦٥-٦٧
٢- وسط اللسان	٦٧-٩٦
٣- حافة اللسان	٧٠-٧٢
٤- طرف اللسان	٧٢-٨٠
النون	٧٢-٧٤
الراء	٧٤-٧٥
الطاء والدال والتاء	٧٥-٧٧
الصاد والسين والزاي	٧٧-٧٩
الظاء والذال والثاء	٧٩-٨٠
ثالثًا: الشفتان	٨٠-٨٣

الفاء	٨٠-٨١
الباء والميم والواو	٨١-٨٣
رابعًا: الخياشيم	٨٣-٨٦
الفصل الثالث: صفات الاصوات بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس	٨٨-١٣٨
عدد الصفات وتصنيفها	٨٩-٩١
المبحث الاول :الصفات المميزة	٩٢-١٢٣
الجهر والهمس	٩٢-٩٥
الهمزة	٩٥-٩٦
القاف	٩٦-٩٨
الطاء	٩٨-٩٩
الشدة والرخاوة والتوسط	٩٩-١٠٦
الجيم	١٠٦-١٠٧
الضاد	١٠٨-١١٠
العين	١١١-١١٢
الاطباق والانفتاح	١١٢-١١٥
الاستعلاء والاستفالة	١١٥-١١٨
التفخيم والترقيق	١١٨-١٢٣
المبحث الثاني : الصفات المحسنة	١٢٤-١٣٨
القلقلة	١٢٤-١٢٧
التكرير	١٢٧-١٢٩
التفشي	١٢٩-١٣٢
الاستطالة	١٣٢-١٣٣
الصفير	١٣٤-١٣٦
الانحراف	١٣٦-١٣٨

الفصل الرابع :الظواهر الصوتية في التركيب الصوتي	١٤٠-١٨٩
الإدغام	١٤٠-١٤٤
اقسام الإدغام	١٤٥-١٥١
اولًا: الإدغام التام والإدغام الناقص	١٤٥-١٤٦
ثانيًا: إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين	١٤٦-١٤٨
ثالثًا: الإدغام الكبير والإدغام الصغير	١٤٨-١٤٩
رابعًا: القوة والضعف	١٤٩-١٥١
التأثير غير الشامل للأصوات عند علماء التجويد	١٥٢
أ. الجهر والهمس	١٥٢-١٥٤
ب. الاطباق والانفتاح	١٥٥-١٥٧
ت. الأصوات الانفية (الغنة)	١٥٧-١٥٩
الإبدال	١٦٠-١٦٦
الإمالة	١٦٧-١٧٣
الروم والإشمام	١٧٤-١٧٨
المدّ	١٧٨-١٨٥
الإشباع والاختلاس	١٨٦-١٨٩
النتائج	١٩١-١٩٣
المصادر والمراجع	١٩٥-٢٠٦

المسألة الأولى: أثر علماء العربية في علماء التجويد

لقد بذل علماء العربية جهودًا كبيرة في خدمة لغتهم، وتناولوا أصواتها بالتصنيف والتوصيف، رغم اعتمادهم على الملاحظة الذاتية. فقد احتفلت كتب التراث اللغوي بالمادة الصوتية، وإنْ لم يتناولوها لذاتها إنما لخدمة اللغة بمستوياتها اللغوية المختلفة.

عمد العرب –عند نزول القرآن– إلى حفظه وتلاوته بغية المحافظة عليه من التحريف، لذا كان الجانب النطقي من أهم وسائل حفظ القرآن الكريم، وهذا ما وضعه علماء العربية نصب أعينهم، فوصفوا قواعد لدراسة أصوات اللغة العربية وصفًا دقيقًا، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل علماء العربية الذين عنوا بدراسة الأصوات اللغوية في مقدمة كتابه (العين) وقد بدا الجهد الصوتي واضحًا عند سيبويه الذي استلهم أفكار الخليل وصاغها بشمولية أوسع وأكثر دقة، أما ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فقد اشتمل على دراسة صوتية مهمة استوعب فيها نتاج الخليل وسيبويه فوضع ما يشبه نظرية الصوت اللغوي ، إذ كانت نظرته للأصوات نظرة علمية دقيقة، أثارت اعجاب المستشرقين وعلماء اللغة الغربيين ، وعلماء اللغة من العرب أيضًا[١]. يقول د. محمد علي خيرات: (وقد قدم ابن جني دراسة وافية للصوت العربي في كتابه (سر صناعة الاعراب)، عرض فيها لجهاز النطق الإنساني وطبيعته ووظيفته، وقد وقف كثير من المحدثين أمام صنيعه مندهشين ومعجبين بما قرره ، موازنين ما تواصلوا إليه في دراستهم الحديثة مع ما قرره ابن جني؛ بما يؤكد سبقه في هذا المجال)[٢].

ويشار لجهود هؤلاء العلماء وغيرهم في دراسة الأصوات اللغوية بأنها من الإنجازات المتميزة في الدرس اللغوي، بتعليم الناطقين بالعربية أصول النطق الصحيح ، وتحذيرهم من الانحراف في النطق، وهي المهمة التي قام بها علم التجويد بعد ظهوره، إلا أن غاية علماء العربية من دراسة الأصوات كانت تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، أي لم تكن نظرتهم نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية[٣] فدراسة الخليل للأصوات في مقدمة كتابه العين غرضها المعجم وتنظيم الألفاظ عن طريق المجاميع والأبنية، وما تقديمه للأصوات إلا لتوضيح منهجه الذي سار عليه في الكتاب .

(١) ينظر: منهج البحث الصوتي عند العرب(بحث): ٥-٦.

(٢) أثر مخرج الحرف وصفته في تصريف الكلام(بحث) : ٣٠.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٤٥-٤٦.

أما سيبويه فارتبطت دراسته الصوتية بموضوع الإدغام، إذ قال:(وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالًا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك)[١].

وسار ابن جني في ذلك إذ قال في مقدمة كتابه: (وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها ... ثم أفرد، فيما بعد ، لكل حرف منها بابًا اغترق فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام ، ومن أصليته وزيادته، وصحته وعلته ، وقلبه إلى غيره ، وقلب غيره إليه)[٢].

أما أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) فقد حدد الغاية من الدراسة الصوتية عند النحاة بفائدتين ذكرهما المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) إذ قال في كتابه (بغية المرتاد لتصحيح الضاد):(قال الأستاذ أبو حيان في شرح التسهيل : إنما ذكر النحويون صفات الحروف لفائدتين: إحداهما لأجل الإدغام، ثم قال: والفائدة الثانية وهي الأولى في الحقيقة بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي ، فهو كبيان رفع الفاعل ونصب المفعول، فكما أن نصب الفاعل ورفع المفعول لحن ، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما روي من العرب في النطق بها لحن)[٣]. يقول الدكتور محمد علي خيرات: (جاءت عناية القدماء بالدراسات الصوتية مبكرة وأصيلة؛ لأنها بنيت على القراءات القرآنية، وقد سجل للعرب السبق في هذا المضمار، يقول برجشتراسر: لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أهل الشرق : الهنود والعرب)[٤].

لقد اعتمد علماء العربية في دراستهم الصوتية على ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة، وإمكانيتهم الشخصية، فلم تتوافر عندهم الآلة الحديثة من مرسمة الأطياف كما هو المعمول به الآن. ومع هذا فإنهم توصلوا إلى نتائج متقدمة في دراستهم وبحوثهم[٥] منها:

(١) الكتاب : ٤/ ٤٣٦.

(٢) سر صناعة الاعراب : ١/ ١٦-١٧-١٨.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٦-٤٧.

(٤) أثر مخرج الحرف وصفته في تصريف الكلمة(بحث) :٢٩.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية (عاطف فضل): ٥٥-٥٩.

١. وضع أبجدية صوتية للحروف العربية، وترتيبها على وفق المجاميع الصوتية عند الخليل في كتابه العين أولًا، ثم سيبويه، وبعده ابن جني عند تعقبهما الأصوات المفردة، ابتداءً من الأصوات الحلقية وانتهاءً بالأصوات الشفوية.

٢. عرّف القدامى معظم أعضاء النطق في جهاز التصويت.

٣. عيّنوا مخارج الأصوات على المدرج الصوتي، ولاعتمادهم على الملاحظة الذاتية، فلم تكن المخارج دقيقة كما هي عليه اليوم.

٤. صنّفوا الأصوات بحسب صفاتها فمنها؛ المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة.

٥. ذهبوا إلى تقسيم الحروف على صحيحة ومعتلة، وتقسيم أصوات العلة على قصيرة، وهي الحركات (الكسرة والفتحة والضمة)، وحروف المد الطويلة(الياء والألف والواو).

٦. فسروا كثيرًا من الظواهر الصوتية التي تحدث في سياق الكلام؛ كالإدغام والإبدال بما فيهما من تقريب ومضارعة أو قلب.

٧. توصلوا إلى إنتاج الأصوات التي يتم التحكم بها عن طريق تدفق الهواء في مجراها أو حجزها جزئيا أو انحباسه كليًا، ويتضح ذلك من تشبيه ابن جني لمجرى الهواء بالناي.

٨. انشغالهم بالقيمة التعبيرية للحرف العربي، وقد حاول ابن جني أن يثبت بكل ما أوتي من قدرة لغوية، أن هناك دلالة طبيعية للحرف العربي على المعنى.

قام علماء التجويد باستخلاص هذه المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة، وصاغوا منها علمًا جديدًا سمي بـ (علم التجويد)، ورغم اعتمادهم على جهود سابقيهم، إلا أن دراستهم الصوتية امتازت بالسمة الشمولية، بدراستهم آلة النطق ومخارج الأصوات وصفاتها ، درسوا الظواهر الصوتية التي تظهر في الكلام المنطوق، وتطرقوا الى عيوب النطق وعالجوها في دراستهم[١].

وجاء الدرس الصوتي في بدايته مختلطًا بالدراسات اللغوية والنحوية، إلا أنه تمتع باستقلالية أكثر لدى علماء التجويد ، الذين خصصوا للمباحث الصوتية المتعلقة بقراءة القرآن كتبًا ومباحث مستقلة[٢]، ومن هنا يتبين أثر علماء العربية بعلماء التجويد في تناولهم الدراسات الصوتية.

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١.

(٢) ينظر: المدخل الى علم أصوات العربية: ٩.

المسألة الثانية: أثر علماء التجويد في الدرس الصوتي

يعد علم الأصوات من أهم الجوانب التي تناول فيها العلماء القدامى دراسة اللغة ؛ لأنه بُنيّ عليه علم التجويد، فقد استخلص علماء التجويد المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءات، وواصلوا أبحاثهم الصوتية معتمدين على تلك المادة، وعلى الرغم من اعتمادهم على جهود سابقيهم، إلا أنَّ عملهم جاء متميزًا وشاملًا للدرس الصوتي، وساعد ذلك في ظهور علم جديد سمي بـ(علم التجويد)، إذ جمعوا ما كان مبعثرا من المباحث الصوتية في كتب النحو والصرف والقراءات، وألفوا كتباً مستقلة في علم التجويد.

فلم يعرف مصطلح (التجويد) إلا في حدود القرن الخامس الهجري، أي لم يعرف كتاب أُلِّف في هذا العلم قبل القرن الخامس الهجري، وهو ما أكده مكي القيسي قائلًا: (وما علمت أنَّ أحدًا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا الى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها)[١]، وقال الداني: (أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه)[٢]، لذا فإنَّ علم التجويد تأخر بالظهور بوصفه علماً مستقلاً بالنسبة الى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية إلى قرنين من الزمن[٣].

وأشار ابن الجزري إلى أنَّ أول من ألف في علم التجويد هو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني(ت: ٣٢٥هـ) في قصيدته الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية، إلا أنه لم يستعمل كلمة (التجويد)، وانما استعمل كلمة (حسن الأداء)، وهذا يدل على أن مصطلح التجويد لم يكن شائعا آنذاك[٤] وبعدها توالت الكتابات في التجويد، وأشهرها كتاب (الرعاية) لمكي بن أبي طالب القيسي، وكتاب(التحديد في الإتقان والتجويد) لأبي عمرو الداني، وكتاب(الموضح في التجويد) لعبد الوهاب القرطبي وغيرها من المؤلفات.

ويعد التجويد حلية التلاوة وزينة القراءة ، وإعطاء الحرف حقه ومستحقه، بإرجاعه إلى أصله من غير تعسف ولا تكلف، وهذا ما عرفه الداني بقوله: (فتجويد القرآن هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها

---

(١) الرعاية :٤٢.

(٢) التحديد:٦٧.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد :٣٨.

(٤) ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء :٣٢١/٢ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٧.

مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف)[١].

إنَّ علاقة علم التجويد بالدرس الصوتي علاقة وثيقة، تهدف إلى حسن تدبر القرآن، وحسن تحقيقه وتجويده، إذ تعتمد دراسة علماء التجويد على الصوت اللغوي في المستوى النظري والتطبيقي، وهذا ما ميزهم عن غيرهم، بأنهم يطبقون دراستهم النظرية على القرآن الكريم وقراءاته، لذا يمكن أن نصطلح على التجويد بـ(أصوات القرآن الكريم) وهذا ما ذهب إليه يوسف الخليفة أبو بكر عند تسميته مؤلفًا في التجويد بـ(أصوات القرآن كيف تتعلمها ونعلمها)[٢].

أما غاية علماء التجويد من الدراسات الصوتية فهو معالجة ما سموه بـ(اللحن الخفي)، ويعني الخلل الذي يطرأ على الأصوات لعدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، فلا يمكن ملاحظة اللحن الخفي إلا المقرئ الضابط المتقن في قراءة القرآن، أما (اللحن الجلي) فهو ميدان عمل النحويين والصرفيين، لأنه يعنى بالخطأ الظاهر في الحركات خاصة[٣]، إذن فإن سبب نشوء الدرس الصوتي هو خدمة القرآن الكريم وصيانته من اللحن ومحاولة معالجته وتصحيح النطق بالأصوات.

لقد تابع علماء التجويد ما جاء به علماء اللغة في موضوع المخارج والصفات ومنهم القيسي والداني[٤]، إلا أنّهم لم يكونوا ناقلين لكلام علماء العربية فحسب، وإنما كانت لهم زيادات متميزة ، قال براجشتراسر:(كان علم الأصوات في بدايته جزءًا من أجزاء النحو ، ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون ، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة ، مأخوذة من القرآن الكريم)[٥]، حتى صار علماء اللغة الذين جاءوا بعدهم ينقلون وجهات نظرهم، الذي يدل على الترابط والتكامل بين العلمين، كقول أبي حيان الأندلسي:(المخرج الثاني: وسط الحلق ،وهو للعين والحاء، وظاهر كلام سيبويه إنَّ الحاء بعد العين، وهو نص كلام مكي ابن أبي طالب، ويظهر من كلام المهداوي أنَّ العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شريح)[٦].

---

(١) التحديد:٦٩.

(٢) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٤-٥.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٧.

(٤) ينظر: الرعاية : ١١٣،٢٤٣-١٤٢، والتحديد: ١٠٤، ١٠٧.

(٥) التطور النحوي:١١.

(٦) ارتشاف الضرب من لسان العرب:١/٥.

ولما كان منهجهم منهجًا صوتيًا شاملًا ، فقد تناولوا في دراستهم كل الجوانب الصوتية، حتى أفاضوا فيها، كالتغيرات التي تطرأ على الصوت في أثناء النطق ، وأوضحوا حالات الإدغام والغنة، وفصّلوا القول في حالات الإمالة وبينوا أسبابها ، وعرفوا الوقف وذكروا أقسامه وأحكامه، وتناولوا ظاهرة المد وأنواعها وأحكامها وخصصوا فصولًا مستقلة في كتبهم لبحثها، فضلًا عن الظواهر الصوتية كالإعلال والإبدال والإشمام والإخفاء والإظهار وغيرها من المسائل التي تناولوها بالشرح والتفصيل الدقيق لما لها من علاقة وطيدة بعلم التجويد(١)؛لأنَّ أعمالهم امتازت بدراسة الجوانب التطبيقية، لذا جاءت استنتاجاتهم أكثر دقة، ونجحوا في رسم معالم علوم لم يزدْ عليها من جاء بعدهم الكثير، ولقد نهجوا في تعيين المخارج وصفاتها نهج اللغويين الأوائل كالخليل وسيبويه، إلا أنَّ مذهبهم يلائم رؤى علوم القراءة والتجويد(٢).

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٨٦-٤٩٠.

(٢) ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري (بحث):٧.

المقدّمة

الحمد لله من أول الدنيا إلى فنائها، ومن الآخرة إلى بقائها، الحمد لله على كل نعمة واستغفره من كل ذنب، وأصلي وأسلم على أفضل الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى صحبه المنتجبين ، ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإنَّ المعارف والعلوم من أشرف المطالب وأرفع المآرب، وعلوم اللغة العربية من أهمهما شأنًا وأرفعها منزلًة، لصلتها الوثيقة بكتاب الله تعالى، فهو الباعث المحفز لنشأتها، فعلم الأصوات واحد من تلك العلوم، وربما كان من أشرفها لصلته بالقرآن الكريم من جهة النطق والأداء والقراءة وتجويدها، فتجسدت مباحث الدرس الصوتي في علوم العربية من نحوٍ، وصرفٍ، وقراءاتٍ، وتجويدٍ. لذا كان لجل علماء العربية عامة ولعلماء التجويد واللغة في الأندلس خاصة إسهامات في ميدان الدرس الصوتي العربي.

ولم يكن من السهل عليّ اختيار موضوع يصلح للكتابة فيه؛ لأنني عندما تكونت لدَي الرغبة في أن يكون محور بحثي في الدراسات الصوتية كان من المبكر استحضار عنوان للرسالة فاقترحت علَي أستاذتي الفاضلة الدكتورة (منى يوسف حسين) فكرة الموضوع ، فبدأت بالتحري عنه قصد دراسته. فجمعت مؤلفات علماء التجويد واللغة في الأندلس حتى استقرَّ رأينا على عنوان هذه الرسالة الموسومة: بـ**(الدرس الصوتي في الأندلس بين علماء التجويد وعلماء اللغة – دراسة موازنة)**.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أنْ أقسمه على تمهيد وأربعة فصول، استهللناه بمقدّمة وذيّلناه بخاتمة. تناولت في التمهيد**(علماء التجويد بين التأثر والتأثير)** عالجت فيه مسألتين الأولى: أثر علماء العربية في علماء التجويد .والثانية: أثر علماء التجويد في الدرس الصوتي.

أما الفصل الأول **(المنهج والمصطلح بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس)** فيتضمن مبحثين، الأول: المنهج الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس. والثاني: المصطلح الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان **(مخارج الأصوات بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس)**. وقد قسمته على أربعة أقسام: مخارج الحلق، واللسان، والشفتين، والخياشيم.

في حين خصصت الفصل الثالث في موضوع (صفات الأصوات بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس) فشمل مبحثين: الأول الصفات المميزة، أما المبحث الثاني فتضمن الصفات المحسنة.

أما الفصل الرابع فقد خصصته لـ**(الظواهر الصوتية في التركيب الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة)** تضمن ست ظواهر وهي: (الإدغام، والإبدال، والإمالة، والروم والإشمام، وحروف المد، والإشباع والاختلاس).

أما المنهج الذي اتبعته فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يخلو من المعيارية في عرض الآراء ومناقشتها، فكنت أعرض رأي سيبويه الذي عُدّ القاعدة الأساسية التي أرتكز عليها ثم أقوم بعرض آراء علماء التجويد في الأندلس، وأعرج بعدها على آراء علماء اللغة في الأندلس، ثم أختتم باستعراض الآراء في الدرس الصوتي الحديث، مما يتيح لي المجال لمعرفة مدى تأثر اللاحقين بالسابقين .

أما المصادر التي اعتمدتها في البحث فقد توزعت على ثلاث فئات: الفئة الأولى الخاصة بعلماء التجويد واللغة في الأندلس ، وهم:

علماء التجويد:

١- **القيسي:** أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت: ٤٣٧هـ)، وقد اعتمدت كتابه الموسوم بـ **(الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)** فهو يبحث في أحكام تجويد القرآن، ويعد عمدة في علم التجويد، وكذلك تصوير المشكلات الصوتية والتجويدية ومعالجتها بوضوح. و**(الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)** الذي يبحث في علل القراءات وحججها ووجوهها، إذ وصفه مكي بأنه كتاب فهم وعلم ودراية[١]، فضلًا عن كتاب **(التبصرة في القراءات السبع)** الذي وصفه بأنه كتاب نقل ورواية[٢].
لقد توزعت آراؤه الصوتية بين هذه الكتب الثلاثة التي تعد في مجملها منهجًا صوتيًا متكاملًا، وهذا ما ألمح إليه القيسي في مقدمة كتابه الكشف، قائلًا:(كنت قد ألفت بالمشرق كتابًا مختصرًا في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وسميته كتاب التبصرة وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورين ، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ، ومقايس النحو في القراءات واللغات طلبًا للتسهيل، وحرصًا على التخفيف ، ووعدت في صدره أني سأؤلف في علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب وأذكر فيه حجج القراءات ووجوهها ، وأسميته كتاب الكشف عن وجوه القراءات)[٣]، وقال في باب معرفة

(١) ينظر: الكشف :٣٢

(٢) ينظر: المصدر نفسه:٣٢

(٣) المصدر نفسه :٣٢

الحروف القوية والضعيفة أيضًا:(قد شرحنا علل هذا كله وبيناه في كتاب الرعاية لتجويد القراءة فأغنى، وفيما ذكرنا كفاية لما قصدنا اليه)[١].

٢- **الداني:** أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت: ٤٤٤هـ)، وأهم كتبه التي اعتمدتها هي **(التحديد في الإتقان والتجويد)** الذي يربط بين علم التجويد وعلم الأصوات، و**(الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالة)**، التي تضمنت ألفين وستمئة بيت، حملت جوانب مهمة من الدراسات الصوتية.

٣- **القرطبي:** عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦١هـ) ، تناولت كتابه المعروف **(الموضح في التجويد)** الذي تضمن دراسة عميقة شاملة لأصوات اللغة العربية.

٤- **ابن الطحان:** عبد العزيز بن علي بن محمد (ت:٥٦١هـ)، تناولت كتبه الثلاثة **(الإنباء في تجويد القرآن)** الذي يتضمن جملة أصول من المادة الصوتية ينتفع منها أهل الأداء، و**(مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ)** وهو عبارة عن مقدمتين: الأولى: في التجويد تضمنت أربعة فصول، الأول: في مخارج الحروف. والثاني: في صفاتها. والثالث: في معاني هذه الصفات والرابع في مخارج الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفًا .أما الثانية: فتضمنت فصلًا واحدًا في أصول القراءة. وأما الكتاب الثالث فهو **(مخارج الحروف وصفاتها)**، وفيه إشارت لغوية وصوتية ولهجية ، مثلت المقدمة الأولى من كتاب (مرشد القارئ).

أما علماء اللغة فهم :

١- **ابن عصفور:** علي بن مؤمن والمعروف بابن عصفور الأشبيلي (ت : ٦٦٩هـ)، وأهم كتبه التي اعتمدتها هي **(المقرب)** و**(الممتع في التصريف)**، وهما في النحو والصرف، فيهما قضايا صوتية تتمثل بعدد الحروف، ومخارجها وصفاتها.

٢- **ابن مالك:** أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك الأندلسي(ت :٦٧٢هـ)، وأهم كتبه التي اعتمدتها هي **(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)**، وهو كتاب نحوي وصرفي، تضمن مادة صوتية مبثوثة في ثناياه.

٣- **أبو حيان:** محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، وأهم كتبه التي اعتمدتها هي **(ارتشاف الضرب من لسان العرب)** و**(النكت الحسان في شرح غاية الإحسان)**، ومادتهما الأساسية تدور حول الدراسات النحوية، ولبراعته في مجال اللغة والنحو والصرف. قال الصفدي: (كان إمام النحاة في عصره شرقًا وغربًا)[٢] ، إلا أنهما تضمنا مادة مهمة في الدراسات الصوتية أيضًا.

---

(١) الكشف :١٣٨

(٢) المدرسة النحوية في مصر والشام :٢٧٨

الفئة الثانية : كتب علماء العربية عامة، ومن أهمهما كتاب **(العين)** للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، و**(الكتاب)** لسيبويه(ت:١٨٠هـ)، و**(المقتضب)** للمبرد(ت:٢٨٦هـ)، و**(سر صناعة الأعراب)** لابن جني(ت: ٣٩٢هـ)، و**(النشر في القراءات العشر)** لابن الجزري(ت:٨٣٣هـ)، إلى غير ذلك.

الفئة الثالثة : كتب الأصوات الحديثة، ومن أهمها كتاب **(الدراسات الصوتية عند علماء التجويد)** للدكتور غانم قدوري الحمد، و**(الأصوات اللغوية)** للدكتور إبراهيم أنيس ، و**(المصطلح الصوتي)** للدكتور عبد العزيز الصيغ ، و**(منهجا الخليل وسيبويه)** للدكتور حيدر فخري ميران إلى غير ذلك من **الكتب والرسائل الجامعية والبحوث العلمية** في مجال الأصوات .

أما الصعاب، فإنَّ أيَّ إنسان يقوم بعمل ما، يواجه فيه بعض المعوقات والمشاكل، إلا أنه يسعى إلى الهدف، ويعمل ما يستطيع لتحقيقه، وبما أنَّ البحث واجب في استكمال درجة الماجستير، فإن الأمر لا يستدعي ذكر ما واجهني من صعاب. وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع ، وأنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فإن كنت مصيبًة فبمنّه تعالى وكرمه، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بشر أزل وأخطأ ؛ لأنَّ الكمال لله وحده.

...هذا والله الأمر من قبل ومن بعد...

الباحثـــــة

المبحث الأول

المنهج الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

منهج علماء التجويد في الأندلس :

جاء علماء التجويد بمنهج شامل للمباحث الصوتية، وهذا المنهج في تناول المادة الصوتية انفردوا به دون غيرهم، فلهم فضل السبق في وضع منهجية جديدة شملت كل جوانب الصوت اللغوي .ويقوم منهج علماء التجويد في الدراسة الصوتية على أربعة أُمور هي: أولًا :معرفة مخارج الحروف، ثانيًا: معرفة صفاتها، ثالثًا: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، وأخيرًا رياضة اللسان وكثرة التكرار[١]، لذا نجد الداني يقول: (اعلموا أنَّ قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها عن بعض ، وإنْ اشترك في المخرج)[٢].

وقد أولى علماء التجويد عناية كبيرة (برياضة اللسان وكثرة التكرار) فكانوا يعتمدون على التلقي بالمشافهة وتدريب اللسان على نطق الحروف وتوفيه حقوقها من المخارج والصفات حالة إفرادها وتوفيتها أَحكامها الخاصة بها عند تركيبها[٣]، إذ قال الداني: (وليس بين التجويد وتركه إلَّا رياضة من تدبره بفكّهِ)[٤].

بداية لا بد من الوقوف عند مكي القيسي لنتعرف بوضوح على موقفه من الدراسة الصوتية في كتابه **(الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)** فهو لا يقصد بهذه التسمية عنوان يعرف به كتاب أو يطلق على مؤلف، وإنَّما يقصد بكل كلمة معنى يبين غرضه وتشير إلى هدفه. وهو يريد أن يحقق في بحثه الذي طالت صحبته له قرابة الثلاثين سنة من الوصول إلى القراءة الجيدة والتلاوة الحقة لكتاب الله ، وكل ما يمت بصلة في تحقيق الأداء القرآني حتى لا ينحرف به أحد أو يصل فيه عن سبيل. فقد راعى في رعايته أمرين مهمين مترابطين هما: تجويد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة[٥].

---

(١) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٥٧-٥٨.

(٢) التحديد :١٠٢، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٥٨.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥٩.

(٤) التحديد:٦٨، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥٩.

(٥) ينظر: أصوات العربية والقرآن الكريم منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب القيسي(مجلة) :٢٣٩-٢٤٠.

كان مكي بن أبي طالب على وعي كامل حين جعل غاية القراءة التجويد ،وغاية التلاوة وهي لون من القراءة يدخله عنصر المتابعة ، تحقيق اللفظ أي النطق وبلوغ النهاية في تصحيحه ليكون ذلك سبيلًا إلى المستوى الأعلى من التحقيق والتجويد(١).

وذكر عبد القاهر مرعى أنَّ مكيًا قد استعمل (منهجًا جديدًا في دراسة الأصوات يختلف عن المنهج الذي استعمله سابقوه من علماء العربية القدماء أمثال الخليل، وسيبويه، والمبرد، وابن دريد، وابن جني، إذ اعتمد هؤلاء المنهج النظري في دراسة الأصوات الذي يقوم على دراسة مخارج هذه الأصوات، وبيان صفاتها بصورة مجردة دون أن يبين وظائفها وأهميتها في سلسلة الكلام وفي دراسة العلوم الأُخرى)(٢).

ويعد مكي من أوائل الذين أدركوا فكرة وحدة البحث العلمي إذ يرى أَنه لا يمكن الوصول إلى إجادة النطق وتصويب الأداء من دون الربط بين أساس قوي من العلم والمعرفة النظرية وأساس متين من التطبيق والتدريب. وقدم لقارئه قدرًا جيدًا من العلم النظري والمعرفة بأصوات العربية مراتبها ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها وعبر عنه في عنوان كتابه .وقدم قدرًا جيدًا من العلم التطبيقي والصور العملية والتوجيهات التدريبية التي تأخذ بيده وتوصله إلى شاطئ الأَمان(٣).

وقد أَكد مكي حاجة المتعلم إلى الأخذ عن الشيخ المتقن، وحاجة الشيخ أَيضًا إلى اتقان تجويد الحروف بالاعتماد على الأصول التي يسطرها علماء التجويد في كتبهم وذلك حين قال: (والمقرئ إلى جميع ما ذكرناه في كتابنا هذا أحوج من القارئ، لأنه إذا علِمه علّمه، واذا لم يعلِمه لم يعلّمه، فيستوي في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ، ويضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر، فمعرفة ما ذكرنا لا يسع من انتصب للإقراء جهله وبه تكمل حاله، وتزيد فائدة القارئ الطالب ويلحق بالمقرئ)(٤).

وذكر مكي في مقدمة كتابه الرعاية (وما علمت أنّ أحدًا من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ،ولا إلى ما اتبعت فيه كل

(١) ينظر: أصوات العربية والقرآن الكريم منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب القيسي(مجلة): ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الدرس الصوتي عند مكي طالب القيسي (بحث): ١٤١، وينظر : التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي (مجلة): ١٨.

(٣) ينظر : أصوات العربية والقرآن الكريم(مجلة) :٢٤٦.

(٤) الرعاية : ٢٢٧- ٢٢٨، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٦٠.

حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى ،والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته ...جعله الله لوجهه خالصًا)[١].

وهذا النص يفصح أنَّ مكيًا لم يسبق بمُؤلّف جمع مثل ما جمع كتابه من حيث شموله في دراسة الأَصوات وصفاتها ومعانيها ومن حيث منهجيته في دراسة الأصوات دراسة وظيفية وربط بعلم التجويد، فإذا كان هذا ما يريد فهذا صحيح اذ لم يصل الينا كتاب اعتنى بعلم الأصوات ودرسه دراسة وظيفية وربطه بعلم التجويد قبل هذا الكتاب[٢].

ويشير مكي في كتابه (الرعاية) إلى مصادره، وأعلامه الذين أخذ منهم أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي اقتبس الكثير من آراءه الصوتية، قال مكي: (قال الخليل في كتاب العين الحروف الصتم :التي ليست من الحلق)[٣]، ونقل عن سيبويه في قوله: (إنَّ سيبويه وأَكثر النحويين يقولون :إنَّ للحروف ستة عشر مخرجا)[٤]. وقد أخذ مكي درسه الصوتي من أعلام الفكر اللغوي، فلم يقف على سيبويه وحده، وإنما لجأ لبعض أعلام العربية، كالمبرد، وابن دريد، وابن جني، وغيرهم[٥].

أشار مكي إلى منهجه العام عند مقدمة الكتاب إذ قال: (أذكر الحروف واحدًا على رتبة المخارج مع جملة من صفته، ثم نذكر مع كل حرف ألفاظًا من كتاب الله تعالى (جلّ ذكره) تنبه على تجويد لفظ ذلك الحرف فيها وفي مثلها مما وقع ذلك الحرف فيها مقارنا لغيره ، ويجب أنّ يتحفظ ببيانه لئلا يدخله خلل أو نقص ، أو زيادة لعلل تحدث فيه)[٦]، إذ تضمنت أبواب كتابه دراسته الصوتية فلكل الأبواب الصوتية مادة تحليلية في كل حرف من حروف العربية من حيث ترتيبها ومخارجها وصفاتها والعلاقة التي تحدث بين الحروف عند التركيب[٧].

أمَّا عن منهجه الخاص فقد قال:(نذكر علل الحروف والحركات، وما استعملت العرب من ذلك، واختلاف النحويين في السابق من الحروف والحركات في أشباه لذلك .ثم نذكر الحروف وعدتها وأقسام ألقابها وصفاتها .ثم نذكر كل حرف ومخرجه ،وجملة من صفته المتقدمة على مراتب المخارج، ثم نذكر مع

(١) الرعاية : ٤٢- ٤٣.
(٢) ينظر: التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي (مجلة):٨.
(٣) الرعاية :١١٢، وينظر : التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي (مجلة): ٨-٩.
(٤) الرعاية :٢١٧، وينظر : الكتاب: ٤٣٤/٤.
(٥) ينظر: التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي(مجلة) : ١٠.
(٦) الرعاية: ٥١.
(٧) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء : ١٦٠.

كل حرف ألفاظًا منه في كتاب الله تعالى، تخص على التحفظ لتجويد لفظه ،وإعطائه في القراءة حقه لئلا يغفل عنه ، فيدخله في خلل أو زيادة لعلل توجب ذلك فيه تذكر مع ذكر كل حرف)[١]. فكان هذا النص تفصيلًا دقيقًا بما تناوله منهجه الصوتي ثم تناول موضوعات تابع فيها المتقدمين من اللغويين وهي كالآتي:

١- الأصوات الفرعية: ذكرها مكي في (باب بيان ما زادت العرب في كلامها على التسعة والعشرين) وهي ستة زائدة عنده تستحسن في قراءة القرآن والشعر: النون الخفيفة، والألف الممالة، والألف المفخمة، والصاد كالزاي، وهمزة بين بين، والشين كالجيم[٢]، (بعض العرب يزيد عند الاضطرار إلى هذه الخمسة والثلاثين حرفًا سبعة أحرف، وهي قليلة الاستعمال في الكلام، ولا تستعمل في القرآن وهي شاذة فتبلغ الحروف في عدتها اثنين وأربعين حرفًا)[٣].

٢- صفات الحروف: فإذا ما علمنا أن مكيًا قد استعان بألقاب الخليل العشرة فإن الأُخريات من الأَربع والثلاثين ستكون لسيبويه النصيب الأوفر فيها[٤]. قال مكي: (لم أزل اتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبًا، صفات لها وصفت بذلك على معان ولعلل)[٥] وهذه الصفات هي: المهموسة، والمجهورة، والشديدة ،والرخوة، الزائدة، والأصلية، والمذبذبة، والإبدال، والإطباق، والمنفتحة، والاستعلاء، والمستفلة، والصفير، والقلقلة، والمد واللين، وحرفا اللين، والهوائية، والخفية، والعلة، والتفخيم، والإمالة، والمشربة، والمكررة، والغنة، والانحراف، والجرسي، والمستطيل، والمتفشي، والمصمتة، والمذلقة، والصم، والمهتوت، والراجع، والمتصل[٦].

٣- مخارج الحروف، وهي مخارج سيبويه ذكرها القيسي في (باب الاختلاف في المخارج) قائلًا: (اعلم أنَّ سيبويه وأَكثر النحويين يقولون: إنَّ للحروف ستة عشر مخرجًا، للحلق ثلاثة مخارج، وللفم ثلاثة عشر مخرجًا، وهي التي قد ذكرناها مبينة مفسرة)[٧].

واستمر مكي القيسي في تعقب سيبويه في مخارجه حرفًا حرفًا ابتداء من (باب الهمزة)، والهدف منه تتبع الأصوات في عملها، ومن ثمَّ النظر إليها من طريق التحولات التي تفرضها البنية اللغوية، حتى

(١) الرعاية : ٤٣-٤٤.
(٢) ينظر: الرعاية : ٨٥-٨٨.
(٣) المصدر نفسه :٨٨-٨٩.
(٤) ينظر : منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات : ١٣٦.
(٥) الرعاية :٩١.
(٦) ينظر : منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات: ١٣٧.
(٧) الرعاية : ٢١٧.

انتهى عند (باب الغنة)[١]، قائلًا: (الغنة: نون ساكنة خفيفة، تخرج من الخياشم، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة ... تظهر ايضًا عند إدغام النون والتنوين في الياء والواو، ويجوز أن تدغم فلا تظهر)[٢].

أمّا أَبو عمرو الداني فقد اتبع منهجية علمية في حديثه عن الدرس الصوتي وكان صاحب نظرة عميقة في كشف خفايا الصوت اللغوي ووضعه على محكات التطبيق وبخاصة في آي القرآن الكريم، ويعد الداني من علماء التجويد البارزين في عصره وفي عصر من آتى بعده، إذ تناول الدرس الصوتي بأداء واضح من العمق والشمولية وتناول دراسة الصوت اللغوي وأطال الحديث فيه.

وقد أشار المرادي(ت:٧٤٩هـ) الى منهجية علماء التجويد في دراسة الاصوات، إذ قال: (إنّ تجويد القرآن يتوقف على أربعة أُمور أولهما: معرفة مخارج الحروف وثانيهما :معرفة صفاتها .وثالثهما: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام .ورابعهما :رياضة اللسان وكثرة التكرار)[٣]، وكان أكثر وضوحًا وضوحًا من الداني الذي أشار إلى الأمرين الأول والثاني بقوله: (اعلموا أنّ قطب التجويد، وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض وإن اشترك في المخرج)[٤].

المخرج)[٤].

وهذا لا يعني أنَّ الداني قد أهمل الشرطين الآخرين فقد جاء كتابه (التحديد) مبنيًا بناء متينًا على تلك الشروط التي ذكرها المرادي وهذا ما ذكره محقق كتاب (**التحديد**) في مقدمته[٥] إذ قال: (المادة التي تضمنها كتاب (**التحديد**) مادة ممتازة وأصلية غطت دراسة الأصوات العربية دراسة علمية .تشتمل دراسة مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب ، والتأكيد على رياضة اللسان بذلك)[٦].

ذكر الدكتور حيدر فخري ميران إلى أن طريقة الداني تكاد تكون مختلفة عما سبقها من دراسات صوتية، فمنهجه مبتكر ترك أثرًا بينًا في الكتب المؤلفة في علم التجويد التي جاءت بعده لا على مستوى الأبواب فحسب، بل على مستوى دراسة الأداء للصوت كذلك، وقد ترك أثره المستحسن عند السامع، فبدأ

(١) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات. : ١٣٨-١٣٩.
(٢) الرعاية : ٢١٤.
(٣) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة :٣٠، وينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٧٢.
(٤) التحديد : ١٠٤، وينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني :١٧٢.
(٥) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :١٧٣.
(٦) التحديد:٤.

بمقدمة استغرقت صفحة ونصفًا في بيان السبب الذي دفع المؤلف إلى تأليف الكتاب وذكر بعض الأمور المتعلقة بخطته في تناول موضوعات الكتاب[١]. التي بدأت على النحو الآتي:

١- باب: في ذكر البيان عن معنى التجويد وحقيقة الترتيل والتحقيق وما جاء من السنن والآثار في البحث على استعمال ذلك والأخذ به.

٢- باب: في قراءة التحقيق وتجويد الألفاظ ورياضة الألسن بالحروف.

٣- باب: ذكر الأخبار الواردة عن أئمة القراءة في استعمال التحقيق.

٤- باب: ذكر الإفصاح عن مذاهب الأَئمة في حد التحقيق ونهاية التجويد، وما جاء عنهم من الكراهة في التجاوز عن ذلك.

٥- باب: ذكر البيان عن حقائق الألفاظ وحدود النطق بالحروف.

وأوضح الداني في هذا الباب عن :(أنَّ التجويد لا يتمكن والتحقيق لا يتحصل إلاَّ بمعرفة حقيقة النطق بالمحرك، والمسكن، والمختلس، والمرام ، والمشم ، والمهموز، والمسهل ، والمحقق، والمشدد، والمخفف، والممدود، والمقصور، والمبين، والمدغم، والمخفى، والمفتوح، والممال، وأنا أبين ذلك كله.)[٢].

٦- باب: ذكر مخارج الحروف المعجمة وتفصيلها.

٧- باب: ذكر أصناف هذه الحروف وصفاتها.

وخصّ الداني هذا الباب: (بذكر صفات الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها وعدها ستة عشر صنفًا: المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمطبقة والمنفتحة، والمستعلية، وحروف المد واللين وحروف الصفير، والمتفشي، والمستطيل ، والمتكرر، والمنحرف، والهاوي، وحرفا الغنة[٣].

٨- باب: ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين.

٩- باب: ذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمد بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها. وهذا الباب هو أطول أبواب الكتاب، قسمه الداني على فصول بعدد حروف المعجم، مرتبًا لها على المخارج، وتحدث في كل فصل عن حرف من الحروف ذاكرًا صفاته الصوتية، بينًا الأحكام التي تخصه عند تركيبه في الكلام المنطوق، موضحًا ذلك بالشواهد القرآنية[٤]، وهذه الخصيصة انفرد بها علماء التجويد.

---

(١) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات : ١٤١-١٤٢.

(٢) التحديد: ٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٤.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٧١.

أما عبد الوهاب القرطبي فقد تميز كتابه (**الموضح**) بمنهج واضح تتتابع فيه الموضوعات على نحو معيّن، أي إنَّه مبني على فكرة واضحة تعيّن موضوعات الكتاب ومن ثم يتضح منهجه ، فالكتاب استند على فكرة تقسيم اللحن على قسمين: اللحن الجلي واللحن الخفي ،إذ وضع علماء التجويد هذه الفكرة بعد ابن مجاهد البغدادي (ت:٣٢٤هـ)، ويعد القرطبي أول عالم من علماء التجويد اعتمد على فكرة تقسيم اللحن في تبويب كتابه(١).

وقد ذكر القرطبي في أول كتابه السبب الذي دفعه الى التأليف بقوله: (ولما رأيت الناشئين من قراءة هذا الزمان وكثيرًا من منتهيهم قد أغفلوا اصلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي وأهملوا تصفيتها من كدره وتخليصها من درنه، حتى مرنت على الفساد ألسنتهم ،وارتاضت عليه طباعهم ،وصار لهم عادة ،بل تمكن منهم تمكن الغريزة .... رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك وعظم الغناء به أن اقتضب مقالًا يهز عطف الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب ،ويؤنس وسادة العالم)(٢).

ثم بين المنهج الذي يسير عليه بقوله: (أذكر معنى اللحن في موضوع اللغة وحده، وحقيقته في العرف والمواضعة، والسبب الذي من أجله علق بالألسنة وفشا في كلام العرب، وأبين ما المقصود بالتنبيه عليه، والمراد من الإعلان بالتحذير منه، وما الفائدة الحاصلة بذلك والثمرة المجتناة عنه، ثم أشفع ذلك بالكلام عليه من جهة التفصيل والتقسيم ،وأبعث على تجويد القراءة بذكر ما يستقبح منها ويستحسن ويختار منها ويستهجن، بقدر الطاقة ومنتهى الوسع والامكان)(٣). فقسم كتابه على ثلاثة أبواب تسبقها فصول ستة، وهذه الأخيرة شملت خمسة موضوعات خارج دراسة الصوت، إذ خصصت عن اللحن الخفي والجلي(٤)، قال د. غانم قدوري الحمد: (وعبد الوهاب القرطبي أول عالم من علماء التجويد اعتمد على فكرة تقسيم اللحن في تبويب كتابه)(٥)، أما الفصل السادس فمعني في ذكر كيفية القراءةِ وبيان ما يستقبحُ منها ويستحسن ويختارُ منها ويستهجنُ، فذكر خمسة منها نهى أئمة القراء عن قراءتها وهي: الترقيص، والترعيد، والتطريب، والتلحين، والتحزين وخمسَة أخر أجازوها وهي: التحقيق، واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والحدر(٦).

أمّا الأبواب الثلاثة فهي: الباب الأول: (**في الكلام على بسيط الحروف**) تناول القرطبي الكلام على وجهين: أحدهما تحقيق ذوات الحروف وذكر مخارجها وتبيين احكامها الخاصة بها، تحدث القرطبي فيه عن

---

(١) ينظر: الموضح في التجويد: ١٩-٢٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٨، ٥١.

(٢) الموضح في التجويد: ٢٠.

(٣) المصدر نفسه :٢٠.

(٤) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات: ١٧٦.

(٥) الموضح في التجويد : ٢٠، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٥١.

(٦) ينظر: الموضح في التجويد : ٢١١-٢١٥.

مخارج الحروف العربية، والحروف المستحسنة والمستقبحة الزائدة على التسعة والعشرين، وتحدث عن صفاتها من الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والإطباق والانفتاح، وغير ذلك. أمَّا الوجه الثاني فكان: **(التنبيه على ما يكره فيها ويسترذل من تحريفها)**، إذ تحدث القرطبي في هذا الوجه عن حروف العربية حرفًا حرفًا مبينًا خصائصه النطقية التي يتميز بها، وموضحًا الطريقة الصحيحة لنطقه ،ومشيرًا إلى الانحرافات التي يمكن أن تطرأ عليه في ألسنة الناطقين به[١].

وكان الباب الثاني: **(في ما يعرض في هذه الحروف من الأحكام عند ائتلافها وتركبها ألفاظًا)**، تحدث القرطبي في أوله عن صور تركيب الألفاظ، فمنها ما هو متعذر ممتنع، ومنها ممكن ولكنه منبوذ مستكره، ومنها ممكن وهو مستحسن مستعمل. وهذا الضرب المستحسن يعرض فيه عند الائتلاف والتجاور من الاحكام زيادة على وضع بسيط الحروف، كالمد والتشديد والتليين والإظهار والإخفاء والقلب، وما يدخل من شوائب الحروف بعضها على بعض بسبب المناسبة بينها والمباينة والمقاربة والمباعدة[٢].

أما الباب الثالث فكان: **(في الكلام على الحركات والسكنات)**، بيّن المؤلف فيه كيفية أداء الحركات بالمحافظة على مقاديرها فلا تختلس حتى تتحول سكونًا، ولا تشبع حتى تصير حرفًا، وختم هذا الباب بالكلام على الوقف على آخر الكلمات واقسامه، مبينًا الروم والإشمام.

لذا فقد استكمل القرطبي دراسة أصوات العربية على أساس منهج شامل وواضح ومحدد، وهذا المنهج لا نجده بهذا الشمول والوضوح والتحديد عند علماء التجويد الذين سبقوه أمثال مكي بن أبي طالب في كتابه **(الرعاية لتجويد القراءة)** وأبي عمرو الداني في كتابه **(التحديد في الاتقان والتجويد)**، وكذلك لا نجده عند علماء العربية كابن جني في **(سر صناعة الإعراب)** الذي ضمّن مقدمته دراسة الأصوات العربية ،ثم تغلب عليه بعد ذلك الدراسة الصرفية واللهجية، وقد افاد القرطبي من مادة هذه المصادر لكنه استطاع أنّ يصوغها على نحو جديد متميز[٣].

أما ابن الطحان في كتابه **(الإنباء)** فقد اتسم منهجه العام بالاختصار، ذلك بعدم ذكره للأمثلة التوضيحية وعدم التنقيب عن موضوعات ثانوية لكل مفردة من مفردات كتبه، وعند أخذ مادته من النصوص يقوم بإعادة صياغتها وترتيبها بشكل تظهر فيه شخصية المؤلف من دون الاشارة إلى تلك النصوص، وعدم ذكره لأسماء العلماء الذين سبقوه أو الذين نقل عنهم فلا نجد في كتبه أي ذكر لأسماء السابقين له من علماء

(١) ينظر : الموضح في التجويد : ٢٢-٢٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣-٢٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥.

العربية وعلماء التجويد، وانصب اهتمامه على تعيين معاني المصطلحات الصوتية التي ذكرها في كتبه وصياغتها بشكل متميز ودقيق والإتيان بتعريفات جديدة لها(١).

أما منهجه الخاص فعلى الرغم من صغر حجم الكتاب إلاَّ أنَّه يعد من المباحث المفيدة والمهمة ويشكل مرجعًا أصيلًا في علم التجويد وكذلك في علم الأصوات العربية .إذ بيّن للقارئ طريقًا، وأمره بالالتزام بتوقيف أئمة الأداء بقوله في المقدمة:(أمَّا بعد، فقد درست في هذا الجزء ،والمسمى بالإنباء أبوابًا من أصول الأداء ، تفتح على المبتدئ أبوابًا من وَكيد علم القراءة ، وتفقهه باستعمالها ،وتجري به في مضمار علمائها ونقالها).وقوله في موضع آخر: (فقف عندما رسمت لك تصب إن شاء الله) وقوله في نهاية الكتاب: (فأشرع أيَّها القارئ بما رسمت لك في هذا الإنباء، فإنّه قطب يدور عليه توقيف أئمة الأداء)(٢).

وتضمن كتابه سبعة أبواب عرض فيها جملة أصول تفيد أهل الأداء وهي: باب تصنيف الحركات وتحرير مقاديرها المعلومات، وباب تحرير السكون وتعيينه، وباب تفصيل أصول المد واللين وفروعهما وتبيين مقاديرهما ومعرفة الفرق بينهما، وباب التبيين عن أحكام النون الساكنة والتنوين، وباب التوقيف على المفخم والمرقق من الحروف، وباب الدلالة على تحقيق الفتح والإمالة وبين اللفظين، واخيرا باب توقيف القراء على المحكم في الوقف على أواخر الكلم.وقد تحدث المؤلف في كل باب عن أهم القضايا المتعلقة به حديث الخبير المطلع، والعالم المتقن، مستفيدًا مما قرره سلفه في هذا العلم(٣). ويعد ابن الطحان أول من تحدث عن السّكون وتقسيمه إلى حيٍّ وميِّتٍ، وتابعه في ذلك الحموي في كتابه: القواعد والإشارات في أصول القراءات، والقسطلاني في كتابه: لطائف الإشارات، إذ اقتبسا منه بإيجاز هذا الموضوع من غير إشارة إليه(٤).

(١) ينظر : ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية : ٢٦-٢٧.

(٢) ينظر : الإنباء في تجويد القرآن(مجلة): ٨١٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٨١٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢١٩.

منهج علماء اللغة في الأندلس:

لقد سبق علماء العربية من اللغويين علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية، وتعد دراسة هؤلاء العلماء الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، إذ يؤكد الداني في أول باب مخارج الحروف أنَّه (على مذهب سيبويه خاصة إذ هو الصحيح المعول عليه)[١]. ولكن اللغويين لم تكن نظرتهم إلى الدرس الصوتي نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية وإنَّما كانت دراستهم ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي يعالجونها، فقد كان يدرس في نهاية كتب النحو والصرف ولم يكن صوتيًا خالصًا[٢].

وقد تنبه علماء العربية إلى الدراسة الصوتية مع بداية الدرس اللغوي عامة قبل النحو وعلومه، فاهتموا بدراسة الأصوات وتحليلها، وتقسيمها، وبيان صفاتها ،وخصائصها ، وبيان مخارجها وجاءت المادة الصوتية مبثوثة في مؤلفاتهم. وتعد ظاهرة اللحن أحد الأسباب الأساسية للاهتمام بالدرس الصوتي العربي، فقد فطن العرب لوجود اللحن قبل الإسلام؛ لأنهم ألفوا بعض الموالي الذين عاشوا بينهم ولم يتقنوا نطق أصواتهم وهذا لافتقار لغتهم الأصلية لأصوات العربية ولصعوبة إخراجها والإلمام بصفاتها، وبانتشار الإسلام ودخول الأعاجم إلى هذا الدين زاد انتشار اللحن الصوتي، ورغم أهمية الدراسة الصوتية إلاّ أنّها ظلت تابعة إلى الدراسة اللغوية ولا تكاد توجد دراسة صوتية مستقلة في مؤلف مستقل آنذاك[٣].

لذا من المهم في هذا الميدان الولوج إلى منهج كل واحد من علماء اللغة في الأندلس بغية عقد موازنة بينهم وبين علماء التجويد وأولهم الإمام العلامة ابن مالك من العلماء المخلصين الذين بذلوا في سبيل خدمة اللسان العربي كل غالٍ ونفيس، وقصروا حياتهم على الذود به، والحفاظ عليه وإرساء القواعد، وضبط العوامل الكفيلة بصونه لما طرأ على الألسنة من لحن القول وفساد الإعراب، ويعد ابن مالك إمام النحو والصرف في زمانه من دون منازع فقد كان: (إمامًا في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها ،والاطلاع على وحشيّها ،وأمَّا النحو والتصريف فكان بحرًا لا يجارى، وحبرًا لا يبارى ..... وكان أُمّة في الاطلاع على الحديث ، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فأن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن شاهد عدل إلى أشعار العرب)[٤].

---

(١) ينظر : التحديد : ١٠١.

(٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٥-٤٦.

(٣) ينظر : المصطلح الصوتي عند علماء العربية وعلماء التجويد (مجلة): ٦٨.

(٤) بغية الوعاة :١/ ١٣٠- ١٣٤، وينظر : ألفية ابن مالك تحليلًا ونقدًا(بحث) : ٤٤.

ومن مؤلفات هذا العالم الجليل منظومته الألفية في النحو والصرف التي بلغت من الشهرة حدًا قلَّ أنْ يبلغه كتاب في هذا الفن ،ومنذ شيوعها والعلماء يتبارون في شرحها والتعليق عليها، وكان طلاب العلم يتباهون بحفظها، وفهم ما أشكل منها ، فهي بحق قد ضربت في الشهرة بحظ أوفر، ونزعت منزعًا قصر عنه الأول والأخر(١).

إنَّ **(ألفية ابن مالك)** خلاصة **(الكافية الشافية)** المنظومة الطويلة في النحو والصرف تتجاوز (٢٧٥٠) بيتًا، وقد قام ابن مالك بشرحها وعلق عليها نكتًا وتعليقات. ويبدو أنَّ هذه النكت بعضها قبل الشرح وبعضها بعد الشرح، وتعد أكثرها إصلاحًا لمتن الكافية الشافية .ولشعور ابن مالك بوجود قصور في بعض أبيات الكافية الشافية يجب تلافيه ونقصًا ينبغي إكماله، ذهب إلى تأليف منظومة جديدة يعالج فيها الأمرين- ما في الكافية الشافية من قصور، وعدم انتشارها لطولها، يكون أحسن وأسهل وخاصَة أنَّ النظم عليه سهل، طويله ورجزه ، فاختصر الكافية الشافية في الخلاصة **(الألفية)**(٢). فقال(٣):

وَقَدْ جَعَلْتُ نَظْمَ هَذَا البَابِ مُكَملًا أبْوَابَ ذَا الكِتَابِ
فالحمدُ لِلهِّ عَلَى تَكْمِيلِهِ مُيَسّرًا ما رِيمَ في تَحْصِيله
أبياتُه أَلْفَان مع سَبْعمائة وَزِيدَ خَمْسُون وَنِيفٌ أكملَه

وقد عُرف ابن مالك بوضع المقدمات الموجزة ومن ثم بسطها بشروح سهلة ميسرة، فلم يبدأ بشرح أرجوزته **(الكافية الشافية)** دفعة واحدة وإنما قام بشرحها على مراحل متقاربة أو متباعدة فشرح القسم الخاص بالصرف شرحًا مستقلًا وسماه **(شرح ابن مالك على تصريفه المأخوذ من كافيته)** وكذلك مع القسم الخاص بالنحو ثم جمع الكل بين دفتي كتاب واحد(٤).

وقد سمَّى ابن مالك الفيته في النحو **(الخلاصة)** وقيدها بعبارة (في النحو) وهي ليست من اسم الألفية وإنَّما لتميزها عن غيرها من الكتب المسماة **(بالخلاصة)** وربما عبارات أُخر، واشتهرت **(الخلاصة)** بـ**(ألفية ابن مالك أو بالألفية)**؛ لأنَّها تضمنت ألف بيت من مزدوج الرجز(٥).

(١) ينظر : ألفية ابن مالك تحليلًا ونقدًا(بحث) :٢.
(٢) ينظر : ألفية ابن مالك :٢٩-٣٠.
(٣) شرح الكافية الشافية : ٤/ ٢٢٥٢.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٤٣-٤٤.
(٥) ينظر : ألفية ابن مالك :٢٦.

وتعد الألفية ثلث حجم الكافية الشافية تقريبًا، إذ إن الكافية الشافية أكمل وأشمل من الألفية وكان ما ورد في شرحها هو شرح لما جاء في الألفية وزيادة، وبذلك اكتسب **(شرح الكافية الشافية)** اهميته بعدّه شرحًا وافيًا للألفية بقلم ناظمها فاعتمد عليه كل من تصدى لشرح **(الألفية)**[١].

كان لابن مالك اهتمام بالنظم في علم العربية نحوًا وصرفًا، وخلاصة الألفية من أشهر ما ترك من هذه المنظومات، لذا أقبل العلماء على شرحها والتعريف بمراده منها، في الوقت نفسه لم تحظ **(الكافية الشافية)** وهي الأَصل الذي انتزع منه بشي من العناية[٢].

أَهم ما يميز منهج ابن مالك ميوله إلى التجديد والابتكار وكذلك الترتيب في التأليف، إذ بدأ ابن مالك في الفيته بالأعم ثم الأخص وحرص على تناسب الأَبواب والفصول ووضوح تقسيمها ،وإن منهجه قائم على منهج دراسي تعليمي يعتمد على المناسبة والاستطراد وارتباط اللاحق بالسابق[٣].

وقد أفاد ابن مالك من مؤلفات السابقين وتأثر بجميع الكتب النحوية التي قبله بدءًا من سيبويه إلى آخر منْ وقف عليه في عصره ومعرفة ما في المتون النحوية والاستفادة منها أو تلافي ما فيها من سلبيات في منهج الترتيب، وأبرز من تأثر بهم ابن مالك في منهج الترتيب هو ابن معط في ألفيته إذ كان ابن مالك على اتصال بألفية ابن معط ودرسها لطلابه ومكنه ذلك من الاطلاع عليها عن قرب ، قال الأستاذ محمد كامل بركات: (تأثر في هذا الباب إلى حد ما بابن معط في ألفيته ،إلاّ أنَّه على عادته في تأثره بغيره لا يأخذ الشي برمته ، ولا ينقل النهج بنصه ، ولكنه يخضعه لذوقه وتفكيره وتجاربه واجتهاده ، وإنَّ الباحث ليروعه ميل الرجل إلى التجديد والابتكار حتى في كتبه حين يتصدى لشرحها أو تلخيصها)[٤]، واشتملت الألفية على واحد وستين بابًا وسبعة عشر فصلًا نحوياً في مسائل النحو والصرف ، بدأها بمقدمة تتضمن سبعة أبيات[٥].

أما تقسيمه العام للألفية فتنقسم على قسمين رئيسين القسم الأول: الأبواب النحوية، والثاني: الأبواب الصرفية، وقد تضمن أبوابًا صوتية موضوع بحثنا وهي كالآتي[٦].

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية :١/٤٦-٤٧.

(٢) ينظر : المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية : ١/١٥-١٦.

(٣) ينظر : منهج ابن مالك في ترتيب أبوابه الالفية(مجلة) : ٣٥٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤١٦.

(٥) ينظر : ألفية ابن مالك تحليل ونقد(بحث) : ٣٧.

(٦) ينظر : منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الالفية(مجلة) : ٣٥٠-٣٥١.

١. باب الوقف وباب الإمالة: أورد فيه باب الوقف مع باب الإمالة ؛لأن بهما تغيرات لفظية تلحق الكلمة ولكنها لا تؤثر على المعنى، وكان من الأنسب أن يقدم ابن مالك الإمالة على الوقف من جهة أنَّ الوقف لفظه يناسب الآخر، ولما ذهب إليه الاستاذ الدكتور محمد بركات من أنّ أحكامه في آخر حرف من حروف الكلمة أو ما اتصل بالآخر.

٢. باب الإدغام :يكون ذكر الإدغام غالبًا بعد أحكام الإعلال والإبدال عند سيبويه في آخر الكتاب وجاء ضمنه بعض مسائل الإبدال(١).

أَمّا كتاب **(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)** فمن أشهر مؤلفات ابن مالك النحوية وأوسعها انتشارًا بعد كتاب سيبويه الذي سجل قواعد النحو العربي وبيّن معالمه ورسم اتجاهاته حتى استقر النحو على صورته الآن بجهود ابن مالك، ويمثل هذا الكتاب الآراء الأخيرة والنهائية وبه ثمرة جهده وفكره وحصيلة عمره، وقد ذكر سبب تسميته به **(التسهيل)** بأنَّه تيسير لكتاب آخر سماه **(الفوائد النحوية والمقاصد المحوية)** وهو من مصنفاته الضائعة ،فلما تعسر إفهامه لجأ إلى تأليف كتاب آخر **(تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)** وطلب منه بعض الفضلاء أنْ يفسره ويشرح إبهامه فكان هذا الشرح(٢).

وقد قدّم فيضًا من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية والشعر العربي وكلام العرب المنثور لغرض تأييد رأيه في هذا الكتاب ، فإن لم يجد نصًا فيما هو بصدده، فنراه يتجه إلى القياس متخذًا منه حجَّة ودليلًا والأسباب التي تدعو إلى الأخذ منه ويفند رأي مخالفه في أسلوب علمي سليم ، واعتمد على رأي القدامى والموازنة بين آرائهم المختلفة ويختار أقواها دليلًا ،وإنْ لم يقتنع بآرائهم وضع رأيه بأدلة وبراهين واعتمد في شرحه على الوضوح والقدرة على الإبانة والإفصاح من دون القصور في العبارة(٣).

تكمن أهمية منهج ابن مالك العام في ميله الكبير إلى الاستقلال والتزامه المنهج الاختياري الانتقائي بمزج بين مذهب النحويين من دون ميل أو انحياز والترجيح بينها ، وتوسعه في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف الذي اتخذه أساسًا للتقعيد النحوي زيادة على الاستشهاد بالقرآن الكريم بقراءاته المختلفة وأشعار العرب ، واتسم منهجه بالدقة العالية والبعد عن التناقض ،واهتم ابن مالك بالعلة في مؤلفاته اهتمامًا كبيرًا فكل ما يتجه الى تأييد من قواعد له علته التي تقتضيه وله سببه الذي يوجبه .أمّا منهجه الخاص في كتابه **(شرح التسهيل)** الذي تميز بسلاسة الألفاظ وتوسط عباراته، فريد ببعض أساليبه

(١) ينظر : منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الالفية(مجلة): ٤١٢-٤١٣.

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك جانب الموصولات انموذجا(بحث) : ١٧.

(٣) ينظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣/١.

وبعض عباراته[١]، فيمكن إيضاحه في أمور كثيرة منها طريقة شرح متن التسهيل وتقسيم الكتاب على أبواب وفصول وترتيب الموضوعات والمسائل النحوية وربط بعضها ببعض، فإنَّ أهم ما يميز منهج ابن مالك ميوله إلى التجديد والابتكار بتنظيمه رؤوس المسائل في أبواب والفروع في فصول والذي يعد من أحدث التقسيمات في مناهج التأليف، فوضع ابن مالك منهجًا صافيًا سائغًا للدارسين ويتضح من هذا مدى وضوح شرحه وسلامته وقدرته على الإبانة والإفصاح، وعاب بعضهم اشتمال الكتاب على موضوعات صوتية وصرفية ونحوية في كتاب واحد، لكنه رتبها على وفق الأبواب والفصول، فكان خلاصة ما ذكره من موضوعات صوتية (باب مخارج الحروف) و(باب الإمالة)[٢].

أَمّا ابن عصفور فقد ألف في النحو والصرف والأدب حتى جاوزت مؤلفاته العشرين مؤلفًا ما يدل على عمق ثقافته واطلاعه على هذه الفنون، ومن مؤلفاته :**(شرح الجمل)** وله عليه ثلاثة شروح، **(والمقرب في النحو)** ،**(والممتع في التصريف)** وقلما يخلو من مسائله كتاب من كتب النحو[٣]. قال الدكتور شوقي ضيف: إنَّ لابن عصفور آراءً كثيرة تدور في كتب النحاة فهو لا يتحيز بشكل كامل لمدرسة بعينها أو شخص بعينه فمن آرائه ما يقف مع سيبويه والبصريين ،ومنها ما يقف فيه مع الكوفيين أو البغداديين ومنها ما يستقل به[٤].

يعد **(شرح الجمل الكبير)** لابن عصفور من أشهر مؤلفاته إنْ لم يكن أشهرها فقد نقل عنه أقرانه كابن مالك، وابن الضائع في شرحه الجمل وتعقبه كثيرًا، ونقل عنه أيضًا تلميذه أبو حيان وتلاميذه كالمرادي وابن عقيل وابن هشام وكثير من العلماء بعدهم كالشيخ خالد الازهري والسيوطي وهذا يدل على منزلة ابن عصفور عند علماء النحو وأهمية مؤلفاته التي لقيت عناية العلماء والدارسين[٥].

وقد جاء منهجه في ترتيب أبوابه وعرضها وشرحها بشكل مطابق للمنهج الذي سار عليه الزجاجي ،إذ قسم الزجاجي كتابه **(الجمل)** على مجاميع أو طوائف نحوية وصرفية ولغوية مبتدئًا بالأبواب النحوية ومنتهيًا بمسائل تدور حول الإدغام والحروف المهموسة والمجهورة ونحوها، ويلاحظ عدم وجود أي اختلاف من ناحية التقديم والتأخير بين **(الجمل)** و**(شرحه)** لابن عصفور إلا في زيادة بعض المسائل والابواب كباب (عطف البيان وباب الاخبار) ومن ناحية الحذف فقد أهمل باب (أبنية المصادر واشتقاق

(١) ينظر : المصطلحات النحوية عند ابن مالك من خلال كتابه شرح التسهيل(بحث) : ٢١-٢٣.
(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك جانب الموصولات انموذجا (بحث):٢٥-٢٩.
(٣) ينظر: الأدلة النحوية الاجمالية في شرح ابن عصفور الكبير على جمل الزجاجي(بحث) : ٢٣.
(٤) ينظر: المدارس النحوية (شوقي ضيف):٣٠٦-٣٠٧.
(٥) ينظر: الأدلة النحوية الاجمالية في شرح ابن عصفور الكبير(بحث):٢٥.

الاسم والمصدر واسم المكان وأبنية الأسماء وأبنية الافعال والتصريف والادغام والحروف المهموسة والحروف المجهورة) وأفرد لهذه الأبواب كتابًا خاصًا سماه **(الممتع في التصريف)**، وضمّ فيه أبواب جمع التكسير وهي ثمانية أبواب عند الزجاجي تحت عنوان واحد ، وتناول موضوع الموصولات جملة واحدة في حين أنَّ الزجاجي عرض لها في موضعين من كتابه(١).

ولم يلتزم ابن عصفور بإيراد نص الزجاجي وشرحه على عادة شراح المتون، بل أهمل كلام الزجاجي إهمالًا يكاد يكون تامًا، ولا يورد من عباراته شيئًا إلا عند مخالفته له في رأي أو مسألة، فقد تجاوز ابن عصفور الأبواب الثلاثة الأولى حتى يتخلص من عبارة الزجاجي، فيبتدئ الكلام وكأنك أمام كتاب مستقل وليس شرحًا من شروح الجمل، وبذلك ظهرت براعة ابن عصفور بأسلوب يتسم بالوضوح ولغة سهلة قريبة إلى أذهان متوسطي الثقافة مع تجنب الركاكة والضعف الذي يعيب الكلام(٢). لقد كان ابن عصفور مصنفًا فذًا ومنهجيًا بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان ودلائل فهو ينظم ويرتب ما تقع عليه عينه فيستنبط القوانين ويقف على دقائق الأمور فقد سلط عقله على المصنفات العربية في علم الصرف، فإذا هو يسوي صورتها التي ثبتت على الزمن(٣).

لقد خصص ابن عصفور كتاب مستقلًا في التصريف سماه **(الممتع في التصريف)** والذي يُعدّ أهم مؤلفاته واعده ردّ اعتبار إلى علم التصريف فقد أعاد ترتيبه وتنظيمه وإبراز أهميته والذي يكاد أنْ يكون نُسي بعد سيبويه والمازني وابن جني، وشرح أسباب إعراض كثير من العلماء عنه لصعوبة مسلكه ،إذ جمع سيبويه بين النحو والتصريف في كتابه وتناول المسائل الصرفية في آخر الكتاب أمَّا التقديم الذي سلكه ابن عصفور في **(الممتع)** كان منهجيًا ومبسطًا بحيث يسهل استيعابه على جمهور الدارسين(٤).

ذهب ابن عصفور إلى أنّ التصريف ينقسم على قسمين أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لمعان خاصة كالتصغير والنسب والتثنية والجمع وصيغ المشتقات، وثانيهما تغير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك تغييرًا دالًا على معنى طارئ على الكلمة مثل الإعلال والإبدال والإدغام(٥)، ومن هذا التقسيم نرى أنَّه ضمّن الموضوعات الصرفية موضوعات صوتية. ولم يكن ابن عصفور مجرد ناقل

(١) ينظر: شرح جمل الزجاجي : ١/١١-١٢.
(٢) ينظر: الأدلة النحوية الاجمالية في شرح ابن عصفور الكبير(بحث):٢٦.
(٣) ينظر: منهج ابن عصفور الاشبيلي في النحو والصرف(بحث) :١٧١.
(٤) ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : ٢٧٤.
(٥) ينظر: الممتع في التصريف :١/٣١.

للنصوص إنّما له آراء خاصة ومنهج صرفي معين اعتاد فيه على المفاضلة بين الآراء التي عرضها في جميع فصوله وكثير ما يختار رأياً من تلك الآراء فيصححه ويرجحه على غيره ،إذ غلب على آرائه طابع التعليل والتأويل والتوجيه(١).

لقد ألف ابن عصفور كتابه (**المقرب**) بعد ما طاف المشرق والمغرب في طلب النحو، فجاء كتابه شاملاً زائداً كاملاً في بابه، قال ابن عصفور: (تأليف منزه عن الإطناب الممل والاختصار المخل محتو على كلياته، مشتمل على فصوله وغاياته عار عن ايراد الخلاف والدليل، مجرد أكثره من التوجيه والتعليل ،ليشرف الناظر فيه على جملة العلم في أقرب زمان ويحيط بمسائله في أقرب زمان)(٢). اختط ابن عصفور لنفسه منهجًا خاصًا في كتابه (**المقرب**) إنَّه لم يسبق إليه بأنه يخالف ما اعتاده النحويون، إذ يبدأ أقسام الكلم بأحكامها حين التركيب، ويرجئ أحكامها مفردة، وأيضاً تميز بالبراعة والدقة في التعاريف، فأكثر النحويون من الاقتباس منه. من أمثال: ابن هشام والأشموني، وغلب المنطق عليه على الرغم من أنَّه يذهب مذهب أهل الكوفة، وتتبع ابن عصفور المعاني اللغوية للأدوات واستعمالاتها وعنايته بالمعاني زيادة على ابتكاره للعلل(٣).

قسم الكتاب على جزأين تضمن الأول أبواب النحو والذي قسمه على قسمين، أما الجزء الثاني فقد تضمن أبواب الصرف وأبواب الأصوات كباب الإدغام من كلمتين، وباب إدغام المتقاربين، وذكر مخارج الحروف، وأحكام المتقاربين في الإدغام، وحروف اللسان في الإدغام، وباب الإدغام في الكلمة الواحدة ،وباب حروف البدل، وختم الكتاب بباب ضرائر الشعر وبهذه الأبواب جاء كتاب (**لمقرب**) يحمل النحو والصرف والأصوات(٤).

وبذلك سلك مسلك الاختصار في تأليف الكتاب، ونتج عن ذلك ترك تمثيل المسائل الواردة في الكتاب، ويُعدّ هذا السبب الرئيس الذي ألزم ابن عصفور لتأليف كتاب (**المقرب**)،إذ قال: (لما سلكت في كتابي المسمى (المقرب) مسائل الاختصار، فتركت كثيرًا من تمثيل مسائله خوف الإكثار، لحق بعض ألفاظه – بسبب ذلك – إظلام ، واستعجم المعنى المراد بعض الاستعجام)(٥).

---

(١) ينظر: منهج ابن عصفور الأشبيلي في النحو والصرف(بحث) :٢١٨.

(٢) المقرب:١/٤٤، وينظر :المقرب ومعه مثل المقرب :٤٠.

(٣) ينظر: المقرب : ٢٢.

(٤) ينظر: آراء ابن عصفور الأشبيلي النحوية في كتابيه المقرب وشرح الجمل(بحث) : ٢٤-٢٥

(٥) مثل المقرب (مقدمة المحقق):٩٧.

أمَّا منهجه في كتابه **(مثل المقرب)** فقد جاء مطابقًا لمنهجه في تأليف كتاب **(المقرب)** من حيث تقسيمه على أبواب ابتداء من أبواب النحو وانتهاء بباب ضرائر الشعر، إذ بدأ ابن عصفور في الكتابين بالبداية نفسها، وانتهى بالنهاية نفسها لكنه لم يعرض في **(مثل المقرب)** لذكر بعض الأبواب؛ وذلك لأنَّها قد استوفت أَمثلتها ومسائلها الأمر الذي يخرجها عن السبب الذي ألف من أجله الكتاب . وجاء ابن عصفور بالنصوص من كتابه **(المقرب)** لإزالة الغموض عنها فيوردها مسبوقة بجملة (قولي) أي قوله في كتاب **(المقرب)** ثم يختم العبارة بقوله (إلى آخره) ويذكر بعد ذلك المثال بها بقوله (مثال ذلك). وسار ابن عصفور على وفق هذا المنهج من أول الكتاب إلى آخره ، ولم يذكر في كتابه**(مثل المقرب)** شرحًا للحدود النحوية؛ وذلك لأنَّه قد تناولها في كتابه **(المقرب)**، ولم يتعرض إلى ذكر الخلافات المذهبية إلا نادرًا للمحافظة على المنهج الذي سار عليه لتأليف كتاب**(مثل المقرب)** وإخراجه موافقًا لمنهج**(المقرب)**[١].

قسم ابن عصفور كتابه **(مثل المقرب)** على قسمين أولهما: أحكام الكلم بعد التركيب. وثانيهما : أحكام الكلم قبل التركيب، فكانت الدراسة الصوتية في القسم الثاني وتضمنت باب الإدغام من كلمتين (باب أحكام المتقارب في الإدغام) باب الإدغام في الكلمة الواحدة(باب حروف البدل)[٢].

أمَّا أبو حيان الأندلسي فانه أول من ذهب في تعيين غاية الدراسة الصوتية عند النحويين ،ولم يكن نحويًا كبيرًا فحسب وإنما هو عالم كبير من علماء القراءات والتجويد . وقد وصفه ابن الجزري بأنه **(شيخ التجويد)**[٣]، وأنّه **(استاذ العربية والقراءات)**[٤]، وقال عنه **(شيخ العربية والآداب والقراءات)**[٥].

فقد تأثر أبو حيان بعلم التجويد وعكف على دراسته دراسة عميقة على يد شيخه ابن الناظر (ت٦٧٩هـ) وأخذ عنه مؤلفه في التجويد، قال ابن الجزري وهو يترجم لابن الناظر: (وأَلف كتابًا كبيرًا حسنًا في التجويد، سماه الترشيد، قال أبو حيان: رحلت إليه قصدًا من غرناطة لأجل الإتقان والتجويد... قلت (ابن الجزري):وقرأ عليه أيضًا الترشيد وهو الذي أدخله القاهرة)[٦].

يعد أبو حيان من النحاة المتأخرين الذين بوبوا النحو تبويبًا دقيقًا، فقد نهج منهج سيبويه في النحو كما نهج منهج البصريين فقد كان يقتفي أثرهم ويرى أنَّ آراءهم وأصولهم هي الراجحة في كثير من

---

(١) ينظر :مثل المقرب :٣٠-٣٤.
(٢) ينظر : المصدر نفسه :٣٣.
(٣) ينظر :النشر : ١/ ٢١٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٧.
(٤) ينظر: النشر :٢١٦/١.
(٥) غاية النهاية :٢٨٥/٢.
(٦) المصدر نفسه : ٢٤٢/١.

الأحيان، ولكن لم يقلدهم تقليدًا أعمى او يأخذ بجميع آراءهم من غير تدقيق وتمحيص، فقد يخالفهم في الرأي ويرجح آراء الكوفيين في بعض الأحيان مستشهدًا لهم بالشعر الصحيح والكلام الموثوق به لأنّه يرجح ما يراه الأفضل ، ويرى أنَّ البصريين لم يحصروا العلم بهم ولم يقتصر عليهم، يقول: (وليس العلم محصورًا ولا مقصورًا على ما نقله وقاله البصريون فلا ننظر إلى قولهم إنّ هذا لا يجوز)[١].

واعتمد أبو حيان اعتمادًا كاملًا على كتاب سيبويه في كتابيه (**الارتشاف**) و(**التذييل والتكميل**) فكان يرمز إلى سيبويه بحرف(س) اختصارا لاسمه لكثرة تكراره فيقول: (قال س)، و(لم يحفظ س) و(نص س)، وهذا دليل على اهتمام أبي حيان بهذا الرجل الفذ، ولا غرابة في ذلك فقد كان(**الكتاب**) دستور النحويين على اختلاف مزاجهم واتجاهاتهم، ولم يسلم نحوي من التأثر به والأخذ عنه[٢].

وكتاب (**تسهيل الفوائد**) كتاب جامع للنحو والصرف لابن مالك ومن الكتب التي أثارت اهتمام العلماء إذ صنفوا عليه شروحًا كثيرة ومن أهمها شرح ابن مالك نفسه، وكان أبو حيان من العلماء الذين اهتموا بشرح التسهيل فشرحه في كتاب سماه (**التذييل والتكميل في شرح التسهيل**)، إذ طلب منه بعض طلاب العلم أن يشرح كتاب ابن مالك من أوله إلى آخره . قال أبو حيان: (كان من بعض المعتنين لهذا العلم تشوق إلى أنْ أشرح الكتاب كامًلا ، ولا أترك منه مكانًا جليًا عاطلًا ، ليكون الكتاب كله جاريًا في الشرح على نسق واحد، وحاويًا ما اغفل من الزوائد والفوائد ،فالشارح لكلام غيره ليس كالشارح لكلام نفسه، ذاك ينظر إليه بعين الاستدراك والانتقاد ،وهذا يشرح كلام نفسه، وله فيه حسن الاعتقاد)[٣].

ورأى أبو حيان أنّ الحاجة تدعو إلى اختصار كتاب (**التذييل والتكميل في شرح التسهيل**) في كتاب سماه(**ارتشاف الضرب من لسان العرب**) والذي لم يقتصر على مادة (**التذييل والتكميل**) وإنّما جمع مؤلفه ما كان في كتبه الأُخر من الأحكام والفوائد، إذ قال: (ونفضت عليه بقية كتبي لاستدرك ما أغفلته من فوائده ،وليكون هذا المجرد مختصًا عن ذلك بزوائده)[٤]، وبذلك تبين منهجه في هذا الكتاب بأحلى صورة وأكملها الذي كان خلاصة أعماله وتأليفه النحوية.

وقد نهج أبو حيان في (**الارتشاف**) منهج ابن مالك في ترتيب الموضوعات وتبويبها ويظهر ذلك واضحًا في تقسيم الكتاب إلى أبواب والباب إلى فصول ، ولم يقف عند هذا الحد فإنّ خبرة أبى حيان العميقة في اللغة والإحاطة التامة بقواعدها وأحكامها ونفاذ بصيرته أسعفه ذلك في ترتيب أبواب كتابه

(١) البحر المحيط :٢/٣١٧-٣١٨، وينظر: أبو حيان النحوي :٢٨٥-٢٨٩.
(٢) ينظر : أبو حيان النحوي :٢٩٤.
(٣) التذييل والتكميل :٩، وينظر : منهج أبي حيان النحوي الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب(بحث):٣٤.
(٤) الارتشاف :١/٤ ، وينظر: أبو حيان النحوي :٣٧٥

على النحو الذي ارتآه، إذ أشار في المقدمة إلى ما أغفله بعض النحويين لأبواب النحو، ووجد أنّ تأليفهم يحتاج الى إعادة النظر في تأليفها وتصنيفها[١]، فتناول الموضوعات النحوية والصرفية وكذلك الصوتية. واختلف منهجه عن منهج ابن مالك في الترتيب والتبويب في **(التسهيل)** و**(الألفية)**، واختلف عن منهجه في **(التذييل والتكميل)** وفي **(منهج السالك)**، إذ كان منهجه أقرب إلى الكتب التي ألفها أبن عصفور **(كالممتع)** و**(المقرب)** و**(شرح الجمل)**[٢].وقسم كتابه على قسمين: الأول في أحكام الكلمة قبل التركيب. والثاني: في أحكامها عند التركيب.

تناول في القسم الأول (أحكام الكلمة قبل التركيب) علم التصريف ضمنه مخارج الحروف وصفاتها .أمَّا القسم الثاني (احكام الكلمة عند التركيب) فقد تناول باب الإدغام وغيرها من الأبواب النحوية والصرفية[٣]. وقد جعل أبو حيان كتابه سهل التناول وقريبًا إلى النفس بحيث تتلذذ بتتبع موضوعاته وتفصيلاته؛ لأن طريقة عرضه للموضوعات سهلة سلسلة ومفهومه مبتعد عن التعقيد وذكر العلل والخلافات التي لا فائدة منها، وابتعد عن مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين في التحديد والتوضيح والتعليل. لذا يُعدّ كتاب **(ارتشاف الضرب)** ثمرة الاجيال المتعاقبة من سيبوبه إلى عصره لبلوغ موضوعات النحو والصرف ذروتها في التبويب والترتيب، جمع فيه مؤلفه ما جمع من قواعد النحو والصرف وأصولهما[٤].

وخلاصة القول: إنَّ منهج علماء التجويد عامة وفي الأندلس خاصة منهجٌ شاملٌ من ناحية، وصوتي خالص من ناحية أخرى، إذ ألفوا كتبًا مستقلة لبحوثهم الصوتية بعد أن كانت مبعثرة في كتب علماء العربية من نحو وصرف، وزادوا عليها مما جعلها تشكل علمًا مستقلًا وميزوها بتسمية جديدة **(علم التجويد)** وبهذا اتضحت شخصية هذا العلم وعلى الرغم من اعتمادهم على جهود من سبقهم إلّا أنَّهم وضعوا بصمة لهم تميزهم عن غيرهم ، إذ كان هدفهم من تأسيس هذا العلم الصوتي الدقيق ضبط تلاوة القرآن الكريم وصون ألسنة المسلمين عن الوقوع في اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلَّا المقرئ الضابط المتقن .وتميزوا باعتنائهم بالتدريب العملي لنطق الأصوات وأكدوا إلى حاجة المتعلم إلى الأخذ عن الشيخ المتقن وحاجة الشيخ إلى إتقان تجويد الحروف حسب أصول علماء التجويد.

أما علماء اللغة في الأندلس فقد تنبهوا إلى الدراسة الصوتية مع بداية الدرس اللغوي وتعد دراستهم الأساس الذي قامت عليه الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، التي تتناسب مع حاجة الموضوعات التي

(١) ينظر: منهج أبي حيان النحوي الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب(بحث) : ٤٤.
(٢) ينظر: أبو حيان النحوي : ٣٧٦.
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٣٧٦-٣٧٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٣٧٨.

كانوا يعالجونها، ولم تكن نظرتهم شاملة ومستقلة تهدف إلى بيان النظام الصوتي للغة العربية وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق، فقد تناولوا القضايا الصوتية الصرفية تناولًا صرفيًا ولم تكن دراستهم دراسة صوتية خالصة. ولم يؤلفوا كتبًا مستقلة في الأصوات وإنما جاءت المادة الصوتية متناثرة في مؤلفاتهم ضمن الدراسة النحوية والصرفية.

المبحث الثاني

المصطلح الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

لقد أولى العلماء القدامى اهتماما كبيرًا بموضوع المصطلحات عن طريق اهتمامهم بموضوع اللغة وأبحاثها، فقد اعتمد المصطلح الصوتي على المادة الصوتية التي كانت مبثوثة في ثنايا الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية .وتعد المصطلحات الأساس الذي يقوم عليه كل نشاط علمي أيّاً كان نوعه ، والاصطلاح هو الاتفاق. بمعنى اتفاق جماعة على أمر مخصوص، ولا بد أنْ تنسجم المصطلحات مع منطق العلوم، وتعبر عن مضامين أفكارها، ويشترط في كل مصطلح وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، وعدم دلالته إلا على مدلول واحد جامع مانع مختصر يسهل تداوله(١).

إنَّ اهتمام القدامى وعنايتهم بالمصطلح الصوتي نتج عنه مصطلحات كثيرة وردت في مصنفاتهم، فكان من الضروري ههنا أنْ نسلط الضوء على المصطلحات التي وردت عند طرفي المعادلة في دراستنا لنعقد الموازنة بينهما من هذه الناحية، فتناولتُ المصطلحات الخاصة بأعضاء النطق ، ومخارج الاصوات، والمصطلحات الخاصة بصفات الاصوات، ومصطلحات التعامل الصوتي.

أولاً : مصطلحات أعضاء النطق

لا بدّ لدارسي الأصوات من معرفة ما يسمى بـ(أعضاء النطق) من حيث تكوينها، وكيفية استعمالها في إنتاج الصوت اللغوي، لأنَّ هذه المعرفة تعد الحجر الأساس لوصف الأصوات وصفًا علميًا تصنيفيًا(٢)، وقد أدرك علماء التجويد أثر أعضاء النطق في تكوين الأصوات، لذا درسوها على نحو تفصيلي للإفادة مما قدمه علم التشريح من معرفة. وجاء اختلافهم في استعمال المصطلح المعبر عن (أعضاء النطق) التي تسهم في إحداث الكلام ، فقد ورد عند مكي كلمة العضو وجمعها (أعضاء) حين تحدث عن الأصوات الخفية، اذ قال: (ولا يعتمد اللسان عند خروجها على عضو من أعضاء الفم)(٣)، وورد عند الداني في قوله: (وفك الأعضاء هو إخراجها من مواضعها)(٤) .أما القرطبي فاستعمل عبارة (آلة النطق)، وأورد ذكرها خمس مرات في كتابه (الموضح في التجويد). ومن ذلك عند الحديث على الفرق بين

(١) ينظر : المنهج الوصفي في كتاب سيبويه :٦٣.
(٢) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ١٣١-١٣٢.
(٣) الرعاية : ١٠٣.
(٤) التحديد : ٩٤.

التشديد والتليين، إذ قال: (إنَّ آلة النطق لا تعتمد على مخرج الياء والواو في التليين كما تعتمد عليه في التشديد)[١]، وقال في موضع آخر:(فأما وجوب إظهار النون عند حروف الحلق، فلأن حروف الحلق تباعدتْ عن مخرج النون ، وهي محتاجة إلى تمكن آلة النطق بها)[٢].

ونجد هذا المصطلح حاضرًا عند المحدثين، فاستعمل بعضهم كلمة (أعضاء) كمصطلح (أعضاء النطق)[٣] أو (الأعضاء الصوتية)[٤]، واستعمل بعضهم كلمة (جهاز) على غرار مصطلح (جهاز النطق)[٥]، أو(الجهاز النطقي)[٦]، أو(جهاز التصويت)[٧]، فالمحدثون لم يبتعدوا كثيرًا عن علماء التجويد التجويد في المصطلح، لأنَّ لفظتي (آلة) و(جهاز) متقاربة المعنى، لكن الجهاز يتضمن عدة الآت، والشائع استعمال (الآلة) بالأجهزة الصغيرة و(الجهاز) بالأجهزة الكبيرة[٨]، إلا أنَّ الدكتور غانم قدوري ذهب إلى أن ما استعمله علماء التجويد لمصطلح (آلة النطق) أو(أعضاء آلة النطق)، هو استعمال معجمي، يعد الأكثر دقة لما فيه من فهم شامل لعملية التصويت[٩].

ولا بدّ من معرفة أن جهاز النطق تحدده أعضاء معروفة عند القدامى والمحدثين، وسيتم تناولها مع ذكر الخلاف سواء في توضيحها، أو في المصطلح المعبر عنها، وهي كالاتي:

١ .الرئتان:

ذكرها بعض علماء التجويد من المتأخرين بأنها تقوم بدفع الهواء الذي يعدُّ مادة الصوت الأساسية[١٠]، أما علماء التجويد واللغة في الأندلس فلم يرد ذكرها عندهم ، لأنَّ عنايتهم كانت بالصوت الذي يبدأ تشكيله من الحلق، ولان وظيفة الرئتين اخراج الهواء وليس اخراج الصوت، فأغفلوا عن ذكرها ، واثبت الدرس الصوتي الحديث اهميتها، لانهما يعدان(العضو الفعال الذي يمد جهاز النطق بمادة الصوت

(١) الموضح في التجويد: ١٥٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٢.
(٣) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس):١٩، والمدخل إلى علم اللغة:٣٦.
(٤) ينظر: أصوات اللغة (أيوب): ٤٠.
(٥) ينظر : علم الأصوات (بشر) :٨١.
(٦) ينظر : مناهج البحث في اللغة : ٦٤، ودراسة الصوت اللغوي: ٨٠.
(٧) دروس في علم أصوات العربية : ١٧.
(٨) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):٢٣.
(٩) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٨٦.
(١٠) لطائف الاشارات :١٨٣/١.

"الهواء" ويكسبه خصوصية الحركة)[١]. فوصفوها بأنها عبارة عن كيسين مطاطين قابلين للتمدد والانكماش والانكماش عن طريق الضغط المتسلط عليهما من الحجاب الحاجز والقفص الصدري[٢]، وأكد الدكتور ابراهيم أنيس أهميتها، بقوله (بغير الرئتين لا تكون عملية التنفس وبغير التنفس لا يكون الكلام، بل لا تكون الحياة نفسها)[٣].

٢. الصدر:

ذكر سيبويه مصطلح (الصدر) في قسم من الاصوات المجهورة المشربة[٤]، وعلق الأستاذ شاده على ذلك، قائلا: (ويظهر من بعد ما يقوله في كتابه أنه يعد من آلات النطق الصدر ايضا، وليس ذلك غلطاً ؛لأنَّ الصدر يحوي الرئة والرئة مصدر النفس الذي هو جوهر كل صوت لغوي)[٥].

أما علماء التجويد فلم يستعملوا مصطلح الرئة، وإنما استعانوا بمصطلح الصدر مما يدل على تنبههم لوظيفة الرئة في إنتاج الأصوات ، فتطابق المصطلحان في المفهوم عندهم، واستعمل مكي مصطلح (الصدر) وكان يريد منه أقصى الحلق وليس الصدر، إذ قال :(تخرج منها عند النطق بها من آخر الصدر وما يليه من الحلق.)[٦]. وأكدها عند تحديد مخرج الهمزة قائلًا: (الهمزة أول الحروف خروجًا وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر)[٧]، واقتفى الداني أثرهم، قائلًا :(والهمزة :(والهمزة في أول الصدر وآخر الحلق)[٨]، وورد هذا المصطلح عند أبي حيان[٩]، ولم يرد هذا المصطلح المصطلح عند ابن مالك وابن عصفور.

٣.الحنجرة:

عدّها القدامى والمحدثون من أهم أعضاء آلة النطق، والأداة الأساسية للصوت الإنساني، لأنها تشمل على الوترين الصوتيين اللذين يهتزان مع معظم الأصوات هزات منتظمة، ويساعد معرفة عدد تلك

(١) الأصوات ووظائفها :٣٦، وينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (بحث): ١٣٠.
(٢) ينظر : دراسة الصوت اللغوي:٨٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث : ٢٧
(٣) الأصوات اللغوية :٢١.
(٤) ينظر : الكتاب :٤/ ١٧٤-١٧٥.
(٥) علم الأصوات عند سيبويه وعندن(دوريات) :٥
(٦) الرعاية : ٤٠، وينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث):٨٥.
(٧) الرعاية :١٩.
(٨) التحديد: ١٠٤.
(٩) الارتشاف :١/٦-٧.

الهزات بالحكم على درجة الصوت[١]، وقد احسَّ القدامى في الأندلس بأثر الوترين في نطق الأصوات وإعطائها صفة الجهر، على الرغم من كونهما غير مرئيين عن طريق التشريح[٢].وفي الدراسات الحديثة عُدّ مخرج الهمزة والهاء من الحنجرة[٣]، فالجزء الأقصى للحلق الذي أشار إليه القدامى هو ما يمثلها، وهذا وهذا ما اكده مكي في مخرج الهمزة، قائلًا: (وهي تخرج من أول مخارج الحلق مما يلي الصدر)[٤] وعلى الرغم من أن علماء التجويد في الأندلس عرفوا الحنجرة وأدركوا تأثيرها في إنتاج الأصوات، إلا أنهم لم يتمكنوا من وصفها وصفًا كاملًا، والعلة عدم تمكنهم منها عند النظر[٥].

وتتخذ الحنجرة شكل الصندوق، فالغضاريف تتصل بعضها ببعض على هيئة صندوق أو حجرة، ويغلب هذا الوصف عند أكثر المحدثين[٦] الذين اعتنوا بالحنجرة نتيجة لملاحظاتهم وتجاربهم المعملية واعتمادهم على الوسائل الآلية في توصيفها.

٤.الحلق:

وهو الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم[٧]، وقد شاع بين القدامى من علماء اللغة والتجويد مصطلح الحلق، وأولهم سيبويه الذي أحسَّ بطول هذه المنطقة، فعمد إلى تقسيمها على ثلاثة أقسام:(أقصاه، ووسطه، وأدناه)[٨]، اما علماء التجويد فقسّم مكي الحلق على ثلاثة أقسام، لكن بمصطلحات تختلف عن سابقيه وهي: آخر الحلق مما يلي الصدر واصطلح عليه باسم المخرج الأول من مخارج الحلق[٩] ثم المخرج الثاني[١٠] فالمخرج الثالث[١١]؛ لأنه اعتمد على تسمية الحرف نفسه ومخرجه، وكان تركيزه على ولادة الحرف دون اهتمامه بتقسيم الحلق[١٢]، والحال نفسه عند الداني والقرطبي وابن الطحان الذين جعلوا

(١) ينظر : الأصوات اللغوية (أنيس) :٢٠.
(٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٨٧.
(٣) ينظر : علم الأصوات (بشر): ١٢٣,١٢٢، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٥٨,٥٦.
(٤) الرعاية : ١١٩.
(٥) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٩٧.
(٦) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس):٢٠، ودراسة الصوت اللغوي :٨٠، ولغويات :١٧٠، والألسنية العربية :٣٤.
(٧) ينظر : المدخل الى علم الأصوات :٥٥.
(٨) الكتاب : ٤٣٣/٤.
(٩) ينظر : الرعاية :١١٩.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه:١٣٦.
(١١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٢.
(١٢) ينظر : الجهود الصوتية عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ٩٧.

الحلق على ثلاثة أقسام (أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه)[١] وكذا استعمله علماء اللغة في الأندلس كابن مالك، وابن عصفور، وأبي حيان[٢].

ويقع الخلاف بين القدامى والمحدثين في تحديد منطقة الحلق، فالمحدثون يحصرونه بالفراغ الواقع بين الحنجرة – أو الوترين الصوتيين– وأقصى الحنك. أما القدامى فيمدونه من موضع الوترين إلى اللهاة، وتعد الدراسات الحديثة منطقة الحلق موضعًا لإنتاج صوتي (الحاء والعين والخاء والغين مثلاً)[٣]، أما القدامى فإنهم يجعلون لها سبعة أحرف مقسمة على ثلاثة مخارج[٤] ولم يهتم علماء التجويد أيضًا بتحديد الحلق بقدر اهتمامهم بأقسامه، والسبب يعود إلى أنه يرتبط بمواقع إنتاج الأصوات الحلقية، وهذا من اختصاص علماء التجويد فالمهم عندهم توزيع الاصوات على المدرج الصوتي[٥]. ومن المحدثين من استعمل كلمة (البلعوم) بدلًا من كلمة (الحلق) وقسمه على ثلاثة أقسام هي: البلعوم الحنجري، والبلعوم الفموي ، والبلعوم الانفي[٦].

ويفهم مما تقدم أن الحلق عند المحدثين أقل مساحة مما هو عليه عند القدامى من علماء اللغة والتجويد، فهو عندهم شامل لأقصى الحلق والحنجرة والفراغ الذي بينهما، ويعد هذا الفراغ عند المحدثين هو الحلق[٧].

٥.الحنك الاعلى:

استعمل سيبويه مصطلح (الحنك الاعلى) للإشارة الى سقف الفم[٨]، وورد عند علماء التجويد فقال فقال مكي : (نطع الغار الأعلى، وهو سقفه)[٩]، وفي موضع آخر استعمل الحنك الذي لا تظهر أهميته إلا مع اللسان، في قوله: (ومن وسط اللسان إلى الحنك)[١٠]، واستعمله الداني والقرطبي وابن الطحان[١١]

(١) ينظر : التحديد: ١٠٤، والموضح في التجويد :٣٤، ومرشد القارئ :٣٠.
(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩، والممتع في التصريف : ٢/ ٦٦٨-٦٦٩، والارتشاف : ٦/١-٧.
(٣) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ) : ٢٧.
(٤) ينظر : العين :٥٨، والكتاب :٤٣٣/٤، والمصطلح الصوتي (الصيغ) :٢٧.
(٥) ينظر : أصوات اللغة (أيوب) : ٦٣.
(٦) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد (بحث) :٦.
(٧) ينظر : علم الأصوات (بشر) :١٣٨، والخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :٧.
(٨) ينظر : الكتاب :٤٣٣/٤، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩/١، والمقرب :٣٥٥، والارتشاف :٩/١.
(٩) الرعاية :١١٤.
(١٠) الكشف :١٣٩.
(١١) التحديد : ١٠٤-١٠٥، والموضح في التجويد:٣٤، ومخارج الحروف وصفاتها :٨١.

وورد عند ابن مالك وابن عصفور وأبي حيان[١]، وعرّف مكي مصطلح (اللثة) بقوله:(اللثة :اللحم المركب المركب فيه الأسنان)[٢]. أما القرطبي فعرّف (اللثة) بـ(أصول الثنايا)[٣].

وشمل سقف الفم عند المحدثين أربعة أقسام وهي اللثة أو (أصول الاسنان)، والجزء الصلب أو (وسط الحنك) من سقف الفم ويسميه بعضهم بالطبق ، ثم الجزء اللين أو (أقصى الحنك) ويسميه البعض بالغار، ثم اللهاة[٤].

٦.اللسان:

وهو عضو عضلي مرن، معقد التركيب، مكون من مجموعة من العضلات تساعده على الحركة باتجاهات مختلفة، مما جعله ذلك يُسهم بأثر كبير في إنتاج الأصوات اللغوية، حتى سميت اللغة باسم (اللسان)[٥]، وله وظيفة بارزة في عمليات النطق، وقد أدرك القدامى من علماء التجويد واللغة هذه الأهمية الأهمية فاستعملوه ليؤدي معنى اللغة. وقد قسم سيبويه اللسان على أربعة أقسام (أقصى اللسان، ووسطه، وحافته، وطرفه)[٦]، وهو تقسيم رباعي، ففي القسم الأول شارك فيه صوت (القاف)، والثاني: شارك فيه الجيم والشين والياء، أما الثالث: فهو لمخرجي (الضاد) و(اللام). والرابع: في تحديد مخرج (النون، والطاء، والدال، والتاء، والزاي، والسين، والصاد، والظاء، والذال، والثاء)[٧] وتابعه العلماء من بعده في هذا التقسيم[٨]. أما مكي فقد كرر ذكر اللسان في مواضع عديدة من كتابه (الرعاية)، وذلك عند عرضه لمخارج الحروف وصفاتها وألقابها، وجاء تقسيمه للسان على (أقصى اللسان، ووسطه، وحافته، وطرفه)[٩] وطرفه)[٩] إلا أنه كان يسمى (طرف اللسان) أحيانا بـ(أسلة اللسان) أو (ذلقه)، أي: إن طرفَ اللسان وذلقه وأسلته واحدٌ عند مكي[١٠].

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩/١، والمقرب :٣٥٥، والارتشاف :٩/١.

(٢) الرعاية : ١١٥.

(٣) الموضح في التجويد :٧٩، وينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ):٣٨

(٤) ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :١٣٤-١٣٥، ودراسة الصوت اللغوي:١٠٥-١٠٦.

(٥) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية :٥٧.

(٦) الكتاب :٤٣٣/٤.

(٧) المصدر نفسه:٤٠٥/٤ ،٤٣٣.

(٨) ينظر : سر صناعة الاعراب : ٦٠/١، والنشر في القراءات العشر : ٢٠٠/١.

(٩) ينظر: الرعاية :١٤٥، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٢.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه:١١٤، ١١٥، ١١٨.

وأطلق على المجال الذي يسترخي فيه اللسان في لحظة هدوئه تسمية .(قاع الفم)[١]، ومثله فعل القرطبي[٢] واستعاض الداني به عن الفم، فيذكر باب ذكر حروف الحلق، وباب ذكر حروف اللسان[٣] وجاء تقسيمه أيضا على مذهب سيبويه، إذ قال: (اعلموا أن حروف اللسان ثمانية عشر صوتا، وله عشر مخارج، وينقسم جميعها على أربعة أقسام: اقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافته)[٤]، وقد استعمل كل من مكي والداني والقرطبي مصطلح (ظهر اللسان)[٥]، ووورد هذا المصطلح عند علماء اللغة كابن مالك، مالك، وابن عصفور، وأبي حيان[٦].

اما المحدثون فيقسمون اللسان على ثلاثة أقسام: أقصاه، ووسطه، وطرفه .اذ جعلوا حافة اللسان أو ذلقه داخلا في طرفه[٧] في حين يقسم د. أحمد مختار عمر اللسان على خمسة أقسام: حد اللسان، وطرفه، ومقدمته، ومؤخرته، وأصل اللسان[٨] وهو ما ذهب إليه الدكتور صلاح حسنين، إلا أنه أسقط (حد اللسان) فيجعله أربعة أقسام[٩].

٧.الأسنان:

إنَّ للأسنان أثرًا بارزًا في انتاج عدد من الأصوات، وقد اهتم بها علماء التجويد وعلماء اللغة، فقد ذكر سيبويه أقسامها دون ذكر عددها، وذكر أنواعها من الاضراس والضاحك والناب والرباعية والثنية بشكل تفصيلي[١٠]، وهذا التقسيم ذكره المستشرق الالماني شاده، بقوله: (نشاهد غاية التفصيل مثلًا في تقسيمه للأسنان،وقد قسمها إلى الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس)[١١]فإنَّ سيبويه استعان بالأسنان

(١) الرعاية: ٩٩، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٩١.
(٢) الموضح في التجويد : ٧٨-٧٩.
(٣) ينظر :الإدغام الكبير : ٤٩,٥٤.
(٤) ينظر: التحديد:١٠١، ومرشد القارئ :٣٠.
(٥) ينظر :الكشف :١٣٩/١، والتحديد :١٠٢ ، والموضح في التجويد:٧٩.
(٦) ينظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩/١،والممتع في التصريف : ٤٣١/١،والارتشاف:٨/١-١٠.
(٧) ينظر : علم اللغة(السعران):١٣٨-١٣٩،وعلم الأصوات(بشر) : ١٣٨.
(٨) ينظر : دراسة الصوت اللغوي:١٠٧.
(٩) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):٤٤.
(١٠) ينظر: الكتاب : ٤٠٥/٢، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٩٣.
(١١) المدخل إلى علم اللغة :٣٣.

والأضراس لتحديد المناطق الأمامية من الحنك الاعلى، وهدفه من ذلك الوصول إلى وصف دقيق لسقف الفم بتحديد أجزائه المقابلة للأسنان(١).

أما علماء التجويد فلم يتجاوزوا ما ذهب إليه سيبويه، فقد ذكروا أنواع الاسنان عند تناولهم مخارج بعض الحروف، فذكر مكي ومن تابعه من علماء التجويد مصطلح: (ما فويق الثنايا)(٢)، واستعمل (الثنايا العليا) عند ذكره لصفة الاطباق والاستعلاء في حرف الظاء، إذ قال: (والظاء أمكن مماسة للثنايا)(٣)، أما مصطلح الثنايا السفلى فوردت في قوله: (وفويق الثنايا السفلى)(٤) وذكر الأضراس قائلاً: قائلاً: (وما يلي من الاضراس)(٥) أما الضاحك والناب والرباعية والثنية فلم يذكرها مكي، إلا أنها ورت عند الداني، إذ قال: (مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية)(٦)وتابعه القرطبي(٧). وقد تناول ابن مالك مصطلح (فويق الثنايا)(٨) و(الأضراس)(٩)، وهذا ما ورد عند أبي حيان(١٠)، وابن عصفور كذلك (١١)، وتناول مصطلح (الأسنان)(١٢).

أما المحدثون فمنهم من أشار إلى الاسنان وقسمها على قسمين: الأسنان العليا والأسنان السفلى(١٣) ومنهم من فصّل القول في هذا العضو تفصيلًا ذاكرًا أنواعها وعددها وصفاتها(١٤).

(١) ينظر :الأصوات عند سيبويه : ٢٨ ، والمصطلح الصوتي(الصيغ):٣٩.
(٢) ينظر : الرعاية :١٦٧، والتحديد: ١٠٢، والموضح في التجويد :٧٩، ومرشد القارئ :٣٨.
(٣) ينظر : الكشف ١٣٩، والتحديد ١٠٢.
(٤) ينظر : الرعاية ١٨٣، والكشف:١٣٩، والإدغام الكبير:٥٤، والموضح في التجويد:٧٩.
(٥) ينظر : الرعاية :١٥٨،والتحديد:١٠٢، والموضح في التجويد: ٧٩.
(٦) التحديد:١٠٣، وينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ١١١.
(٧) ينظر: الموضح في التجويد: ٧٨.
(٨) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩/١.
(٩) ينظر: المصدر نفسه:٣١/١.
(١٠) ينظر: الارتشاف : ٩/١ ، ١٠.
(١١) ينظر: الممتع في التصريف :٦٦٩/١، ٦٧٠.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه :١/ ٧٠٥.
(١٣) ينظر : علم اللغة(سعران):١٤٠، وعلم الأصوات(بشر) :١٤٠.
(١٤) ينظر : أصوات اللغة(أيوب) :٨٢.

٨. الشفتان:

إنَّ الشفتين من أعضاء النطق المهمة، وهما من أعضاء النطق المتحركة[١]، ووظيفتها في تأدية الحركات أبرز من وظيفتها في تأدية الأصوات الصامتة[٢]، وقد بيّن العلماء وظيفتها في إنتاج الأصوات[٣]، فقد ورد هذا المصطلح عند سيبويه[٤] ومن تابعه من علماء التجويد واللغة في الأندلس[٥]. الأندلس[٥].

يخرج من الشفتين ثلاثة أصوات وهي: (الباء والميم والواو)، وتنبه القدامى إلى وظائفها الحركية كالانضمام[٦] والانطباق والانفصال اللذان ذكرهما الداني[٧] أما عبد الوهاب القرطبي فاستعمل لفظ (التطابق) دون الانفصال[٨] واستعمل مكي لفظ (التلاصق) بدل التطابق[٩] جعل مكي الشفتين مخرجًا لأربعة صوامت وهي (الفاء والباء والميم والواو غير المدية وصائت واحد ذي مقدارين كميين هما الضمة الطويلة (الواو المدية) والضمة القصيرة)[١٠]. أما المحدثون فتناولوا الشفتين وذكروا خصائص كل حركة[١١]، وعبروا عن حركاتها بمصطلحات (لانفراج والحياد والاستدارة)[١٢].

٩.الخياشيم :

يعد سيبويه أول من استعمل مصطلح (الخياشيم)، فقد خصّ هذا الفراغ لصوت النون الخفيفة فقط، إذ قال: (من الخياشيم مخرج النون الخفيفة)[١٣]. وذهب الدكتور غانم قدوري إلى أن سيبويه بين أن

---

(١) ينظر : علم الأصوات(بشر): ١٤٠.
(٢) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):٤٨.
(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٩٢.
(٤) ينظر : الكتاب :٤/٤٣٣.
(٥) ينظر : الرعاية :٢٠١، والتحديد :١٠٣، والموضح في التجويد : ٧٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٨٣، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩، والممتع في التصريف:٦٧٠، والارتشاف :١/١٠.
(٦) ينظر : الكتاب :٤/٤٣٦.
(٧) ينظر : التحديد :١٠١,١٠٦.
(٨) ينظر: الموضح في التجويد:٣٦.
(٩) ينظر: الرعاية :٢٠٣، والدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ١١٣.
(١٠) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) : ١٣٧.
(١١) ينظر : أصوات اللغة(أيوب) : ٨٥-٨٦.
(١٢) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث : ٢٥.
(١٣) الكتاب : ٤/٤٣٤.

الهواء يأخذ طريقه منها حين النطق بالنون والميم ، إلا أنه لم يبين المقصود منها[١]وتابع علماء التجويد واللغة في الأندلس سيبويه في استعمال كلمة (الخياشيم)[٢]، وعرّفه مكي بقوله: (والخيشوم الذي يخرج منه منه هذه الغنة هو المركب فوق غار الحلق)[٣]، أما الداني فجاء تعريفه أكثر دقة، إذ قال: (والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الفم)[٤]، واستعمل القرطبي مصطلح الخيشوم، مبينًا وجهي الشبه بين حروف المد وصوت الغنة، إذ قال: (هي صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المد واللين في مواضعها)[٥] لم لم يستقر علماء التجويد واللغة على تسمية الصوت الخارج من الخياشيم فمنهم من تبع سيبويه باستعمال مصطلح (الخفية)[٦]، ومنهم من أطلق تسمية (الخفيفة)[٧]، ومنهم من عبر عنها بـ(المخفاة)[٨]. أما أبو أبو حيان فعبر عنها بـ(الخفيفة المخفاة)[٩].

أما علماء الصوت المحدثون فاستعملوا مصطلح (التجويف الأنفي)[١٠] تارة، ومصطلح (الفراغ الأنفي) تارة أخرى، وعرفوه: بأنه الفراغ الذي يندفع خلاله النفس في أثناء انغلاق طريق الفم[١١].

١٠. الجوف:

عدّ الخليل الجوف مخرجًا لحروف المد(الألف، والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها)[١٢]، وذكر سبب تسميتها، قائلًا: (سميت جوفًا؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة ،إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب اليه)[١٣].

---

(١) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٩٢.

(٢) ينظر : الرعاية :٢١٤، والتحديد : ١٠٣، والموضح في التجويد:٧٩ ، ومرشد القارئ :٣٨، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣١٩ ، والارتشاف :١١، والممتع في التصريف :٦٧٠.

(٣) الرعاية : ٢١٤.

(٤) التحديد : ١١٣.

(٥) الموضح في التجويد : ٨١، وينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري (بحث):١١٤.

(٦) ينظر : الممتع في التصريف :٦٧٠/٢، والمقرب:٦/٢.

(٧) ينظر : الرعاية :٢١٤، والموضح في التجويد: ٧٩.

(٨) ينظر: التحديد:١٠٣.

(٩) ينظر: الارتشاف : ١١/١.

(١٠) ينظر : علم الأصوات (بشر):١٤٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٢٤.

(١١) ينظر : الأصوات اللغوية(أنيس):١٩، وأصوات اللغة(أيوب) :٦٨.

(١٢) العين : ١/ ٥٧ : وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (بحث): ٩٤.

(١٣) العين :١/ ٥٧ ، وينظر : تهذيب اللغة : ٤٨/١.

أما سيبويه فلم يذكر هذا المصطلح، وإنما عدَّ حروف المد ذات مخارج أخرى وكذلك علماء اللغة[١].إلا أن علماء التجويد في الأندلس تابعوا الخليل في اعتماده بوصفه مخرجًا لحروف المد، فقد ورد ورد عند مكي ناسبًا إياه إلى الخليل، بقوله: (الحروف الجوفية، ويقال الحروف الجوف، جمع اجوف... مما أكد الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجوف)[٢]، أما الداني فقد ذكره بقوله: (وحروف الاعتلال أربعة، حروف المد واللين الثلاثة والهمز، ويقال لها: حروف الجوف لخروجها من الجوف ،أجوف)[٣]. وفسر القرطبي تسمية هذا المصطلح، بقوله: (وسميت جوفًا لأن مخرجها لا معتمد له)[٤]، وما يبدو أن الجوف يمتد من فوق الحنجرة إلى الشفتين، المسامي للحلق واللسان، إذا فتح الناطق الناطق فاه[٥]، ولأنَّ أكثر العلماء يعدون المخارج ستة عشر مخرجًا، وعدم عد الجوف مخرجًا، لذا شح وجود هذا المصطلح في كتبهم، وفضّل المحدثون وصف هذه الأصوات بالحركات[٦].

وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول: إنَّ سيبويه كان له الاثرُ الكبير في من تابعه من علماء العربية في ذكر أعضاء النطق، فقد وصفوها وصفًا يدل على معرفة واسعة واطلاع عميق، وإدراك سليم لوظائف جهاز النطق، على الرغم من اغفالهم لبعض أجزائه في إصدار الأصوات كالقصبة الهوائية والحنجرة التي تحدث بعضهم عنها بشكل مفصل إلا أنهم لم يحددوا ما بداخلها من الوترين الصوتيين، ويمكن حمل ذلك لعدم معرفتهم الواسعة بعلم التشريح. أما علماء التجويد فإنهم امتازوا عن سابقيهم بانهم وصفوا بعض اعضاء النطق وصفًا دقيقًا مستعينين بما توافر لهم من معلومات ذاتية دقيقة مع إيراد بعض الرسوم التوضيحية لها، وهذا لا يقلل من شأن جهود علماء العربية في وصف أعضاء جهاز النطق الذي جاء مقاربًا لوصف المحدثين[٧].

(١) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤،وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:٣٠٣/١، والممتع في التصريف:٦٧٣/٢-٦٧٤، والارتشاف: ٥١٢/٢، .

(٢) الرعاية : ١١٦.

(٣) التحديد:١٠٨.

(٤) الموضح في التجويد:٩٦.

(٥) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٩٤.

(٦) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ):٢١٠.

(٧) ينظر : منهج الدرس الصوتي عند العرب (بحث): ٥٤، ٦١ ، ٦٣.

ثانياً: مصطلح المخرج:

لغة: الخروج[١]. وفي الاصطلاح: (النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء، والتي يصدر الصوت فيها)[٢]. اخذ سيبويه هذا المصطلح واستعمله كثيرًا[٣]، واستعمله من جاء بعده من علماء علماء التجويد ، يقول مكي: (إنَّ للحروف ستة عشر مخرجًا، للحلق منها ثلاثة مخارج، وللفم ثلاثة عشر مخرجًا)[٤]، وأول من عرفه أبو عمرو الداني حين قال: (ومعنى المخرج انه الموضع الذي ينشأ منه الحرف)[٥]، وهناك من استعمل لفظ (المقطع) كالقرطبي في قوله:(الحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتدًا مستطيلا، فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيثما عرض ذلك المقطع سمي حرفًا، ويسمى ما يسامته ويحاذيه من الحلق والفم واللسان والشفتين مخرجًا)[٦]. إلا أنَّ هذا المصطلح لم يكن شائعًا والسبب في ذلك (أنَّ المقطع كان مصطلحًا وضع ليؤدي معنى المخرج، إلاَّ أنه لم يستطع أن يكتسب الشيوع، على الرغم من أنه كان أقرب من معناه إلى المراد، ولم يتيسر له عالم كبير له تأثير نفسي عظيم مثل الخليل أو سيبويه، وهو ما حدث لمصطلح المخرج)[٧].أما علماء اللغة فعرّفه ابن مالك ، قائلًا:(الموضع الذي ينشأ الحرف منه)[٨] وهذا ما جاء به أبو حيان أيضًا[٩]، أما ابن عصفور فاستعمل فاستعمل مصطلح المخرج، من دون توضيح أو تعريف له[١٠]. ويتبين مما سبق- أنَّ علماء اللغة في الأندلس لم يضعوا حدًا جامعًا مانعًا للمخرج، لانشغالهم بوضع مفاهيم عامة وليست حدودًا جامعة مانعة، لأنّ غرضهم إيصال الفكرة وتثبيتها في ذهن المتلقي. أما علماء التجويد لا سيما في الأندلس فقد وضعوا مفردات أخرى تدل على مصطلح المخرج كالحيز والموضع والمقطع[١١].

---

(١) اللسان :(خرج) ٢/ ٢٤٩.
(٢) مدخل إلى علم اللغة : ٤٣، والمدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٤١-٤٢.
(٣) ينظر : الكتاب :٤/٤٣٣، ٤٣٤.
(٤) الرعاية : ٢١٧.
(٥) التحديد : ١٠١.
(٦) الموضح في التجويد: ٧١.
(٧) المصطلح الصوتي : ٥٣.
(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.
(٩) ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) : ٣٣.
(١٠) ينظر : الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) :٤٣.
(١١) ينظر : مخارج الحروف وصفاتها الصائتة عند الدكتور غانم قدوري الحمد(مجلة) :٣٠.

ثالثاً: مصطلحات صفات الأصوات

الهمس والجهر:

الهَمْسُ لغة: الصوتُ الخَفِيُّ [١]. أما اصطلاحًا: (هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به)[٢]. والجَهرُ لغة: ارْتَفَعَ [٣]. واصطلاحًا: (هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان)[٤]. وهما صفتان متضادتان، فقد عرف سيبويه المهموس قائلًا: (حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)[٥]. والمجهور بقوله: (حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أنْ أنْ يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت)[٦]، وقد أعاد علماء التجويد واللغة في الأندلس استعمال ما جاء به سيبويه لمصطلحي الهمس والجهر[٧].

الشدة والرخاوة والتوسط:

الشدة لغة: جاء في اللسان: الصلابة وهي نقيض اللين[٨]. والمعنى الاصطلاحي: هو(حبس مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالًا فجائيًا، يحدث النفس المنحبس صوتًا انفجاريًا)[٩].

والرخاوة لغة: الشيء الهش[١٠]. أما اصطلاحًا: فهو(عدم انحباس الهواء انحباسًا محكمًا عند النطق بالصوت، إنما يكتفى بأنْ يكون مجراه عند المخرج ضيقًا جدًا مما يسمح بمرور النفس محدثًا نوعًا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعًا لنسبة ضيق المجرى)[١١].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط:(همس):٥٨١/١.
(٢) الأصوات اللغوية(أنيس):٢٣.
(٣) ينظر: القاموس المحيط:(جهر):٣٦٩/١.
(٤) الأصوات اللغوية(أنيس): ٢٢.
(٥) الكتاب :٤٣٤/٤.
(٦) المصدر نفسه : ٤٣٤/٤.
(٧) ينظر: الرعاية : ٩٢-٩٣، والتحديد : ١٠٤،والموضح في التجويد:٨٩،ومخارج الحروف وصفاتها :٨٧،والارتشاف :١٧/١، والممتع في التصريف :٢٧١/٢.
(٨) ينظر : اللسان (شدد) :٥٢٩/١.
(٩) الأصوات اللغوية(أنيس):٢٥.
(١٠) ينظر :اللسان: (رخا) :٣١٤/١٤.
(١١) الأصوات اللغوية(أنيس) : ٢٦.

وقد ورد المصطلحان عند سيبويه[١]، وجمع علماء التجويد واللغة بين المصطلحين[٢]، أما مصطلح التوسط فلم يرد عند سيبويه، إلا أنه ذكر كلمة (البينية) في العين[٣]. وورد مصطلح (التجافي) عند الداني، ومصطلح (ما بين الشدة والرخاوة) عند ابن الطحان [٤]. إلا أنَّ ابن مالك استعمل مصطلح (التوسط)[٥]، وتابعه أبو حيان في ذلك[٦].

الإطباق والانفتاح:

الاطباق لغة: (الطَّبَقُ غِطَاءُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَطْبَاق) [٧]. أما اصطلاحًا فهو:(أنْ يتخذ اللسان عند النطق بالصوت شكلاً مقعراً منطبقًا على الحنك الأعلى ، ويرجع إلى الوراء قليلًا)[٨]. والانفتاح لغة جاء في اللسان:(الفَتْحُ: نَقِيضُ الإغلاقِ) [٩]. واصطلاحًا:(هو عدم رفع مؤخر اللسان نحو الحنك الاقصى وتأخره نحو الجدار الخلفي للحلق عند النطق بالصوت)[١٠]. ورد هذان المصطلحان عند سيبويه، فالإطباق وصف تتصف بها أصوات (الطاء، الظاء، الصاد، الضاد)، والانفتاح ما عدا هذه الاربعة[١١]، وقد وافق علماء التجويد واللغة في الأندلس سيبويه في تناولهم لهذين المصطلحين[١٢]، إلا أنَّ مكيًا في تعريفه للإطباق استعمل لفظ (الريح) والذي عبر عنه سيبويه بـ(الصوت)، إذ قال: (حروف

---

(١) ينظر: الكتاب : ٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: الرعاية: ٩٣-٩٤، والتحديد : ١٠٤-١٠٥، والموضح في التجويد:٨٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٨٨، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠، والارتشاف :١/١٧، والممتع في التصريف :١/٢٧٢.

(٣) ينظر: الكتاب : ٤/٤٣٤-٤٣٥.

(٤) ينظر: التحديد:١٠٥، ومخارج الحروف وصفاتها:٨٩.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:٣٢٠.

(٦) ينطر: الارتشاف:١/١٧.

(٧) اللسان : (طبق):١٠/٢٠٩

(٨) الأصوات اللغوية(أنيس):٤٩.

(٩) اللسان : (فتح):٢/٥٣٦.

(١٠) علم الأصوات(بشر) :١٠٢.

(١١) ينظر: الكتاب :٤/٤٣٦.

(١٢) ينظر: الرعاية :٩٨، والتحديد:١٠٥، والموضح في التجويد:٩٠، ومخارج الحروف وصفاتها :٨٩، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠، والنكت الحسان :٢٧٩، والممتع في التصريف :١/٦٧٤.

الإطباق أربعة حروف الطاء والظاء والصاد والضاد، وإنما سميت بحروف الإطباق ،لأنَّ طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها مع استعلائها في الفم)[١].

الاستعلاء والاستفالة :

الاستعلاء لغة: العلو والارتفاع [٢]. وفي الاصطلاح: (أن يستعلى أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الاعلى)[٣]. أما الاستفالة لغة: النزول والانخفاض [٤]. وفي الاصطلاح (أن لا لا يستعلي اللسان بالحرف مثل استعلائه بالحرف المستعلي، كذا ذكر، وحروفها ما عدا السبعة المذكورة)[٥].

ورد مصطلح الاستعلاء عند سيبويه في الأصوات التي تمنع الإمالة[٦]، أما مصطلح الاستفالة، فورد فورد في قوله: (ألا تراهم قالوا: صبقت وصقت وصويق، لما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفل ثم يصعدون ألسنتهم، أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء وان لا يعملوا في الاصعاد بعد التسفل)[٧]واستعمل علماء التجويد واللغة في الأندلس هذين المصطلحين أيضًا[٨]، إلاَّ أن القرطبي وابن عصفور استعملا مصطلح (الانخفاض) بدل (الاستفالة)[٩].

التفخيم والترقيق :

التفخيم لغة :التعظم والتفخيم[١٠]. واصطلاحًا :التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت[١١]. أما الترقيق لغة: نقيضه[١٢].

---

(١) الرعاية : ٩٨.
(٢) ينظر: اللسان(علو): ١١/ ٥٤٢.
(٣) جهد المقل :١٢٤.
(٤) ينظر: اللسان (سفل) :٦٥٧/١١.
(٥) جهد المقل :١٢٤.
(٦) ينظر:الكتاب:٤/ ١٢٨ ،١٩٩.
(٧) المصدر نفسه:١٣٠/٤.
(٨) ينظر: الرعاية :٩٩،والتحديد:١٢٤، والموضح في التجويد:٩١، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣، والنكت الحسان :٢٧٩، والممتع في التصريف :٦٧٥/١.
(٩) ينظر : الموضح في التجويد:٩١، والممتع في التصريف :٩٧٥/١.
(١٠) ينظر :اللسان (فخم):٤٤٩/١٢.
(١١) علم الأصوات(بشر) :١٢٧، وينظر: محاضرات في اللغة :١٠٥.
(١٢) ينظر :اللسان (رقق) :١٢١/١٠.

والمعنى الاصطلاحي: هو الأثر السمعي الناشئ عن عدم تراجع مؤخرة اللسان بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت[١].

تناول سيبويه مصطلح التفخيم عند وصفه أحد أصوات الفروع المستحسنة[٢]، ووافقه علماء التجويد واللغة في الأندلس في استعمال المصطلح[٣]،وتناول الداني والقرطبي مصطلح (التغليظ) مرادفًا لمصطلح (التفخيم)، اذ قال الداني في التيسير: (اعلم أنَّ ورشاً كان يغلظ اللام إذا تحركت بالفتح)[٤] وقال أيضًا: (وقد روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظها... والقراء بعد يرققونها من غير افحاش)[٥]، أما القرطبي فقد قال: (والفرق بين الألف وبين حروف الترقيق والتغليظ والاستعلاء والإطباق إنَّ هذه الأشياء يتغير بها ذات الحرف بخلاف الألف فإنها تتغير بتغير الحركة قبلها) [٦]. أما مصطلح الترقيق فلم يرد عند سيبويه ومن تابعه من علماء اللغة، غير أبي حيان فقد تناول هذا المصطلح[٧]،وورد عند علماء التجويد والقراءات، واستعملوه مقابلًا لمصطلح التفخيم[٨].

القلقلة:

لغة: الحركة والاضطراب[٩]. واصطلاحًا: صوت يشبه النبرة عند الوقف على عدد من الأصوات وإرادة إتمام النطق بهنَّ[١٠]. فقد ورد مصطلح القلقلة عند سيبويه في باب الوقف، إذ قال: (إنّ من الحروف حروفًا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن

(١) علم الأصوات(بشر) :١٢٧،ومحاضرات في اللغة :١٠٥.
(٢) ينظر: الكتاب :٤/٤٣٢.
(٣) ينظر : الرعاية :١٠٤، والتحديد:١٤٩، والموضح في التجويد:١١٠، والانباء في تجويد القرآن :٦٦، والنكت الحسان الحسان :٢٨٣، والممتع في التصريف :٢/٦٧٤.
(٤) التيسير :٥٣.
(٥) التحديد:١٥٦-١٥٧.
(٦) الموضح في التجويد:١١٠.
(٧) الارتشاف :١/١٣.
(٨) ينظر:الرعاية:١٦٢,١٦٩، والتبصرة:١٤٤، والتيسير:٥٧، والانباء في تجويد القرآن:٦٦، والمصطلح الصوتي(الصيغ):١٥١.
(٩) ينظر : اللسان (قلل):٢/٦٢٦.
(١٠) ينظر : الرعاية : ١٢٤.

موضعه، وهي حروف القلقة)[١] وقد تابع علماء التجويد واللغة في الاندلس سيبويه في استعمال مصطلح مصطلح القلقة[٢].

التكرير:

لغة: الاعادة والترجيع[٣]، واصطلاحًا: وهي صفة لصوت يتكون (بأن يتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعا)[٤]، إ ذ خصَّه سيبويه لصوت الراء قائلًا: (ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء)[٥]، ووافقه علماء التجويد واللغة في الاندلس باستعمال هذا المصطلح[٦].

التفشي:

لغة: التوسع[٧].واصطلاحًا(ان يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش)[٨]. لقد خص سيبويه هذا المصطلح لصوت الشين، إذ قال: (هو ان ينتشر الصوت بالحرف بعد بعد خروجه حتى يخالط مخرج غيره)[٩]، وتابع علماء التجويد واللغة سيبويه في استعمل هذا المصطلح[١٠]، واستعمله مكي والقرطبي باسم (المخالطة) في تعريفهم لصفة التفشي[١١].

---

(١) الكتاب : ٤ /١٧٤.

(٢) ينظر: الرعاية :١٠٠، والتحديد:١٠٨، والموضح في التجويد:٩٣، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٦، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:٣٢٠، والارتشاف : ١١/١، والممتع في التصريف :٦٧٥/٢.

(٣) ينظر : اللسان(كرر):١٣٥/٥.

(٤) علم الأصوات(بشر):٣٤٥.

(٥) الكتاب : ٤٣٥/٤.

(٦) ينظر: الرعاية :١٠٦،والتحديد:١٤٨،والموضح في التجويد:٩٢، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٥، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:٣٢٠، والنكت الحسان :٢٨٠، والممتع في التصريف :٦٧٥/٢.

(٧) ينظر :اللسان (فشا):٢٦٩/١٥.

(٨) أثر القراءات في الاصوات والنحو العربي :٢٠٩.

(٩) الكتاب : ٤٣٢/٤.

(١٠) ينظر: الرعاية :١٠٩، والتحديد:١٠٦، ١٠٧، والموضح في التجويد:٩٦، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٤، والارتشاف: ١٢/١، والنكت الحسان :٢٨٠، والممتع في التصريف :٦٨٨/٢.

(١١) الرعاية :١٤٩، والموضح في التجويد:٩٦.

الاستطالة:

لغة: الامتداد مطلقا[١]. واصطلاحًا: امتداد الصوت من أول حافة اللسان الى آخرها [٢]. وقد خصّ سيبويه هذا المصطلح في صوتي الضاد والشين[٣]، ووافق علماء التجويد واللغة الاندلسيون سيبويه سيبويه في استعمال هذا المصطلح، إلا أنهم صرحوا بأن الاستطالة لا يوصف بها الا الضاد[٤] أما القرطبي فلم يذكر هذه الصفة بشكل مستقل، وإنما ذكرها في حديثه عن صفة التفشي، إذ قال: (والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ولذلك سميت الحرف المستطيل)[٥].

الصفير:

لغة: (والصَّفِير: مِنَ الصَّوْتِ بِالدَّوَابِّ إِذا سُقِيَتْ، صَفَرَ يَصْفِرُ صَفِيراً) [٦]. واصطلاحًا :وهو صوت يسمع عند نطق ثلاثة أصوات حيث يضيق مجرى الهواء عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيرًا عاليا[٧]. ذكره سيبويه لثلاثة أحرف هي: الصاد والسين والزاي، إذ قال: (أما الصاد والسين والزاي: والزاي: فلا تدغمن في هذه التي ادغمت فيهن، لأنهن حروف صفير)[٨]، واتفق علماء التجويد واللغة في في الأندلس مع سيبويه في تناول هذا المصطلح[٩].

الانحراف:

لغة: حرف عن الشيء: عدل [١٠]. واصطلاحًا : صفة لصوت يتصل طرف اللسان مع اللثة في انتاجه فينحرف مرور الهواء فيخرج من جانبي اللسان[١١]. ذكره سيبويه لوصف اللام، اذ قال: (ومنها

---

(١) ينظر : القاموس المحيط (طال): ١٤٤/١.

(٢) جهد المقل: ١١٣.

(٣) ينظر: الكتاب :٤٣٢/٤ ، ٤٤٦، ٤٥٧، ٤٧٠.

(٤) الرعاية: ١٠٩، والتحديد: ١٠٧، ومخارج الحروف وصفاتها: ٩١، والارتشاف: ١٢/١، والنكت الحسان: ٢٨٠، والممتع في التصريف: ٦٨٩/٢.

(٥) الموضح في التجويد: ٩٦.

(٦) ينظر: القاموس المحيط (صفر):٤٦٤/٤.

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) : ٧٤.

(٨) الكتاب :٤٦٤/٤.

(٩) ينظر: الرعاية :١٠٠، والتحديد: ١٠٦، والموضح في التجويد : ٩٧، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٤، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣١٩، والنكت الحسان :٢٧٩.

(١٠) ينظر: اللسان (حرف)٨٩/٤.

(١١) ينظر: المصطلح الصوتي(الصيغ):١٧٧.

المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت)[١]، وقد ورد هذا المصطلح بالاستعمال نفسه عند علماء التجويد واللغة في الاندلس[٢].

(١) الكتاب :٤/٤٣٥.

(٢) ينظر: الرعاية :١٠٧، والتحديد: ١٠٧، والموضح في التجويد :٩٢، ومخارج الحروف وصفاتها: ٩٥، وتسهيل الفوائد الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠ ، والنكت الحسان : ٢٨٠، والممتع في التصريف :٢/٦٧٨

رابعًا: مصطلحات التركيب الصوتي

الإدغام:

الإدغام لغة: أَدْخَلَهُ [١]. أما اصطلاحًا: فهو (أنْ تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل بينهما على أنْ يُصَيَّرا حرفًا واحدًا مغايرًا لهما بهيئة وهو الحرف المشدد، وزمانه أطول من زمان الحرف الواحد المخفف وأقصر من زمان الحرفين المخففين)[٢].

ورد هذا المفهوم عند سيبويه في آخر باب من أبواب كتابه سماه (باب الإدغام)، وتحت هذا العنوان جمع مادته الصوتية[٣]، أما مكي والقرطبي فقد استعملا مصطلح (التشديد) مع (الإدغام)، قال مكي: (ومنه ما أصله حرفان منفصلان في الوزن، وإنما يشدد للإدغام، نحو (ميّت) و(هيّن) و(ليّن) و(سيّد)، وشبهه وهو كثير أيضًا، ومن هذا الأصل ما هو من كلمتين وقع أيضًا فيه التشديد لأجل الإدغام نحو "بل ران" و"من لدنه")[٤]، وقد فَرَّقَ مكي بين التشديد بسبب الادغام والتشديد اصلا في الكلمة ، وكذلك الداني[٥].

الإدغام التام والإدغام الناقص :

ورد الإدغام التام والإدغام الناقص عند علماء التجويد كالداني وابن الطحان[٦]، وأوضح سيبويه مصطلح ادغام المتماثلين والمتقاربين كتقسيم آخر من أقسام الإدغام[٧]، يكون الأول بين صوتين هما صوت واحد مكرر مثل شدّ ومدّ، أما الثاني فيكون بين الأصوات المشتركة في المخرج او المتقاربة في المخارج[٨] ولم يذكر مكي مصطلح المتجانسين ، إلا أنه أشار إليه بمصطلح (الشبيه بالمتماثلين)[٩].

---

(١) ينظر :القاموس المحيط (دغم):١/١١٠٧.

(٢) جهد المقل :١٥٥.

(٣) ينظر: الكتاب :٤/٤٣١.

(٤) الرعاية : ٢١٩، والموضح في التجويد:١٣٩، وينظر: المصطلح الصوتي(الصيغ):٢٤٠.

(٥) ينظر: التبصرة :١٠٩، والتيسير :٤١، والمصطلح الصوتي(الصيغ):٢٤١.

(٦) ينظر: التحديد:٩٨، ومرشد القارئ:٥١.

(٧) ينظر: الكتاب : ٤/٤٣٧ .٤٤٥.

(٨) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ):٢٣٦.

(٩) ينظر: الكشف : ١/ ١٣٤.

الإدغام الكبير والإدغام الصغير :

ورد مصطلح (الإدغام الكبير) عند الداني، فقد وضع في هذا كتابًا جليلًا سماه (الإدغام الكبير في القرآن الكريم) تناول فيه كيفية الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء مع حروف المعجم جميعها[١]،وتناول كل من مكي والداني القسم الآخر (الإدغام الصغير) لكن ليس بهذا العنوان، نحو (شدّ – شدد) فإنه يكون في المثلين عندما يكون الأول ساكنًا والثاني متحركًا، وحكمه واجب أو يكون في كلمتين منفصلتين ويسمى منفصلًا نحو (اضرب بكرا) [٢].

الإبدال:

لغة: وضع شيء مكان شيء[٣]. واصطلاحًا: هو الحرف القائم مقام غيره[٤]، وقد أشار سيبويه إلى إلى هذا المصطلح في باب سماه (باب حروف البدل)[٥]. وذكره ايضاً في أثناء حديثه عن الأصوات التي يبدل منها كقوله عن الهمزة: (اعلم أنَّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والبدل)[٦]، وتابعه علماء التجويد واللغة باستعمال مصطلح (الإبدال)[٧].

الإمالة والفتح:

الإمالة لغة: تنحية الشيء عن موضعه[٨]. واصطلاحًا: (جنوح بالألف إلى صوت الياء، وبالفتحة وبالفتحة إلى صوت الكسرة)[٩]. بيَّن سيبويه هذا المصطلح كضرب من التقارب بين حروف المد، قائلًا: (فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أنْ يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي .... التماس

(١) ينظر: الإدغام الكبير:٦٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٣٣٩.
(٢) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) :٨٦، والدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :١٠٧.
(٣) ينظر: جهد المقل :٢٤٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢٤٢.
(٥) ينظر: الكتاب :٢٣٧/٤.
(٦) المصدر نفسه:٥٤١/٣.
(٧) ينظر: الرعاية :٩٧–٩٨، والتحديد: ١٠٨، والموضح في التجويد :٩٢ ،ومرشد القارئ: ٥٢، وشرح الكافية الشافية : : ٢٠٧٧/٤ ، والمزهر في علوم اللغة وانواعها :٤٦١/١، والممتع في التصريف :٢١٣/٢.
(٨) ينظر: اللسان (ميل):٧٧٠/١.
(٩) دروس في علم أصوات العربية :١٥٦.

الخفة)[١]، وقد وافقه علماء التجويد واللغة في الأندلس في توظيف هذا المصطلح[٢]، وتناول سيبويه (الكسر) أيضًا للتعبير عن الامالة[٣]، الذي تبعه في استعماله كل من الداني وأبي حيان[٤]. أما ابن الطحان فقد أورده مع الضد منه (الفتح) في قوله : (الفتح عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير مماله الى مذاق الكسر...والامالة: عبارة عن ضد الفتح وهي نوعان : إمالة صغرى وإمالة كبرى، فالإمالة الصغرى حدها ان ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلًا... والإمالة الكبرى حدها أنْ ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف الى الكسرة كثيرا ونهاية ذلك أن لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء)[٥].

الروم والاشمام:

الروم لغة: (رَامَ الشيءَ يَرومُهُ رَوْماً ومَراماً: طَلَبَهُ) [٦]. واصطلاحًا وهو: (النطق بالحركة بصوت خفي)[٧]، أو (النطق ببعض الحركة)[٨].

الاشمام لغة: المقاربة [٩]، أما اصطلاحًا فهو حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقف على الصوت دون اتباعه حركة الضم[١٠]. ذكر سيبويه مصطلحي الروم والاشمام[١١]، وتابعه علماء التجويد واللغة في استعمالهما[١٢].

---

(١) الكتاب:١١٧/٤.

(٢) ينظر: الكشف: ١٦٨/١،والتحديد:١٥٨، ومرشد القارئ:١٣٤-١٣٥، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٥، وسبك وسبك المنظوم في المختوم :٢٨٠، والممتع في التصريف :٦٧٨/٢.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢٨٧/٣، ١٢٠.٨/٤

(٤) ينظر: التحديد: ٩٩، وتفسير البحر المحيط: ٣٧/٤.

(٥) مرشد القارئ : ١٣٤-١٣٥.

(٦) اللسان (روم) :٢٥٨/١٢.

(٧) النشر :١٢١/٢.

(٨) المصدر نفسه: ١٢١/٢.

(٩) ينظر: اللسان: (شمم)٣٢٦/١٢.

(١٠) ينظر: الكتاب: ١٦٨/٤، والمصطلح الصوتي(الصيغ): ٢٤٧.

(١١) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٦٨.

(١٢) ينظر: التبصرة :١٠٤-١٠٥، والتحديد:١٦٥، والموضح في التجويد:٢٠٩، ومرشد القارئ:١٣٥، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:٣٢٩، والارتشاف :٨٠٨، والمقرب :٢٥/٢.

المدّ:

المدّ لغة: التطويل مطلقا[١]. واصطلاحًا: (هو إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ الثلاثة بزيادات مختلفة على المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد الا به)[٢].

ورد مصطلح المدّ عند سيبويه، بقوله :(وإن شئت اجريت الصوت ومددت)، وجعل حروف المدّ وحرفي اللين في حزمة صوتية واحدة، في قوله: (ولا تدغم الياء وان كان قبلها فتحة ولا الواو وإنْ كان قبلها فتحة مع شيء من المقاربة لان فيهما مدًا ولينًا)[٣]. ووافق علماء التجويد واللغة سيبويه في استعمال مصطلح (المدّ)[٤].

(١) ينظر: القاموس المحيط: (مدد) :٣١٨/١.

(٢) النشر: ٣١٣/١.

(٣) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(٤) ينظر: الرعاية: ١٠١، والتحديد:١٠٦، والموضح في التجويد: ١٢٨، ومرشد القارئ: ٥٠، وشرح الأشموني على الفية الفية ابن مالك: ٤٠٧/٢-٤٠٨، والارتشاف: ٥١٢/٢، والممتع في التصريف: ٦٧٣/٢-٦٧٤.

توطئة:

لقد حظي موضوع مخارج الحروف بعناية كبيرة من لدن علماء العربية عامة، وعلماء التجويد خاصة، إذ بذلوا جهودا متميزة في دراستها؛ لأهميتها الكبيرة في تحقيق السلوك الوظيفي من جهة، وضبط أداء النص القرآني عن طريق إعطاء الحرف حقه ومستحقه من جهة ثانية، فتوصلوا إلى نتائج متميزة لا تقل أهمية عما جاء به المحدثون على الرغم من اعتمادهم على الذائقة الذاتية.

وكان لتلك الجهود الأثر الكبير في تأسيس الدراسات الصوتية المستقلة التي نهض بها علماء التجويد فكان حرصهم على مخارج الأصوات أشد من غيرهم ،إذ خصصوا كتبًا مستقلة ببحوثهم الصوتية التي عرفت بكتب التجويد، وأفردوا لمخارج الأصوات أبوابًا خاصة بها، يتضح ذلك من قول الداني: (اعلموا أنَّ قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها من بعض، وان اشترك في المخرج)[١]. والغالب عند علماء التجويد في الأندلس استعمالهم لفظة (المخرج) قال الداني في تعريفه: (المخرج إنه الموضع الذي ينشأ منه الحرف)[٢]، وهو تأثر واضح لما عند الخليل وسيبويه، فقد عرّف ابن مالك المخرج في: باب مخارج الحروف قائلًا: (مخرج الحرف الموضع الذي ينشا الحرف منه)[٣] وجاء حدّ أبي حيان للمخرج مشبهًا لقول الداني قال:(هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف)[٤] وكان منهجه مخالفًا لمنهج جمهور النحاة في دراسة الصوت اللغوي بجعله دراسة الصوت المفرد مقدمة لدراسة أحكام الإدغام والإبدال ، لكنه لم يبعد عن الأصول التي دُرس فيها الصوت اللغوي مفردًا[٥]، وعلى الرغم من استعمال أبي حيان للحيز إلا أنّه لم يحدد فهمه له ، إلا أنّ تكرار لفظ (الحيز) عنده يتضح في دلالته على المخرج، فمثلًا قوله في مخارج اللام والنون والراء: (والذلقية ، قال مكي: الراء واللام والنون وفي بعض نسخ العين للخليل: حروف الذلق ..... وثلاثة في حيز اللام والراء والنون)[٦].

أما ابن عصفور فقد استعمل مصطلح المخرج إلا أنه لم يذكر تعريفًا له فبدأ يذكر المخارج دون توضيح وبذلك جاء ابن عصفور متأثرًا في فكر سيبويه، وقد انسلت أفكاره إلى جميع علماء العربية من بعد ، ومن ضمنهم أهل الأداء؛ لشعورهم بدقته وإتقانه فيها. قال الداني وهو يتحدث عن مخارج الحروف:

---

(١) التحديد:١٠١، وينظر: مخارج الحروف وصفاتها الصائتة عند الدكتور غانم قدوري الحمد(مجلة): ٢٧.

(٢) التحديد: ١٠١.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.

(٤) النكت الحسان : ١٧٥

(٥) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :٣٣.

(٦) الارتشاف :١٢/١، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي (بحث) :٣٥.

(وانا اذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه)[١]، وقال القرطبي: (أما تحقيق ذواتها وذكر مخارجها وتبين أجناسها وذكر مراتبها في الاطراد فنذكره على ما ذكره سيبويه _رضي الله عنه _ ورتبه في نسخة أبي بكر مبرمان، وتلاه أصحابه وغيرهم من المتأخرين عليه، لأنه المعتمد)[٢].

وتركزت عنايتهم على مخارج الأصوات التسعة والعشرين الأصول وهذا ما ذهب إليه سيبويه[٣]، ومنهم القيسي في قوله:(الحروف التي يؤلف منها الكلام تسعة وعشرون حرفًا)[٤]، وكذلك هي عند الداني والقرطبي[٥]، أما ابن الطحان فقد رأى أنها ثلاثة وثلاثون حرفًا في قوله: (هذه الأصوات الثلاثة والثلاثين وهي الحروف الأصول) [٦].وجعلها أبو حيان سبعة وعشرين حرفًا قائلًا:(حروف العربية عددا ومخرجا وصفة فعددها سبعة وعشرون حرفا خلافا للمبرد في زعمه أنَّ الهمزة ليست منها)[٧] وكانت تسعة وعشرين عند ابن عصفور[٨].

وقد نال ترتيب سيبويه للمخارج إعجاب المحدثين الذين يشهدون له بالدقة والاتقان، فقد فذهب المستشرق الالماني أ. شاده الى أن سيبويه (بلغ في تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدقة ما يعسر علينا الزيادة والاصلاح ، وإنْ كانت عباراته تحتاج في بعض الأمكنة إلى التفسير)[٩].

ويعد ترتيب سيبويه لمخارج أصوات العربية هو الأشهر، فقد جعل عدد المخارج ستة عشر مخرجًا في قوله :(لحروف العربية ستة عشر مخرجًا)[١٠]، وهذا المذهب جرى عليه أكثر علماء العربية وكثير من علماء التجويد لا سيما في الأندلس، فمكي القيسي ينص صراحة على أن: (للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجاً للحلق منها ثلاثة مخارج)[١١] وفي موضع آخر يبدو مؤيدًا لكلام سيبويه وأكثر النحويين في قوله:(اعلم أنَّ سيبويه وأكثر النحويين يقولون إنَّ للحروف ستة عشر مخرجًا

---

(١) التحديد: ١٠١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :١٥١-١٥٢.
(٢) الموضح في التجويد :٧٧.
(٣) ينظر: الكتاب :٤/٤٣١.
(٤) الرعاية : ٧٢.
(٥) ينظر: التحديد:١٠١، والموضح في التجويد:٧٧.
(٦) مخارج الحروف وصفاتها: ٥٩.
(٧) الارتشاف : ٥.
(٨) الممتع في التصريف:٢/٦٦٣.
(٩) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا(دوريات) :١٥، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٢.
(١٠) الكتاب : ٤/٤٣٣.
(١١) الرعاية : ١١٨، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٣.

للحلق منها ثلاثة مخارج، وللفم ثلاثة عشر مخرجًا)[١]. وله رأي آخر في كتابه (**الكشف**) في جعلها خمسة عشر مخرجًا قصد الاختصار فقال: (اعلم أنَّ المخارج على الاختصار ثلاثة: الفم والحلق والشفتان)[٢].

وفي موضع آخر من كتابه (الرعاية) يفهم منه أنَّ عدد المخارج سبعة عشر مخرجًا متأثرًا بمنهج الخليل الذي جعل الحروف الجوفية في مخرج مستقل عند حديثه عن(الحروف الجوفية) وهي: الألف والواو والياء، ويسميها أحيانًا (الحروف الهوائية)[٣]، وقد بيّن ابن الجزري صحة ما ذهب إليه الخليل ومكي في كتابه النشر قائلًا:(فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب)[٤].

أما الداني والقرطبي فقد تبعا سيبويه في أنها ستة عشر مخرجًا بالقول نفسه فقال الداني : (فأما حروف المعجم فهي تسعة وعشرون حرفًا، ولها ستة عشر مخرجًا)[٥]، وصرح الداني بأسماء من عدها أربعة عشر مخرجًا فقال: (وزعم الفراء وقطرب والجرمي وابن كيسان إنَّ مخارج الحروف أربعة عشر مخرجًا، فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج، وهو طرف اللسان ، وجعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج)[٦].

وخالفهم ابن الطحان وعدها خمسة عشر مخرجًا بإسقاط المخرج السادس عشر من الخياشيم للنون الخفية وهي النون المخفاة التي تصير غنة في الخيشوم، إذ قال: (وهي تسعة وعشرون حرفًا، خمسة عشر مخرجًا في ثلاثة مواطن)[٧].ويرى أحد الباحثين أنَّ ابن الطحان كان الأصوب من غيره؛ لأنَّ المخارج موضوعة للأصوات الأصلية وليس للأصوات الفرعية، والنون الخفية صوت فرعي، لذا اكتفى بمخرج النون الأصلية[٨]. وعدّ ابن عصفور المخارج ستة عشر مخرجا قوله: (وهي ستة عشر مخرجا)[٩]،

(١) الرعاية: ٢١٧.
(٢) الكشف :١٣٩، وينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :١٤٠.
(٣) العين: ٥٧/١ ، وينظر: الرعاية :١٠٢
(٤) النشر: ١٩٨/١.
(٥) التحديد: ١٠١ ، وينظر: الموضح :٧٨.
(٦) التحديد: ١٠٣.
(٧) مخارج الحروف وصفاتها : ٧٩، وينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث) : ٣٣.
(٨) ينظر : ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث) :٣٣.
(٩) المقرب : ٢/ ٥.

أما أبو حيان فتبع الجمهور قائلًا:(والمخارج ستة عشر، خلافًا لقطرب والجرمي والفراء وابن دريد في زعمهم أنها أربعة عشر)[١].

أما المحدثون فقد اختلفوا في عدد المخارج فمنهم من جعلها تسعة مخارج[٢] ومنهم من ذهب بأنها عشرة مخارج[٣] أما الدكتور محمود السعران فعدها أحد عشر مخرجا[٤] في حين ذكر الدكتور عبد الرحمن ايوب بأن عددها اثنا عشر مخرجا[٥]. والسبب هو التطور الصوتي للأصوات التي تغيرت مدارجها كما في صوت الضاد.

واتفق القدامى من علماء التجويد واللغة على ترتيب مخارج الحروف ترتيبها ترتيبا تصاعديا يبدأ بأقصى نقطة في آلة النطق والتي يسمونها (اقصى الحلق) ثم يتدرج صاعدا منتهيا بالشفتين، فاختاروا البدء بالأقصى دون الأدنى، لأن مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الإنسان، وأن أول نقطة يمكن أن ينتج فيها صوت لغوي عدّوها أول المخارج وهي اقصى الحلق (الحنجرة)على عكس طريقة المحدثين، فإنهم يبدأون بالشفتين وينتهون بأقصى الحلق (الحنجرة)[٦]. ومما يأتي تفصيل عن المخارج الصوتية عند علماء الأندلس:

أولًا: الحلق: وهو على أقسام ثلاثة هي:

١. أقصى الحلق:

قول سيبويه:(فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها الهمزة والهاء والألف)[٧]، لم يخرج مكي القيسي والداني والقرطبي وابن الطحان عن منهج سيبويه في ترتيبه مخارج الأصوات وعباراته التي غدت أشهر من أن تكرر، إذ قال مكي: (الهمزة أول الحروف خروجًا، فهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر)[٨]، وفي هذا النص يشير مكي إلى نقطتين: أحداهما: أنَّ للهمزة مخرجًا وهو أقصى الحلق مما يلي الصدر. والأخرى: إنَّ منطقة الحلق لها مخارج متدرجة أقصاها هذا المخرج. إذ

(١) الارتشاف :١/٥.
(٢) ينظر :دروس في علم أصوات العربية : ٢٢، ودراسة السمع والكلام :٢٠٠-٢٠١.
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة :١١٠-١١١، دراسة الصوت اللغوي :٣١٥-٣١٩.
(٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ:١٨١-١٨٢.
(٥) ينظر: أصوات اللغة(أيوب): ١٩٩، والمدخل الى علة الأصوات العربية :٩٥.
(٦) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٦٣-١٦٤.
(٧) الكتاب: ٤/٤٣٣، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٦٦.
(٨) ينظر: الرعاية: ١١٩.

حدد موضعه بدقة من آخر الحلق والملاصق للصدر[١]. وأشار الدكتور حيدر ميران إلى أنَّ منهج القيسي يكاد يكون منهجًا جديدًا في دراسة الصوت العربي لأنه وصف الهمزة وصفا شاملًا جامعًا على مستوى المفرد والوظيفة، فهو ساير القدامى في وصف الصفات، لكنه جمعها مع وظيفتها[٢].أما الداني فقد جعلها تخرج من المنطقة المحصورة بين أول الصدر وآخر الحلق فقال: (فالهمزة في أول الصدر وآخر الحلق)[٣] وتابع القرطبي كلام من سبقه بقوله: (فمن الحلق ثلاثة منها أقصاها مخرجا الهمزة)[٤] أما ابن الطحان فقد قال: (أقصى الحلق ووسطه وادناه، من أقصاه آخره، مما يلي الصدر ،تخرج الهمزة)[٥]، وهذا يشير إلى حال النطق بالهمزة فأن الوترين الصوتين لا يسمحان بمرور الهواء من الحنجرة، ثم ينفرجان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوت الهمزة[٦].

أما مخرج الهاء فقد وافق مكي القيسي ترتيب سيبويه في جعلها ثاني حروف الحلق، فقال مكي: (الهاء تخرج من مخرج الهمزة ،من وسط المخرج الأول من حروف الحلق)[٧]، أما من جاء بعد مكي من علماء التجويد فقد خالفوا سيبويه في ترتيب بعض أصوات المخرج الواحد ومنها الهاء، فجعلوها ثالث حروف الحلق بعد الألف، فقال الداني:(فللحلق منها ثلاثة مخارج... ثم الهاء فوق الألف وهو آخر المخرج الأول)[٨]، وقال القرطبي: (فمن الحلق ثلاثة منها، أقصاها مخرجًا الهمزة والألف والهاء)[٩]، وذكر ابن الطحان أنها (من أقصى الحلق وآخره ،مما يلي الصدر، تخرج الهمزة والألف والهاء)[١٠].

وكأن آخر حروف الحلق عند سيبويه الألف، وتبعه مكي مفصلًا الحديث عن مخرجها بقوله: (الألف مخرجها من مخرج الهمزة والهاء ،من أول الحلق .لكن الألف حرف يهوي في الفم ،حتى ينقطع مخرجه في الحلق، فنسب في المخرج إلى الحلق ،لأنه آخر خروجه)[١١]، أما الداني فعد الألف ثاني حروف الحلق وبين آلية نطقها بقوله: (فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء... ثم الألف تليها، وهي

(١) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد: ٣٤.
(٢) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه، ١٦٢-١٦٣.
(٣) التحديد: ١٠١.
(٤) الموضح في التجويد: ٧٨.
(٥) مخارج الحروف وصفاتها: ٧٩.
(٦) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٦٧.
(٧) الرعاية: ١٢٩.
(٨) التحديد: ١٠١.
(٩) الموضح: ٧٨.
(١٠) حروف الحروف وصفاتها: ٨٠.
(١١) الرعاية: ١٣٤.

صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء من أجزاء الفم)[١]، وعقب القرطبي بعد ذكر مخرج الألف بأنها لا معتمد لها في مدرجة الفم[٢].

أما علماء اللغة في الأندلس فلم يختلفوا عن علماء التجويد في اتباعهم إمام اللغويين سيبويه على اختلاف عباراتهم، فابن مالك يقول: (أقصى الحلق للهمزة والهاء والألف)[٣]، أما ابن عصفور فقال: (فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء هكذا هي الثلاثة عند سيبويه)[٤]، ويرى أحد الباحثين أنَّ تقديم هذا الحرف على ذاك ليس قضية خلافية وإنما ناتجة عن عدم معرفتهم بالصفات المميزة للصوتين اللذين من مخرج واحد[٥]، ويرى ابن عصفور أنَّ الألف إذا تحركت اعتمد بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبت همزة[٦]. أما أبو حيان فقال: (الهمزة ، والهاء، والألف على رتبة واحدة)[٧]، وفي النكت حدد منطقة أقصى اللسان للمخرج الأول بقوله:(المخرج الأول: اقصى اللسان مما يلي الصدر)[٨]، وبذلك وافق أبو حيان سيبويه بإدخال الألف في أصوات الحلق مع الاختلاف في الترتيب، لأنَّ سيبويه يرى: (أنَّ الهمز أقصى الحلق وأشد سفولاً وكذلك الهاء لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها. وإنما الألف بينهما)[٩].

وقد اتفق المحدثون مع القدامى بما يخص صوت الهمزة بأنها تخرج من أول مواضع النطق غير أنهم سموا هذا الموضع أقصى الحلق، وهو الحنجرة عند المحدثين. وهذا يدل على حقيقة إدراكهم أنَّ الهمزة أسبق الأصوات مخرجا[١٠]، ويبدو أنه لا فرق بين وصف القدامى والمحدثين سوى أنَّ منطقة الحلق عند القدامى تشمل المنطقة الممتدة من الحنجرة إلى اللهاة ، أما المحدثون فقالوا مخرجها من الحنجرة لأن الحلق عندهم يمثل الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى الحنك[١١]، فمنطقة الحلق أوسع عند القدماء مما عليه عند المحدثين. ومنهم من وافق القدامى بجعل مخرج الهمزة والهاء من أقصى الحلق[١٢]، ويرى

(١) التحديد: ١٠١.
(٢) ينظر: الموضح: ٧٨.
(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.
(٤) الممتع في التصريف: ٦٦٨/٢.
(٥) ينظر: الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث): ٤٣.
(٦) ينظر: منهج ابن عصفور الأشبيلي في النحو والتصريف(بحث): ١٩٨.
(٧) الارتشاف:٦/١.
(٨) النكت الحسان: ٢٧٥، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث): ٩٥.
(٩) الكتاب: ٢٥٣/٢.
(١٠) ينظر: دراسات في علم اللغة(بشر): ٦٦.
(١١) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٧.
(١٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٢٣.

المحدثون أنَّ صوت الهاء يخرج من الحنجرة كالهمزة ولا فرق بينهما إلا أن الوترين الصوتيين يتباعدان مع الهاء وينطبقان مع الهمزة أو يقتربان فتضيق بينهما مع الهاء وتغلق الفتحة مع الهمزة[١].

٢. وسط الحلق:

قال سيبويه: (ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء)[٢] ووافق علماء التجويد سيبويه مؤكدين تقديم العين على الحاء قال مكي عن صوت العين :(تخرج من أول المخرج الثاني من مخارج الحلق الثلاثة مما يلي الفم)[٣] وقوله في (الحاء): (تخرج من مخرج العين المذكور ،وهو المخرج الثاني من الحلق فهي بعد العين)[٤]، فما يفرق بين العين والحاء داخل المخرج الكلي هي البحة في الحاء، قال مكي نقلًا عن الخليل:(لولا بحة في الحاء لأشبهت العين يريد في اللفظ ،إذ المخرج واحد، والصفات متقاربة)[٥] أما الداني فقال :(وأوسطها العين والحاء، لأنهما من وسط الحلق)[٦] وقال القرطبي: (من وسط الحلق مخرج العين والحاء)[٧] وتبعهم ابن الطحان بقوله: (من وسطه تخرج العين، والحاء)[٨].

أما ابن مالك فقال: (ووسطه للعين والحاء)[٩]، وعزا ابن عصفور العين والحاء إلى وسط الحلق ولم يختلف عمن سبقه فقال: (فالمتوسطة منها العين والحاء)[١٠]. أما أبو حيان فذكر آراء العلماء بقوله: (وظاهر كلام سيبويه أنّ الحاء بعد العين وهو نص كلام مكي بن أبي طالب ويظهر من كلام المهداوي أنَّ العين بعد الحاء وهو نص أبي الحسن بن شريح)[١١]، ففي هذا النص لا يذكر موقفه من ترتيب أصوات الحلق فقد اكتفى بذكر اختلاف علماء العربية فيهما، أما في كتابه شرح التسهيل فقد تابع ابو حيان الحسنّ شريح والمهداوي من علماء التجويد في ترتيب الحاء قبل العين، فنقل القسطلاني رأي ابي

(١) ينظر: علم اللغة(السعران): ١٧٨.
(٢) الكتاب: ٤/٤٣٣.
(٣) الرعاية: ١٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٨.
(٥) المصدر نفسه: ١٣٨.
(٦) التحديد: ١٠١.
(٧) الموضح: ٧٨.
(٨) مخارج الحروف وصفاتها: ٨٠.
(٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.
(١٠) المقرب: ٢/٥ ، وينظر: الممتع في التصريف: ٢/ ٦٦٩.
(١١) الارتشاف: ١/٧.

حيان قوله: (هذا هو الاظهر والحاء مما انفرد بها العرب في كلامها ،ولا توجد في كلام غيرها، والعين مما انفردت بكثرة استعمالها، فإنها قليلة في كلام بعض الأمم، ومفقودة في كلام كثير منهم)[١].

أما المحدثون فيرتبون هذين الصوتين مبتدأين بالحاء ثم العين؛ لأنهم يهبطون في ترتيبهم من أعلى إلى أدنى، فوصفوا العين والحاء بأنهما صوتان حلقيان[٢]، ويتم نطق العين بتضييق الحلق عند لسان المزمار ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يكاد يتصل بالحائط الخلفي للحلق وفي الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي وتهتز الأوتار الصوتية. وهذا ما يميزه عن الحاء لأنَّ الأوتار الصوتية لا تتذبذب مع الحاء بخلافه مع العين[٣].

٣. أدنى الحلق:

قال سيبويه: (وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء)[٤]، أما مكي فقال: (الخاء تخرج من أول المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم)[٥]، وقال في الغين: (تخرج من مخرج الخاء وبعدها، وهو آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق مما يلي الفم)[٦] وهنا خالف مكي سيبويه بتقديمه الخاء على الغين؛ لأن الخاء أعمق من الغين، وأنَّ الغين أقرب إلى اللهاة منها إلى أدنى الحلق، بدليل أن الغين تتبادل مع القاف والكاف في بعض اللهجات العربية ،والقاف صوت لهوي والكاف حنكي قصي، فهما إذن اقرب إلى اللهاة. وأنَّ وصف القاف عند القدماء بالجهر يدل على أنها تشبه إلى حد كبير صوت الغين، والسودانيون يبدلونها في قراءتهم للقرآن غينًا أو شيئًا قريبًا من الغين لذلك تكون الخاء أقرب إلى الحلق والغين أقرب الى اللهاة فكان ترتيبهما عند مكي بحسب ذلك[٧]، أما الداني والقرطبي وابن الطحان فقد وافقوا سيبويه بتقديمهم الغين على الخاء، فقال الداني: (وأدناها الى الفم الغين والخاء)[٨]. قال القرطبي: (ومما فوق ذلك دانيًا إلى الفم مخرج الغين والخاء)[٩] وكذلك قال ابن الطحان : (ومن آخره مما يلي الفم، تخرج الغين والخاء)[١٠].

---

(١) لطائف الاشارات: ١٩٠.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس):٨٥ ، والأصوات اللغوية(عاطف فضل): ١٢٣.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٥٥.

(٤) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

(٥) الرعاية: ١٤٢.

(٦) المصدر نفسه: ١٤٣.

(٧) ينظر: الجهود الصوتية عند مكي بن أي طالب القيسي(بحث): ١٤٨.

(٨) التحديد: ١٠١. وينظر: الارجوزة المنبهة: ٢٨٩.

(٩) الموضح: ٧٨.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها: ٨٠.

أما علماء اللغة فقد قال ابن مالك: (وأدناه للغين والخاء)[١]، ووافق ابن عصفور سيبويه في ترتيبهما وعزاهما إلى منطقة أدنى الحلق، وأحس ابن عصفور بطول منطقة الحلق فعمد إلى تقسيمها إلى أقصى الحلق ووسطه وأدناه شانه في ذلك شان سيبويه، فقال:(وأدنى مخارج الحلق إلى اللسان: الغين والخاء)[٢] وقال أيضًا: (وأدناها إلى اللسان الغين فالخاء)[٣].أما أبو حيان فقال: (وادنى الحلق الى الفم وهو الغين والخاء، ويظهر من كلام سيبويه أنَّ الغين قبل الخاء، وهو قول أبي الحسن، ونص مكي على تقديم الخاء فيه على الغين، وزعم ابن خروف أن سيبويه لم يقصد ترتيبًا فيما هو من مخرج واحد)[٤]. إذ لم يشر أبو حيان في (ارتشاف الضرب) إلى ما ذهب إليه في رتبة الغين والخاء، واكتفى بذكر مذاهب علماء العربية بذلك .وذكر السيوطي ترجيح أبي حيان في تأخر رتبة العين بعد الحاء، ورتبة الغين قبل الخاء[٥].

أما المحدثون فلم يهتموا بترتيب الأصوات داخل المخرج لأنهم لا ينظرون إلى ترتيبها ضمن المخرج ،إنما في تحديد المخرج وتسميته فمنهم من ذهب إلى أنَّ مخرج الغين والخاء من أدنى الحلق[٦] ومنهم من ذهب إلى أنَّ مخرجهما من اللهاة[٧] ومنهم من ذهب إلى أن مخرجهما من الطبق[٨] أما الفريق الرابع فذهب إلى أنَّ مخرجهما من أقصى الحنك[٩].

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.

(٢) الممتع في التصريف: ٦٦٩/٢، وينظر: الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث): ٤٦.

(٣) المقرب: ٥/٢.

(٤) الارتشاف:٧/١-٨.

(٥) ينظر: همع الهوامع: ٢٩٢/٦.

(٦) ينظر: التطور النحوي: ١٣.

(٧) ينظر: دروس في علم اصوات العربية: ١١٣.

(٨) ينظر: علم اللغة(الضامن): ٥٤.

(٩) ينظر: علم اللغة(لسعران): ١٧٧.

ثانيًا: اللسان: وهو يقع في أربعة مناطق هي:

١. أقصى اللسان

قال سيبويه: (ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف)[١]، ويفرق سيبويه بين مخرجي القاف والكاف بطريقة عملية قائلًا: (انك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: قق قق، لم تر ذلك مخلًا بالقاف ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان اخلّ ذلك بهن فهذا يدلك على أن معتمدها على الحنك الاعلى)[٢] وتبعه مكي في القاف قائلًا: (تخرج من المخرج الأول من مخارج الفم مما يلي الحلق، من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك)[٣]، ثم قال في الكاف: (تخرج من المخرج الثاني من مخارج الفم بعد القاف مما يلي الفم)[٤]، وقال الداني: (فأقصى اللسان له مخرجان وحرفان وهما القاف والكاف، فالقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك والكاف من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك)[٥]، ووافقهم القرطبي بزيادة في تحديد المخرج بقوله: (ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك مخرج القاف، ومن اسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا وأدنى الى مقدم الفم وما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف)[٦]، وكذلك تابعهم ابن الطحان مع بعض الزيادات محاولا الوصول الى وصف أقرب قائلًا: (فمن اقصى اللسان ،وما يليه من الحنك الاعلى تخرج القاف، ومن ذلك الاقصى ،منفرجا عن الحنك الاعلى مستقلا الى الحنك الأسفل، تخرج الكاف)[٧]، واختلف ابن الطحان عن سيبويه باستعماله عبارة (مما يليه) بدل من عبارة (فوقه) للتعبير عن المخارج[٨].

واختصر ابن مالك في تحديد مخرج القاف فقال: (وما يليه للقاف)[٩] وكذلك اكتفى في مخرج الكاف فقال: (وما يليه للكاف)[١٠] أما أبو حيان فعدّ مخرج القاف في الارتشاف المخرج الرابع بالنسبة للمخارج الستة عشر فقال: (المخرج الرابع (الاول) أقصى اللسان، وهو القاف وهو مما يلي الحلق وما فوقه من

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٦٧.

(٢) الكتاب: ٤٢٧/٢.

(٣) الرعاية: ١٤٥.

(٤) الرعاية: ١٤٧.

(٥) التحديد: ١٠١-١٠٢ .

(٦) الموضح: ٧٨.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها: ٨١.

(٨) ينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث): ٣٧.

(٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.

(١٠) المصدر نفسه: ٣١٩.

الحنك، وقال شريح: القاف مخرجها من أول اللهاة فيما يلي الحلق ومخرج الخاء منه)[١]. وفي مخرج الكاف قال: (ثاني اقصى اللسان، وهو الكاف من أسفل مخرج القاف، من اللسان قليلًا، وما يليه من الحنك)[٢] .أما ابن عصفور فقال: (ومن أقصى اللسان فما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف)[٣]. وقال في مخرج الكاف: (ومن أسفل من موضع القاف قليلا وما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف)[٤].

أما المحدثون فينسبون القاف الى اللهاة فهو عندهم صوت لهوي، فمنهم من قدم مخرج القاف على المخارج الثلاثة الاخرى(غ خ ك) فيكون ترتيبهم على النحو (ق/ غ خ ك) بمعنى أنَّ القاف تكون من اللهاة والحروف الثلاثة من أقصى الحنك[٥]، ومن المحدثين من جعل الحروف الثلاثة من اللهاة والقاف من أقصى الحنك فيكون ترتيبهم على النحو (غ خ ك / ق)[٦] وآخرون اتفقوا مع القدامى في جعل الغين والخاء من أدنى الحلق، والقاف من اللهاة أو أقصى اللسان والكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم[٧].

٢. وسط اللسان :

قال سيبويه: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء)[٨]، وقد قدّم مكي الشين على الجيم والياء خلافًا لترتيب سيبويه فقال: (الشين تخرج من المخرج الثالث من مخارج الفم، بعد مخرج الكاف متوسط اللسان بينه وبين وسط الحنك)[٩]، وقال في الجيم: (تخرج من مخرج الشين)[١٠] ثم قال عن الياء : (تخرج من مخرج الشين والجيم المذكورين وهو المخرج الثالث من مخارج الفم)[١١]. ويرى المرعشي أنَّ تقديم مكي الشين على الجيم مبني على الناحية الشكلية فقط ، فالوارد في

(١) الارتشاف:١/٨.
(٢) المصدر نفسه: ١/٨.
(٣) المقرب: ٢/٥، والممتع من التصريف: ٢/٦٦٩.
(٤) المقرب: ٢/٥، والممتع من التصريف: ٢/٦٦٩.
(٥) ينظر: التشكيل الصوتي: ٥٤.
(٦) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٢٣.
(٧) ينظر: محاضرات في اللغة :٩٨.
(٨) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.
(٩) الرعاية: ١٤٩.
(١٠) المصدر نفسه: ١٥٠.
(١١) المصدر نفسه: ١٥٣.

كتاب الرعاية يشير إلى أن مكيًا يعد الحروف الثلاثة من مخرج واحد ولكنه حين أراد الحديث عن الخصائص الصوتية لكل حرف كان لا بد ان يقدم بعضها على بعض فبدأ بالشين ،ثم الجيم، ثم الياء[١].

أما الداني فقد وافق ترتيب سيبويه، إذ قال: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك مخرج واحد وثلاثة أحرف، وهي الجيم والشين والياء)[٢]، وتبعه القرطبي واصفًا كيفية خروج الياء في قوله: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، إلا أن الياء تهوي في الحلق وتنقطع عند مخرج الالف)[٣]، وكذلك ابن الطحان في قوله: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، تخرج الجيم والشين والياء)[٤].

أما ابن مالك فقال: (وما يليه للجيم والشين والياء)[٥]، ويحدد أبو حيان المخرج السادس عشر ويذكر آراء العلماء فيه بقوله في الارتشاف: (المخرج السادس وهو للجيم والشين والياء، وهي من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، خلافًا للخليل في الياء إذ زعم أنها هوائية لا مخرج لها كالألف . ويظهر أن الجيم قبلهما، خلافًا للمهدوي في زعمه أن الشين تلي الكاف، والجيم والياء يليان الشين)[٦].

ويتبين من هذا النص إنَّ أبا حيان قد زاد على كتابه (النكت) عبارة (وسط اللسان) إذ قال : (وبين وسط الحنك) فقد كان مطابقًا لوصف سيبويه، وأنه قصد بالياء الياء المدية التي جعلها الخليل هوائية، وأفصح أيضًا عن رتبة الجيم بقوله: (ويظهر أن الجيم قبلهما) ويدعم هذا القول السيوطي بقوله: (وقدم أبو حيان الجيم)[٧]، أما الشين والياء فالأرجح أنّ صوت الشين قبل الياء لأنها جاءت في الارتشاف على التسلسل (ج ش ي)، وقال ابن عصفور: (ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء)[٨] فلم يخرج عن تحديد وترتيب من سبقه.

أما المحدثون فقد تباينت آراؤهم في ترتيب هذه الأصوات، فضلًا عن خلافهم في نسبتها لأعضاء النطق. فمنهم من تابع المتقدمين فذهب إلى أن مخرجها من وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى[٩]

---

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٧٢- ١٧٣، والدرس الصوتي عند المرعشي(بحث): ١٠٣.

(٢) التحديد: ١٠٢.

(٣) الموضح: ٧٨.

(٤) مخارج الحروف وصفاتها: ٨١.

(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣١٩.

(٦) الارتشاف: ٨.

(٧) همع الهوامع: ٢٨٨/٦، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٠٣.

(٨) المقرب: ٥/٢،الممتع من التصريف: ٦٦٩/٢.

(٩) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣١، والتطور النحوي: ١٣.

التي أطلق عليها جان كانتيو بالأدنى الحنكية[١]. وأيد الدكتور كمال بشر هذا الوصف وذكر أنه تقدير جيد وسليم لكن خالفه بوصفه لهذه المجموعة باللثوية الحنكية[٢].

وذهب فريق آخر إلى أن مخرج هذه الاصوات منطقة الغار وهو الجزء الصلب من الحنك[٣]وتابع الدكتور إبراهيم أنيس المتقدمين بجعل مخرج الجيم والشين من وسط الحنك[٤] وجعل الدكتور السعران مخرجها لثويا حنكيا ومخرج الياء حنكيا وسطيا[٥].

(١) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٢٣.

(٢) ينظر: علم الأصوات(بشر): ١٥٤.

(٣) ينظر: علم اللغة (الضامن): ٥١.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٥.

(٥) ينظر: علم اللغة(السعران): ١٧٦-١٧٧.

٣. حافة اللسان:

خُصّ هذا المخرج عند علماء العربية في صوتي(الضاد، واللام) ، فالضاد: (من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)[١]، وهذا الوصف الذي ذكره سيبويه هو أول تحديد مخرجي في التراث العربي، الذي شابهه التغيير والتحريف، وقد تابعه جلّ علماء العربية مرددين قول سيبويه، قال مكي:(الضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس، فبعض الناس تجري له في الشدق الأيمن، وبعضهم يجري له في الشدق الأيسر ومخرجها من هذا كمخرجها من هذا)[٢]. وتابعه ابن مالك قائلاً: (أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس للضاد)[٣]،وكذلك ابن عصفور قائلًا: (ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد وتتكلف من الجانبين الايمن والايسر)[٤]. ويعد مخرج الضاد عند أبي حيان السابع في المخارج الستة عشر في قوله: (هي من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل. وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين خلافًا لمن ذهب الى أنها تختص بالجانب الأيمن، وخلافًا للخليل في زعمه انها شجرية من مخرج الجيم والشين)[٥] ويتضح لنا من النص ان ابا حيان عند وصفه لمخرج الضاد لم يكتف بـ (حافة اللسان)، كما في النكت الحسان وإنما زاد عليها قوله:(من أول تلك الحافة) وأشار الى المنطقة التي تلتقي بها تلك الحافة مع الأسنان بقوله:(وما يليه من الاضراس) وذهب الى أن الضاد تخرج من الجانبين لكن من الجانب الأيسر وهو ما عليه أكثر العرب أمكن من اخراجها من الجانب الأيمن الذي عليه الأقلية[٦]، والدليل على ذلك وصفه مخرج اللام بقوله: (يأتي اخراجها من كلتا حافتي اللسان اليمنى واليسرى إلا أنّ إخراجها من حافته اليمنى امكن ،بخلاف الضاد، فإنها من اليسرى أمكن)[٧].

ونقل القسطلاني قول أبي حيان، قائلًا: (قال أبو حيان: والضاد من أصعب الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها وهي قليلة من لغة بعض العجم ،ومفقودة في لغة الكثير منهم)[٨] .

---

(١) الكتاب: ٤٣٣/٤

(٢) الرعاية: ١٥٨، وينظر: التحديد: ١٠٢-١٠٣، والموضح: ٧٨

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩

(٤) المقرب: ٥/٢، وينظر: الممتع من التصريف: ٦٦٩/٢.

(٥) الارتشاف :٦/١

(٦) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٠٦

(٧) النكت الحسان: ٢٧٧

(٨) لطائف الاشارات: ١٩٢.

أما اللام فقد قال سيبويه فيها: (من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى)[١]، وردد علماء التجويد في الأندلس ما قاله سيبويه بشيء من الزيادات فقال مكي: (اللام تخرج من المخرج الخامس من مخارج الفم بعد مخرج الضاد ، وهي من حافة اللسان أدناها إلى منتهى طرفه)[٢].وحاول في كتابه الكشف أنْ يختصر عبارة سيبويه بقوله: (ثم اللام من طرف اللسان وأصول الثنايا)[٣]، وقال الداني: (واللام من أدنى حافة اللسان الى ما يليها من الحنك الاعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية)[٤].

وقال القرطبي بتحديده أكثر: (ومن حافة اللسان من أدناها الى مستدق طرفه من بينها وبين ما يحاذيها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام)[٥]، وأدرك القرطبي مزية اللام بان الصوت معه لا يخرج من الموضع الذي يلتقي فيه العضوان، بل يخرج من حافتي اللسان (أي جانبيه) وطرف اللسان لازم لموضعه اثناء ذلك، ولهذا سمي اللام بالصوت المنحرف، فقال: (اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما)[٦]، أما ابن الطحان فكان اكثر اختصارا بقوله: (من أدنى الحافة وهو أقربها إلى طرف اللسان وبين الحنك تخرج اللام)[٧].

أما صوت اللام عند ابن مالك: (ما دون حافته إلى منتهى طرفه ومحاذى ذلك من الحنك الأعلى للام)[٨]. وقال ابن عصفور: (ومن أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية: مخرج اللام)[٩]، عندما تحدث ابن عصفور عن مخارج اللام والنون والراء فوردت في ترتيبه متتابعة مخرجيًا ونسبها الدرس الصوتي الحديث الى مخرج واحد وهو المخرج اللثوي وهذا يدل على دقة وصف ابن عصفور وحدسه لمخارج الاصوات العربية[١٠].

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٣.

(٢) الرعاية: ١٦٢.

(٣) الكشف: ١٣٩.

(٤) التحديد: ١٠٣.

(٥) الموضح: ٧٨.

(٦) الموضح: ٩٢، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٧٥.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها: ٨٢.

(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩.

(٩) المقرب :٢/٥ ، وينظر: الممتع من التصريف :٢/٦٧٠.

(١٠) ينظر : الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) : ٤٥.

وعدّه أبو حيان المخرج الثامن من المخارج الستة عشر إذ قال: (هي من حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرفه ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى هما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية)[١] أما المحدثون فقد خالفوا سيبويه في وصف الضاد فمنهم من استحسن وصف القدماء وعلماء التجويد كالمستشرق كانتنيو[٢] ومنهم من وصف الضاد كما تنطق اليوم فقالوا: من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[٣] وبهذا تكون قريبة من صوت الظاء، ومنهم من تابع المتقدمين في تحديد هذا المخرج[٤]، إذ وجد المحدثون صعوبة في تحديد نطقها على وفق نطقها عند القدامى وكل الظن أن نطقها في القديم لا يوافق نطقها الحديث[٥].أما اللام فلا يختلف المحدثون عن القدامى إلا بمصطلحاتهم فمنهم من وصفها بأنها لثوية يكون مخرجها من اللثة وهو ما ذهب إليه الدكتور ابراهيم انيس[٦] ومنهم من وصفها بأنها سنية أي أن مخرجها من الاسنان وهذا ما ذهب إليه الدكتور السعران[٧] وسماها جان كانتيو بالأدنى الحنكية[٨].

٤. طرف اللسان: ولطرف اللسان جملة من الأصوات أذكرها على النحو الآتي:

النون:

حدّد سيبويه مخرج النون بقوله:(من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون)[٩]، لقد حافظ علماء التجويد في الأندلس على عبارة سيبويه في بيانه، غير أنهم زادوا عليها زيادة قيمة تتعلق بإخراج النون وهي الربط بين مخرجه في الفم باعتماد طرف اللسان على ما فويق الثنايا العليا وبين خروج النفس في أثناء ذلك الخيشوم[١٠]، قال مكي: (قال سيبويه: مخرجها من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا)[١١] فقد نقل مكي قول سيبويه بتمامه في تحديد مخرج النون بجعلهما النون نوعين لكل نوع منهما مخرج وهي النون المتحركة مخرجها ما أشار إليه والنون المخفاة مخرجها من الخيشوم ، ويبدو أن مكيًا ربط بين مخرج النون من الفم

(١) الارتشاف: ٩/١.
(٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية :٨٥.
(٣) ينظر: التطور النحوي:١٩.
(٤) ينظر :المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث: ٦٢-٧٤.
(٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٨٥.
(٦) ينظر : الأصوات اللغوية : ٦٤.
(٧) ينظر : علم اللغة(السعران) : ١٧٠.
(٨) ينظر : دروس في علم أصوات العربية :٣٠.
(٩) الكتاب :٤/٤٣٣.
(١٠) ينظر: الجهود الصوتية عند علماء التجويد : ١٧٦.
(١١) الكتاب :٤/٤٣٣، وينظر: الرعاية :٢٦٧

وهو طرف اللسان مع ما يحاذيه من فويق الثنايا العليا وبين خروج النفس معها من الأنف فجعل لها مخرجين أحدهما مبني على أساس عضوي وهو كائن في الفم ، والآخر مبني على أساس صوتي سمعي وهو كائن في الأنف الذي هو الخيشوم، وربما لم يقصد بالمخرج الثاني (الخيشوم) المكان الذي تحدث فيه العوائق والعقبات التي تعترض طريق الهواء والتي لا بد من وجود ناطق ومكان نطق ، وإنما قصد بالمخرج خروج الهواء عن طريق الأنف (الخيشوم) في أثناء نطق النون أي في اثناء التقاء طرف اللسان باللثة، اذن فإنَّ الخيشوم مكان خروج الهواء فهو مخرج أو منفذ[١].

أما الداني فقد لزم عبارة سيبويه، مع زيادة ربطه بين مخرج النون من الفم باعتماد طرف اللسان مع ما فويق الثنايا وخروج النفس في اثناء ذلك الخيشوم ، فقال في النون: (والنون من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم وهي المبيّنة والمدّغمة)[٢]. ولم يخرج القرطبي عما أفاده سيبويه قال في النون: (ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا)[٣].

أما ابن الطحان فقال في النون: (ومن أدنى طرف اللسان، وما يليه من الحنك الاعلى تخرج النون والتنوين)[٤] وهنا خالف ابن الطحان علماء التجويد في تحديده لمخرج النون، إذ استعمل عبارة (وما يليه) بدل من عبارة (فويق) التي وظفها سيبويه للتعبير عن المخارج، ويلاحظ كذلك أنه أخر مخرجي النون والراء الى ما بعد مخرج الظاء والثاء والذال ، فهي عند سيبويه بعد مخرج اللام وقبل مخرج الظاء والذال والتاء، لكنه حدد مخرجي النون والراء على نحو مقارب لطريقة سيبويه في تحديدهما ولعل هذا من عمل النساخ[٥].

قال ابن مالك: (وما بين طرفه وفويق الثنايا للنون والراء وهي ادخل في ظهر اللسان قليلا)[٦].أما ابن عصفور فقال: (ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون)[٧]. وقد جعل أبو حيان للنون المخرج التاسع من المخارج الستة عشر بقوله: (المخرج التاسع: وهو للنون في طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا متصلًا بالخيشوم تحت اللام قليلا)[٨] ويتوافق أبو حيان في هذا النص مع قول

(١) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :١٥٤.
(٢) التحديد : ١٠٢.
(٣) الموضح:٧٩.
(٤) مخارج الحروف وصفاتها :٨٣.
(٥) ينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث):٣٧-٣٨.
(٦) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩.
(٧) المقرب :٥/٢،الممتع من التصريف :٦٧٠/٢.
(٨) الارتشاف :١٠/١.

الداني: (والنون من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا العليا ويتصل بالخياشيم)[١]، وذلك بالإشارة الى وظيفة الخياشيم في إبراز صوت النون ويتبين أن ما قصده الداني وأبو حيان ههنا هي النون التي يمكن أن تتحرك[٢].أما المحدثون فلم يخالفوا القدامى في مخرج النون فمنهم من ذهب إلى أنها لثوية[٣]، ومنهم من ذهب إلى أنها اسنانية[٤]، وبعضهم جمع بين القولين بانها لثوية اسنانية[٥].

الراء:

قال سيبويه: (من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا لأنحرافه إلى اللام مخرج الراء)[٦]. وقال مكي:(الراء تخرج من المخرج السابع من مخارج الفم، من مخرج النون غير أنها أدخل الى ظهر اللسان قليلًا)[٧]، ويظهر أن ترتيب مكي لصوتي النون والراء مخالف لوصفه لهما، فعند جعله النون في الترتيب قبل الراء، نجده يقول في مخرج الراء: (غير أنه أدخل الى ظهر اللسان)[٨]، ويعني ذلك أنَّ الراء أعمق من النون، لكن إذا أمعنا النظر نلاحظ أنه قدم النون في الترتيب على الراء على اعتبار مكان النطق وهو اللثة ،حيث أن طرف اللسان مع النون يلامس اللثة بشكل أعمق من ملامسته إياها مع الراء[٩]. أما الداني فقال: (من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا ،غير أنه أدخل من النون في ظهر اللسان لانحرافه إلى اللام)[١٠]، وذهب القرطبي قائلًا:(من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام)[١١]. وقال ابن الطحان: (من ذلك الأدنى، داخلا إلى ظهر اللسان قليلا تخرج الراء)[١٢].

---

(١) التحديد:١٠٢.
(٢) ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :١١٠.
(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية : ٦٠.
(٤) ينظر : علم اللغة(السعران) :١٦٩.
(٥) ينظر : علم الأصوات (مالبرج):١٨١.
(٦) الكتاب :٤/٤٣٣.
(٧) الرعاية:١٦٩.
(٨) المصدر نفسه: ١٦٩.
(٩) ينظر :الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :١٥٥-١٥٦.
(١٠) التحديد :١٠٢.
(١١) الموضح في التجويد:٧٩.
(١٢) مخارج الحروف وصفاتها :٨٣.

وقال ابن عصفور في مخرج الراء: (من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه عن اللام: مخرج الراء)[١]، أما ابو حيان فقال: (هي من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا العليا غير أنها أدخل فيظهر اللسان قليلا من النون)[٢] ومع ذهاب أبي حيان إلى أنَّ كلًا من(اللام والنون والراء) في مخرج إلا أنه كان مدركًا تماما شدة تقارب هذه الأصوات فجعلها في حيز واحد قائلًا: (وثلاثة في حيز: اللام والراء والنون، من طرف اللسان إلى مقدم الفك الاعلى)[٣]. وقد كان مخرج (اللام والنون والراء) موطن خلاف بين النحويين، فالخليل وسيبويه ذهبا إلى أن عدد المخارج ستة عشر بجعلها من مخارج متفرقة وبعضهم يراها أربعة عشر كالفراء وقطرب والجرمي وابن دريد وابن كيسان . وقد نقل أبو حيان ذلك بقوله في الارتشاف: (والمخارج ستة عشر خلافا لقطرب والجرمي والفراء وابن دريد في زعمهم أنها أربعة عشر) [٤].واختلف المحدثون في تعيين مخرجها فمنهم من عدها لثوية[٥] في حين قال آخرون إنها أسنانية لثوية[٦]، وعبّر بعضهم بانها ذلقية[٧]، أما ترتيبها فيقدمونها على النون[٨].

الطاء والدال والتاء:

قال سيبويه في وصف مخرجها: (ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء)[٩]، وقد وافق علماء التجويد في الأندلس سيبويه في ترتيبهم للطاء والدال والتاء مع بعض الزيادات التوضيحية ، إذ قال مكي في الطاء: (تخرج من المخرج الثامن من مخارج الفم، تخرج من طرف اللسان واصول الثنايا)[١٠] وفي الدال قوله: (تخرج من مخرج الطاء المذكور)[١١] وفي التاء قوله: (تخرج من مخرج الطاء والدال المذكور)[١٢] وقال في الكشف: (الطاء والدال والتاء أخوات يخرجن مما بين طرف

(١) المقرب: ٥/٢، والممتع في التصريف :٦٧٠/٢.
(٢) الارتشاف :١٠/١.
(٣) المصدر نفسه :١٢/١.
(٤) المصدر نفسه :١/ ٥، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :١١١.
(٥) ينظر : المدخل إلى علم اللغة : ٦١.
(٦) ينظر : التشكيل الصوتي : ٤٩.
(٧) ينظر : دراسات في فقه اللغة :٣٢٣.
(٨) ينظر : المدخل الى علم اللغة: ٣١.
(٩) الكتاب :٤٣٣/٤.
(١٠) الرعاية :١٧٢.
(١١) المصدر نفسه :١٧٥.
(١٢) المصدر نفسه :.١٧٨.

اللسان وأطراف الثنايا العليا)[١]، وقد كان تعليل مكي لكون الطاء أمكن مماسة للثنايا بالأطباق والاستعلاء تعليلا مميزًا، فعلى الرغم من خروج الأصوات الثلاثة من مخرج واحد لكن الطاء ينجذب معها طرف اللسان ناحية الثنايا العليا نسبة لارتفاعه وتقعره عند الاطباق، فتقديم الطاء قائم على أساس النظر إلى الصفة دون المخرج؛ لأن لصفة الإطباق التي في الطاء قيمة صوتية تحدث في مؤخرة اللسان مما يجعل الطاء تبدو أكثر عمقًا من الدال والتاء، قال مكي: (والطاء أمكن مماسة للثنايا للإطباق وللاستعلاء اللذين فيها)[٢].

وردد الداني والقرطبي قول من سبقهما، فقال الداني: (فالطاء والتاء والدال من مخرج واحد، وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مصعدا الى الحنك)[٣]، وذهب القرطبي قائلًا: (ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العلى مصعدا الى الحنك مخرج الطاء والدال والتاء)[٤] ، أما ابن الطحان فحاول الوصول إلى وصف أدق بقوله: (ومما يليه من اصول الثنيتين من العليين تخرج الطاء والدال والتاء)[٥]، استعمل ههنا كلمة (الثنيتين) بدل من كلمة (الثنايا) التي استعملهما سيبويه في تحديد المخارج، وبذلك يكون ابن الطحان أكثر قربًا في هذا التوصيف عما ذكره علماء العربية فهو من باب التخصيص لا التعميم [٦].

وكان الخليل بن أحمد قد وصف الحروف الثلاثة بأنها نطعية، إذ قال: (والطاء والتاء والدال نطعية، لان مبدأها من نطع الغار الاعلى)[٧]، فقد قال (لان مبدأها) ولم يقل (لخروجها). فظاهر كلام العلماء يقتضي نفي أن يكون مبدؤها نطع الغار الأعلى ،لأنها تتكون من نقطة تتحدد بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا ، وأصول الثنايا بعيدة من نطع الغار الأعلى[٨]. أما ابن مالك فقال: (وما بين طرفه وأصول الثنايا للطاء والدال والتاء)[٩]، وتبعه ابن عصفور بجمعه أصوات الطاء والدال والتاء ونسبها معًا إلى مخرج واحد، فقال:(من بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء)[١٠]. أما ابو حيان فذهب قائلًا: (وثلاثتها تخرج من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا الى جهة الحنك)[١١].

---

(١) الكشف :١٣٩/١.

(٢) الكشف:١٣٩/١، وينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :١٥٧-١٥٨.

(٣) التحديد:١٠٢، وينظر: الارجوزة:٢٨٩.

(٤) الموضح:٧٩.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها:٨٢.

(٦) ينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث) :٣٨.

(٧) العين :٥٨/١.

(٨) ينظر: الجهود الصوتية عند علماء التجويد :١٨٠.

(٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩.

(١٠) المقرب: ٥/٢ ، وينظر: الممتع من التصريف: ٦٧٠/٢.

(١١) الارتشاف: ١٠/١.

ورتب أصواته على النحو الاتي (د، ط، ت)[١] فوصفه لهذه الأصوات في الارتشاف أكثر شمولًا من وصفه لمخرجها في كتاب (النكت) إذ وصفها بانه المخرج الثامن من مخارج اللسان جميعا[٢]، وذهب إلى أنَّ هذه الأصوات من مخرج واحد وبذلك تابع الداني لا سيما في قوله :(مصعدا الى الحنك)[٣] مع اختلاف في ترتيب الأصوات. وبذلك اتفق علماء التجويد مع سيبويه واللغويين في وصف لمخرج هذه المجموعة بانها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا إلا أنهم اختلفوا بين كونه مخرجًا واحدًا، وكونه مخرجا كليا يقسم الى ثلاثة مخارج جزئية[٤].

أما المحدثون فقد حافظوا على عبارة سيبويه في تحديد مخرج هذه الأصوات فاطلقوا عليها أصوات أسنانية لثوية[٥] وكان الدكتور غانم قدوري قد جعلها لثوية امامية لتميزها عن الأصوات التي بعدها (ص س ز)[٦].

الصاد والسين والزاي:

قال سيبويه في وصف مخرجها: (مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد)[٧] ولم يصف سيبويه الثنايا في هذا الموضع فلم يقل العليا أو السفلى، لذا حاول علماء التجويد في الأندلس تخصيص الثنايا بلفظة العليا أو السفلى[٨]، فجاء مكي بقوله في الزاي: (تخرج من المخرج التاسع من مخارج الفم بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى)[٩] وفي السين: (تخرج من مخرج الزاي، وهو المخرج التاسع من مخارج الفم، وهي اخت الزاي في المخرج والصفير)[١٠]. وفي الصاد: (تخرج من مخارج الزاي والسين، وهو المخرج التاسع من مخارج الفم المذكور)[١١]. ويجمعهن بقوله: (ثم الزاي والصاد والسين اخوات يخرجن مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى)[١٢]، وبذلك يوافق سيبويه غير

---

(١) الارتشاف :١٠/١.

(٢) ينظر: النكت الحسان :٢٧٧، والأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :١١٤.

(٣) التحديد: ١٠٥.

(٤) ينظر: الخلاف الصوتي بين علماء التجويد: ٨٣.

(٥) ينظر: علم الأصوات(بشر) ١١٢.

(٦) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٩٥.

(٧) الكتاب: ٤٣٣/٤.

(٨) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٨١.

(٩) الرعاية: ١٨٣.

(١٠) المصدر نفسه: ١٨٥.

(١١) المصدر نفسه: ١٨٩.

(١٢) الكشف: ١٣٩/١.

أنَّ الفرق بينهما أنَّ سيبويه لم يعيّن الثنايا أهي العليا أم السفلى ، ويلاحظ ان طرف اللسان يلامس الثنيتين العليين من الداخل بينما يكون اعتماده فويق الثنيتين السفليين[١].

أما الداني فقد خصص الثنايا (بالعليا) فقال: (والصاد والزاي والسين من مخرج واحد، التي بين طرف اللسان والثنايا العليا)[٢] أما في كتابه (الإدغام الكبير) فاستعمل كلمة (السفلى) وهذا غريب جدا، إذ فقال: (والصاد والسين والزاي من مخرج واحد، وهو طرف اللسان واصول الثنايا السفلى)[٣]، وذهب القرطبي مذهب مكي باستعماله كلمة (السفلى) بقوله: (مما بين طرف الثنايا السفلى وطرف اللسان مخرج الصاد والسين والزاي)[٤]، أما ابن الطحان فكان مذهبه قريبًا من مذهب الداني الأول فقال: (من طرفه وما يليه من الشدق بين الثنيتين العليين تخرج الصاد والسين والزاي)[٥].ويلاحظ مما تقدم مخالفة الداني والقرطبي وابن الطحان لسيبويه في ترتيب اصوات المخرج الواحد فعند سيبويه (ز س ص) أما عندهم فهي (ص س ز).

وقال ابن مالك: (وما بينه وبين الثنايا للزاي والسين والصاد، وهي احرف الصفير)[٦]، أما ابن عصفور فقال:(من بين طرف اللسان وفويق الثنايا نخرج الصاد والزاي والسين)[٧]، وبحسب التصنيف الحديث لعلم الأصوات فلم يحالف ابن عصفور الحظ في نسبة بعض الأصوات الى مخارجها كاختلاف مخرج أصوات الطاء والدال والتاء عن المخرج الذي نُسب إليه أصوات الزاي والسين والصاد[٨].

أما ابو حيان فقال: (وهو الزاي والسين والصاد وثلاثتهن مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى)[٩] وقد تابع سيبويه في وصفه لمخرج تلك الأصوات، إلا أنَّ أبا حيان يُعيّن محل خروج تلك الاصوات من الثنايا بـ (وفويق الثنايا السفلى) وتعد هذه الأصوات على رتبة واحدة في المخرج نفسه وهذا واضح من قوله: (وثلاثتها مما بين طرف اللسان)، وحافظ أبو حيان على ترتيب سيبويه لمخرج أصوات (السين والزاي والصاد) التي تخرج من فويق الثنايا السفلى بتأخيره عن مخرج (ط د ت) والتي تخرج من أصول الثنايا العليا (اللثة)[١٠].

---

(١) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ١٥٩.

(٢) التحديد:١٠٢.

(٣) الإدغام الكبير : ١٢١.

(٤) الموضح:٧٩.

(٥) مخارج الحروف وصفاتها :٨٢.

(٦) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣١٩.

(٧) المقرب :٥/٢ ، الممتع من التصريف :٦٧٠/٢.

(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) :٤٤.

(٩) الارتشاف : ١٠/١.

(١٠) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :١١٥.

أما المحدثون فكان لهم آراء متباينة في وصف هذا المخرج فمنهم من ذهب إلى أنها لثوية فقال الدكتور السعران: (بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة)[١]، ومنهم من وصفها بأنها أسنانية وهذا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس بانها تنتج بالتقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بينهما مجرى ضيق[٢]، ومنهم من وصفها بأنها أسنانية لثوية؛ لأنها تحدث باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء المقدمة باللثة العليا[٣].

الظاء والذال والثاء:

قال سيبويه: (ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء)[٤]، وزاد مكي فخصص الثنايا ب(العليا) بقوله في الظاء: (تخرج من المخرج العاشر من مخارج الفم، وذلك ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى)[٥] وفي الثاء: (تخرج من مخرج الظاء المذكور، وهو المخرج العاشر من مخارج الفم)[٦] وفي الذال: (تخرج من مخرج الظاء والثاء المذكور، وهو المخرج العاشر من مخارج الفم) [٧]، وجمعهن في قوله: (ثم الظاء والثاء والذال أخوات، يخرجن مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا)[٨]، فكان مكي دقيق الوصف لحصره للمخرج بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا لأنَّ بطن اللسان لا دخل له في إنتاج الأصوات، وخالف سيبويه في ترتيب أصوات هذا المخرج فقدم الثاء على الذال، ويلاحظ تأييده للخليل بوصف هذه الأصوات الثلاثة لثوية فقال:(الحروف اللثوية وهي ثلاثة (الظاء) و(الثاء) و(الذال) سماهن الخليل بذلك)[٩] وتابعه الداني فقال: (والظاء والذال والثاء من مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا)[١٠] وفي هذا النص نلحظ أنَّ الداني وافق سيبويه في تعيين هذا المخرج وترتيب الأصوات فيها، وفي كتابه الإدغام الكبير خالف هذا الترتيب بتقديم الثاء وتأخير الذال[١١].

---

(١) ينظر: علم اللغة(السعران):١٧٥.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية : ٧٤.

(٣) ينظر: علم الأصوات(بشر) :١٢١.

(٤) الكتاب :٤/٤٣٣.

(٥) الرعاية:١٩٤.

(٦) المصدر نفسه:١٩٧.

(٧) المصدر نفسه:١٩٨.

(٨) الكشف:١/١٣٩.

(٩) الرعاية:١١٤-١١٥، وينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث):١٦٠.

(١٠) التحديد:١٠٢.

(١١) ينظر: الإدغام الكبير: ٥٤، والأرجوزة: ٢٨٩.

وردد القرطبي من سبقه بقوله: (ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى مخرج الظاء والذال والثاء)[١]، وهو في ترتيبه الأصوات موافقًا لسيبويه، أما ابن الطحان فقد استعمل عبارة (الأطراف الثنايا علياها وسفلاها) في قوله: (من طرفه ،وما يليه من أطراف الثنايا، علياها وسفلاها، تخرج الظاء والثاء والذال)[٢] فكان ترتيبه يخالف سيبويه ويوافق مكي بتقديمه الثاء على الذال.

أما ابن مالك فقال: (وما بينه وبين اطراف الثنايا للظاء والذال والثاء)[٣]، وذهب ابن عصفور قائلًا: (من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج:الظاء والثاء والذال)[٤] وبذلك اختلف ابن مالك وابن عصفور عن سيبويه في ترتيب هذه الأصوات. أما ابو حيان فقال: (وهو للظاء والثاء والذال وثلاثتها من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا)[٥]، فوافق سيبويه في تحديده لمخرج تلك الأصوات، التي عدها في مرتبة واحدة.

أما المحدثون فمنهم من جعلها من الثنايا العليا فقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنّ مخرج هذه الأصوات(ما بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا ،وهناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعًا قويًا من الحفيف)[٦]، ومنهم من جعلها أسنانية تخرج من الثنايا العليا والسفلى معًا[٧].

ثالثًا: الشفتان: لهما أثر في إنتاج عدد من الأصوات هي:

الفاء:

قال سيبويه: (من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء)[٨] لم تتغير عبارة سيبويه في تعيين مخرج الفاء عند علماء التجويد واللغة في الأندلس، قال مكي: (الفاء تخرج من المخرج الحادي عشر من مخارج الفم من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا)[٩]، فكان مكي مع من سبقه أكثر دقة في وصف مخرج الفاء، وكالعادة فانه في مقدمة أولئك دقة ووصفًا وتحديدًا، فعلى الرغم من وصفه للفاء من حروف الشفتين إلا أنه جعلها تستقل بنفسها في مخرجها الجزئي، بمعنى انفراد الشفة السفلى مع الأسنان العليا في اخراج صوت الفاء، وتخصيص مكي (باطن الشفه السفلى) كان أكثر دقة مما لو عمّ

(١) الموضح:٧٩.

(٢) مخارج الحروف وصفاتها :٨٢.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩.

(٤) الممتع في التصريف :٦٧٠/٢.

(٥) الارتشاف :١٠.

(٦) الأصوات اللغوية: ٤٨.

(٧) ينظر: دروس في علم أصوات العربية :٢٢.

(٨) الكتاب:٤٣٣/٤.

(٩) الرعاية:٢٠١.

؛لأن الميم والواو ليس لباطن الشفة السفلى وظيفة في إنتاجهما إذ قال: (الفاء منفردة، ثم الباء والميم والواو اخوات)[١]. وقال الداني: (فالفاء من باطن الشفه السفلى وأطراف الثنايا العليا)[٢] فقد أكد الداني على ما جاء به سيبويه فجعلها في مخرج مستقل من مخارج الشفة [٣]. وقال القرطبي: (ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء)[٤]، اما ابن الطحان فكان أكثر تخصيصًا، فقال: (فمن باطن الشفه السفلى، واطراف الثنيتين العليين، تخرج الفاء)[٥].

وتابع ابن مالك سيبويه فقال: (وباطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا للفاء)[٦]، وكذلك ابن عصفور بقوله: (ومن بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء)[٧].أما ابو حيان فقال: (الفاء، وهو من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا)[٨]، فوصف أبي حيان للفاء في الارتشاف أوسع وأشمل من وصفه في النكت في قوله: (مخرج باطن الشفة وله الفاء)[٩]، وذهب أبو حيان إلى أنَّ إنتاج صوت الفاء ونقطة خروجه يتم في باطن الشفة السفلى، وزاد عليه قوله (وأطراف الثنايا العليا)[١٠].

الباء والميم والواو:

قال سيبويه: (ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو)[١١]، وقال مكي في مخرج الباء: (تخرج من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم مما بين الشفتين مع تلاصقهما)[١٢]، ونراه أكد على تلاصق الشفتين بعكس شكلها في مخرجي الميم والواو، وفي مخرج الميم قال: (تخرج من مخرج الباء، وهو المخرج الثاني عشر من مخارج الفم)[١٣] وفي مخرج الواو قال: (تخرج من مخرج الباء والميم من المخرج

(١) الكشف :١/١٣٩، وينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (بحث):١٦١-١٦٢.
(٢) التحديد:١٠٣.
(٣) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٤٨، والأرجوزة: ٢٩٠.
(٤) الموضح في التجويد: ٧٩.
(٥) مخارج الحروف وصفاتها :٨٣
(٦) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩.
(٧) المقرب :٢/٥، والمتع في التصريف :٢/٦٧٠.
(٨) الارتشاف :١/ ١٠.
(٩) النكت الحسان : ٢٧٧.
(١٠) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٢٣.
(١١) الكتاب:٤/٤٣٣.
(١٢) الرعاية:٢٠٣.
(١٣) الرعاية:٢٠٦.

الثاني عشر من بين الشفتين)[١]. ويبدو أن هذا الترتيب للمخرج يحالفه الصواب؛ لأنه راعى فيه شدة انطباق الشفتين وقوته، فالشفتان مع الباء أشد انطباقًا لانحباس الهواء خلفهما وكون الصوت ذا طبيعة انفجارية، أما مع الميم فانهما أقل قوة لعدم انحباس الهواء خلف الشفتين أثناء النطق بهذا الصوت لأنه يجد طريقًا عبر فتحتي الأنف أو (الخياشيم) مما يجعل الاعتماد ضعيفًا، أما مع الواو فإنَّ الشفتين تتباعدان عن بعضهما قليلًا ولكنهما تنضمان انضماما شديدًا تاركتان فتحة صغيرة يمر منها الهواء[٢].

أما الداني فقد ردد عبارة سيبويه من غير زيادة فهي من مخرج واحد، إذ قال: (والباء والواو والميم من مخرج واحد)[٣] غير أنه زاد على سيبويه توضيح شكل الشفتين حال النطق مع كل حرف من الحروف الثلاثة، فقال: (والباء والواو والميم من مخرج واحد، وهو ما بين الشفتين، غير أنَّ الشفتين تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان)[٤]. وهنا خالف سيبويه في ترتيبه لأصوات هذا المخرج بجعل الواو وسطًا بين الباء والميم، في حين وافق سيبويه بترتيب هذه الأصوات في كتابه الإدغام الكبير[٥]، وكذلك الحال مع القرطبي فقد حاول توضيح حال الشفتين مع كل حرف من الحروف الثلاثة فقال: (ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، غير أنَّ الشفتين تنطبقان في الميم والباء ولا تنطبقان في الواو)[٦]، وتبعهم ابن الطحان فقال: (ومن بين الشفتين تخرج الميم والواو والباء غير أنهما ينطبقان في الميم، والباء ولا ينطبقان في الواو)[٧]، ويلاحظ مخالفة ابن الطحان لسيبويه في ترتيب أصوات المخرج الواحد فقدم صوت الميم والواو وأخر صوت الباء فكان ترتيبه (م و ب) وعند سيبويه (ب م و).

أما علماء اللغة فقال ابن مالك: (وما بين الشفتين للباء والواو والميم)[٨] ، أما ابن عصفور فقد ردد كلام سابقيه[٩]. وذهب ابو حيان الى قوله: (المخرج الخامس عشر: وهو للباء والميم والواو وثلاثتها مما بين الشفتين)[١٠]، فلم يقتصر أو حيان على وصف سيبويه لمخرج تلك الأصوات فزاد عليه وصف الداني

---

(١) الرعاية:٢٠٩.

(٢) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي:١٦٣.

(٣) التحديد:١٠٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٣.

(٥) ينظر: الإدغام الكبير : ٧٨.

(٦) الموضح:٧٩.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها:٨٣.

(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣١٩ .

(٩) المقرب :٥/٢، وينظر: الممتع في التصريف:٦٧٠/٢.

(١٠) الارتشاف:١٠/١.

لحالة الشفتين في نطق كل صوت من الأصوات الثلاثة قائلًا: (والباء والواو والميم من مخرج واحد، وهو مما بين الشفتين، غير أن الشفتين قد تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان)[١] .

أما المحدثون فمنهم من وافق القدامى بوصفها أصواتًا شفوية[٢]، ومنهم من ذهب إلى أن الباء والميم شفويان، والواو شفوية حنكية قصية[٣] فتحديد القدامى لمخرج صوت الواو ليس خطأ، لأن للشفتين أثرًا كبيرًا في نطق صوت الواو[٤]. فالذي دفع القدامى بأن ينسبون صوت الواو إلى الشفتين هو ما لاحظوه من وضوح استدارة الشفتين مع الواو، كون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة[٥].

رابعًا: الخياشيم

قال سيبويه: (ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة)[٦]، وهي النون الساكنة التي عدّها سيبويه أحد الحروف الفرعية المستحسنة، فتتضح حقيقة هذه النون عن طريق معرفة مخرج النون الأصلية وهي أحد مخارج حروف طرف اللسان، إذ يعتمد طرف اللسان على ما فويق الثنايا فيسد طريق الهواء من الفم ،وينخفض الحنك اللين بما في ذلك اللهاة فيندفع الهواء من الخيشوم، والنون يعتمد لها في الفم ويخرج الصوت (النفس) من الأنف وهذا الصوت الخارج من الخيشوم يسمى (غنة)[٧] ،إذن جعل سيبويه الخياشيم أصل الغنة لخروج بعض هواء الفم منه إذ قال: (إن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم الخياشيم فتصير فيهما غنة)[٨]. ووضح مكي هذه النون بقوله: (الغنة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون –غير المخفاة– وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة– وللتنوين– لأنه نون ساكنة– وللميم الساكنة ومخرجه هو المخرج الثالث عشر من مخارج الفم)[٩].

وهذا ما ذهب إليه القيسي بأن النون الخفيفة هي الغنة لكنْ يُزيد أنها ساكنة خفيفة ، مما يجعله يفرق بينهما وبين النون الخالصة السكون بل بجعلها تبعا لها ويميز بينهما بصفة غير المخفاة، وإن للغنة طابعًا مميزًا مائعًا فقد افرد مكي بابا لها وجعل مخرجها من المخرج الثالث عشر من مخارج الفم وهي من

(١) التحديد:١٠٦، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٢١٦.
(٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية : ٢٢.
(٣) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي :١٨٠.
(٤) ينظر: علم الأصوات(بشر) :٨٩.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) :٤٤.
(٦) الكتاب :٤/٤٣٣.
(٧) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :١٨٧–١٨٨.
(٨) الكتاب: ٤/٤٣٤.
(٩) الرعاية:٢١٤.

الخياشيم ويحدده بقوله: (الخيشوم الذي تخرج منه هذه الغنة ،هو المركب فوق غار الحلق الأعلى فهي صوت يخرج من ذلك الموضع)[١]، ويفهم من حديثه عن أحكام النون الساكنة والتنوين بأنه جعل للنون مخرجين (مخرج لها ومخرج لغنتها)[٢]، وبذلك يُزاد الخيشوم وزِيد الجوف الى المخارج لتصبح سبعة عشر مخرجا. وكذلك عدّ الداني هذا المخرج آخر مخارج الأصوات وهو المخرج السادس عشر، فقد تتبع سيبويه بتحديد ذلك الموضع للتنوين وكذلك النون الساكنة (الخفيفة)، إذ قال: (والمخرج السادس عشر مخرج التنوين، وهو يخرج من الخياشيم خالصًا، وكذا مخرج النون الساكنة المخفاة عند حروف الفم نحو (منك، وعنك) من الخياشيم)[٣].

وبيّن الداني ان هذه النون من الخيشوم مع حروف الفم ويقصد حروف اللسان وهي: (ق/ ك/ج/ش/ض/ص/س/ز/ط/ د/ت/ظ/ ذ/ث) فمتى ما سكنت النون وجاء بعدها صوت من هذه الاصوات فمخرجها من الخيشوم دون أن يدل على ذلك بأمثلة كثيرة غير كلمتي (منك/عنك)، وجعله الداني مخرجًا للتنوين بأنواعه الضم والفتح والكسر لما يلمس عن ظهور نون خفيفة عند التلفظ بالتنوين ولذا قصد الخياشيم مصدر خروج التنوين عنده، وفي نهاية حديثه عن المخارج كان له حديث عن النون المتحركة وهي عكس الساكنة فبين أن مخرجها من الفم مع صويت من الانف لكن بغنة خفيفة إذ قال: (فأما النون المتحركة فمخرجها من الفم مع صويت من الأنف)[٤].

أما القرطبي فكان له توضيح أكثر في خروجها قال:(ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفية، أي الساكنة)[٥]، وقد ذهب إلى ما ذهب اليه سيبويه بأن النون الساكنة هي من الأنف والخياشيم، انك لو امسكت بأنفك، ثم نطقت بها لوجدتها مختلة، فلا عمل للفم فيها نحو عنك، فمن شروط خروج النون من الخيشوم أن تقع قبل الحروف التي يخفى فيها[٦]. وقال أيضًا: (وانما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفًا من حروف الفم: القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والفاء، فهي متى سكنت وجاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في اخراجها)[٧]. وقد أهمل ابن الطحان الإشارة إلى هذا

(١) الرعاية: ٢١٤، وينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث): ٢٦٤.
(٢) الرعاية :٢١٥ ،وينظر: الكشف :١٦٦ ، الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) : ١٤١.
(٣) التحديد:١٠٣، وينظر: الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني دراسة وصفية تحليلية(بحث) : ٤٩-٥٠.
(٤) التحديد :١٠٣، وينظر: الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني دراسة وصفية تحليلية(بحث) : ٥١.
(٥) الموضح :٧٩.
(٦) سر صناعة الاعراب : ٦١/١، وينظر: منهجا الخليل وسيبويه: ١٨١
(٧) الموضح: ٨١.

المخرج بإسقاطه مخرج النون الخفيفة من مخارج الأصوات الأصول ونقله النون الخفية الى الأصوات الفرعية[١].

اما علماء اللغة فقال ابن عصفور: (ومن الخياشيم مخرج النون الخفية)[٢]، فقد ذهب ابن عصفور إلى أن للنون صوتًا آخر أطلق عليه النون الخفيفة والذي ينطق بمشاركة التجويف الأنفي وحده، ذلك بغلق اللهاة التجويف الفمي فيدخل الهواء الى التجويف الأنفي فيحدث الصوت الأنفي والمعروف قديمًا بالغنة، ونطق هذه النون مشروط بان تكون الى جوار أي صوت صامت عدا أصوات الحلق بمعنى أن للنون نطقين: نطق صريح أنفي إلى جوار أصوات الحلق، ونطق أنفي إلى جوار باقي أصوات العربية والصوت الأخير هو المقصود بالنون الخفيفة عند ابن عصفور[٣]. ويعد هذا المخرج الأخير من المخارج الستة عشر عند أبي حيان وفيه مخرج واحد وهو النون الساكنة الخفيفة إذ قال: (مخرج الخيشوم وهو للنون الساكنة الخفيفة المخفاة التي لم يبق منها الا الغنة، وأما الساكنة سكونًا خالصًا في ضربن فسيبويه بيّن أن مخرجها من مخرج النون المتحركة)[٤]، ويتبين من هذا النص أن الغنة مرادفة للنون الساكنة الخفيفة المخفاة، أما النون الساكنة التي لم تصاحبها شروط إلاخفاء والنون المتحركة فمخرجها (من طرف اللسان بينه وبين الثنايا متصلا بالخيشوم)، وذكر في مخرجها إنَّ النون الساكنة سكونًا خالصًا والمتحركة يكون إنتاجها في الفم والخيشوم، أما النون المخفاة التي لم يبق منها إلا الغنة فالخيشوم يعمل على انتاجها وبذلك وافق ابو حيان سيبويه[٥]، ونقل القسطلاني ذلك في قوله: (قال أبو حيان في شرح التسهيل: قول سيبويه: ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة .يريد النون المخفاة التي لم تبق منها إلا الغنة، فكأنه قال: مخرج الغنة، وإلا فالنون في نحو يضربن مخرجها من مخرج المتحركة)[٦].

وجديرٌ بالذكر أن القيمة النطقية للنون الخفية هي التي جعلت أهل اللغة وبعض علماء التجويد في الأندلس يفردون لها مخرجًا مستقلًا بمعزل عن النون الأصلية[٧].أما المحدثون فمنهم من عبّر عن الخيشوم بـ(بالفراغ الأنفي)[٨] في حين سماه آخرون بـ(التجويف الأنفي)[٩]، وقال بعضهم معلقًا على

(١) ينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية: ٣٩، ومنهجا الخليل وسيبويه: ٧٣.
(٢) المقرب: ٦/٢، وينظر: الممتع في التصريف: ٦٧٠/٢.
(٣) ينظر: منهج ابن عصفور الاشبيلي في النحو والتصريف(بحث): ١٩٢.
(٤) الارتشاف: ١١/١.
(٥) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٢٧.
(٦) لطائف الاشارات: ١٩٤/١، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٢٧.
(٧) ينظر: الجهود الصوتية عند علماء التجويد: ١٠٩.
(٨) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس): ٢١.
(٩) ينظر: علم الأصوات(بشر): ١٤٠.

ذكر ابن جني لمخرج النون المخفاة:(وهذا مخرج اضافي ذكره ابن جني وغيره لنوع من النون، ويمكن الاستغناء عن هذا المخرج والاكتفاء بالمخرج الثامن في تقسيم ابن جني، فهذا المخرج الأخير يعد مخرج النوع الرئيسي للنون)[١]، وبهذا فإنهم ذهبوا إلى ما ذهب إليه ابن الطحان بأنه لا مخرج مستقل للنون الخفية بل هي تلون وفرد للنون الأصلية[٢].

(١) ينظر : سر صناعة الاعراب : ١/٦٠، علم الأصوات(بشر):١٨٨.

(٢) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد: ١٠٩.

توطئة:

لا تنحصر دراسة الأصوات العربية على معرفة المخارج وحدها بمعزل عن الصفات، فلا يكفي تعيين مخرج الصوت وحده لتوضيح خصائصه التي تميزه عن غيره من الأصوات؛ لاشتراك أكثر من صوت في المخرج الواحد .وقد لاحظنا في المبحث الأول أن كثيرًا من الأصوات تشارك غيرها في المخرج الواحد.

– إذن– فعند تعيين الصوت ومعرفته بدقة لا بد من دراسته من ناحيتي المخرج والصفة فأحداهما تكمل الآخر، وهذا ما ذهب إليه برجستراسر في قوله: (لا يكفي لمعرفة الحرف وتميزه تحديد المخرج وحده ، دون علاقة ثانية هي صفة الحرف)[١]، فإن انتاج أي صوت من الأصوات يعتمد على ثلاثة أمور: أولها :الأعضاء التي تتدخل معترضة الهواء الخارج من الرئتين، وثانيها: الطريقة التي تتدخل بها الأعضاء ، وثالثها : الجهر والهمس[٢]. وهذا الأخير يمثل صورة من صور (صفات الحروف).

وقد أدرك العلماء الغاية من اختلاف الصفات والمخارج في الحروف فلولا ذلك لتشابهت أصوات البشر وتساوت مع الحيوانات، قال مكي القيسي: (فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها (وأحكامها) وطباعها التي خلقها الله –جل ذكره–عليها، ما فهم الكلام ،ولا علم معنى الخطاب ، ولكانت الأصوات ممتدة لا تفهم من مخرج واحد ،وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم)[٣]، فلا يمكن التطابق في الصفات والمخارج معًا في الحروف لأن الأثر السمعي يكون واحدًا[٤].

وقد بيّن بعض علماء التجويد الصفة بأنها:(كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج ، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض)[٥]، وهم الذين تبعوا سيبويه في بحث الصفات الصوتية لأصوات العربية وزادوا عليه توضيحات وتقسيمات جديدة، وأدرك علماء التجويد أن صفة الصوت ليست شيئًا منفصلًا عن الصوت بل تعد شيئًا أساسيًا لا ينفصل عن عملية تكونه في المخرج[٦].

(١) التطور النحوي :١٣، وينظر :الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١١٠.
(٢) ينظر: محاضرات في اللغة : ٩٤، ١٢٣.
(٣) الرعاية : ١١٦–١١٧.
(٤) ينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ١٤٣.
(٥) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ١٩٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٥.

عدد الصفات وتصنيفها:

لقد اختلف علماء التجويد واللغة في عدد الصفات وتباينت مواقفهم منها ، فمنهم من بالغ في عددها حتى جاوزت الأربعين ومنهم من التزم بما جاء به سيبويه في الكتاب ومنهم من نقص عن ذلك(١). ويعد سيبويه أول من دون مصطلحات الصفات للأصوات في كتابه ذكر منها عشر صفات: المجهور، والمهموس، والشديد، والرخو ، والمنحرف ، والمكرر، واللينة ، والهاوي، والمطبق، والمنفتح(٢)، وكان مكي القيسي أكثر علماء التجويد وعلماء العربية تفننًا في ابتكار الصفات والالقاب لتمتعه بادراك عميق وإلمام واسع بعلم الأصوات، فقد عرض ألقاب الحروف عرضا شاملا دقيقًا في كتابه (الرعاية) حتى بلغ عدد الصفات عنده أربعا وأربعين صفة ذكرها في باب صفات الحروف وألقابها إذ قال :(لم أزل أتتبع الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبًا صفات لها وصفت بذلك على معان وعلل ظاهرة)(٣)، فكان مهتما بتوضيح صفات الحروف وتحديدها والتمييز بينها لإدراكه أن تغير صفات الأصوات واختلاف مقاديرها يتبعها عادة تغيرًا في الدلالة أو تشويشٌ في المضمون ومن ثمّ يؤدي إلى تغير في المعنى، فمثلًا الفرق بين السين في كلمة (سال) والزاي في كلمة (زال) أدى الى فرق في المعنى بسبب اختلاف الصفة من الهمس إلى الجهر(٤).وهذا ما يطلق عليه في الدرس الصوتي الحديث بـ (الفونيم) وهو أصغر وحد صوتية تؤدي إلى تغيير في المعنى(٥).

ثم يعقب بعد ذلك بقوله:(وبقيت عشرة القاب تمام الأربعة والأربعين....مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف)(٦)، وعند النظر إلى الصفات والالقاب التي ذكرها مكي يلاحظ أن بعضها غير لازم للصوت حين ولادته في مخرجه، وبعضها ما يعبر عن مصطلح صرفي كما في: الحروف الزوائد، والحروف الأصلية، وحروف الإبدال الصرفي، وحروف العلة، فهذه الألقاب لا تمثل صفة صوتية، إنما تشير إلى خاصية صرفية(٧). وما ذهب إليه مكي لم يتبعه إلا قليل من العلماء، فقد أعرض بعضهم عن ذكر هذا الكم من الصفات كالفخر الموصلي (ت ٦٢١هـ) بداعي أنْ :(ليس فيها كبير فائدة)(٨).وقد وصفه أبو عبد الله محمد بن الحسن الفاسي بالمبالغة فقال :(وقد بالغ في ذلك أبو محمد مكي رحمه الله

(١) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١١٢.
(٢) ينظر: الكتاب :٤/ ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦.
(٣) الرعاية: ٢١٦.
(٤) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :١٦٧- ١٦٨.
(٥) ينظر: علم الأصوات(بشر) : ٤٩١.
(٦) الرعاية :١١٣.
(٧) ينظر: الخلاف الصوتي بين علماء التجويد(بحث) :١١٣.
(٨) الدر الموصوف(مجلة) :٩٨.

في كتاب الرعاية)[١]، أما المرعشي فقال: (اعلم أني لا أذكر في هذه الرسالة من الصفات المذكورة في الرعاية إلا ما اشتدت إليها حاجة التالي)[٢].

أما الداني فقد اقتصرت صفات الحروف في كتابه (التحديد) على ست عشرة صفة، إذ قال: (اعلموا أنَّ أصناف هذه الحروف التي تتميز بها بعد خروجها من مواضعها التي بيناها ستة عشر صنفًا)[٣] يستنتج من هذا القول أنه لولا الكيفيات التي تصحب انتاج كل صوت لما تميزت تلك الحروف المشتركة في مخرج واحد، فقد كان الداني مدركًا أن صفة الصوت ليس شيئًا مستقلًا عن الصوت بل تلازمه على وفق مخرجه، فلا تنفصل عنه وعن عملية حدوثه[٤]، ولم يخرج الداني عما جاء به سيبويه من صفات الأصوات انما زاد عليها. أما القرطبي فأوضح ما للصفات من أثر يتحكمه الصوت والنفس، إذ قال: (اعلم أنَّ هذه الحروف تختلف أحكامها من حيث أن بعضها يجري معه الصوت وبعضها يمتنع جريه معه، ومن حيث أن بعضها أشد حصرًا للصوت من بعض، ومن حيث أنَّ بعضها يتغير بتغير الحركات قبله ويتسع مخرجه حتى لا يقتطع الصوت عن استمراره وامتداده، فينفذ حتى يفضي حسيرًا إلى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها حيث لم يجد منقطعًا ، ومن حيث جريان النفس مع بعضها وامتناعه مع البعض، وإشباع الاعتماد مع بعضها وضعفه مع بعض إلى غير ذلك من الأسباب فانقسمت انقسامات من الهمس والجهر والإشراب، والقلقة والصحة والاعتلال، والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح، وغير ذلك مما نستوفي ذكره تاليا لما نحن فيه إن شاء الله)[٥].

وعدّ القرطبي عدد الصفات اثنتين وثلاثين صفة وهي من الصفات التي ذكرها مكي، إلا أنه حذف منها المذبذبة والإبدال والمد واللين والإمالة والصتم، وزاد عليه من الصفات الحركة والسكون والضغط والاستعانة والتصويت[٦]. أما ابن الطحان فذكر من صفات الأصوات تسع عشرة صفة ،قال :(الهمس والجهر، والشدة، والرخاوة، وما بين الشدة والرخاوة، والاطباق، والانفتاح، والاستعلاء، والاستفال، والمد، واللين، والصفير، والتفشي، والاستطالة، والتكرار، والانحراف، والغنة، والقلقلة، والنفخ)[٧]، واستطاع التمييز بين الصفات الصوتية المحضة التي أوردها والصفات غير الصوتية التي استبعدها من كتاباته[٨]. أما ابن

(١) اللالئ الفريدة :٩٣.

(٢) جهد المقل :١٤١.

(٣) التحديد:١٠٤.

(٤) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث):٥٧.

(٥) الموضح في التجويد :٨٧ ،ينظر : منهجا الخليل وسيبويه :١٨٥.

(٦) ينظر: الموضح في التجويد :٨٨-٩٨، والخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١١٣.

(٧) مخارج الحروف وصفاتها : ٨٥-٨٦ .

(٨) ينظر: ابن الطحان وجهوده الصوتية في الدراسات الصوتية (بحث):٤٤ .

مالك فعدها ثماني عشرة صفة[١] وعدّها أبو حيان ست عشرة صفة وبهذا ذهب مذهب سيبويه ومن تبعه ممن سبقه في عدد الصفات فقال: (وهي بالنسبة إلى الصفات في المشهور ست عشرة)[٢]، أما ابن عصفور فعدّها أربعًا وعشرين صفة ، وجعل لكل صفة ضدًا أو مقابلًا[٣].

إن لتصنيف صفات الأصوات فائدتين الأولى: تمييز الحروف المشتركة في المخرج؛ لأن المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته والصفة له، ولولا ذلك لكان الكلام بمنزلة اصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة فلا تفهم وهذا ما ذهب اليه مكي القيسي مسبقًا، والثانية: تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج، ومن هنا كان لصفات الحروف قسمان: مميزة، ومحسّنة. ويفهم من (المميزة) الصفات التي لها أضداد، وهي التي تميز الحروف المتشاركة في المخرج . أما (المحسّنة) فأن الصفة تعطي الصوت جرسًا خاصًا من دون أن يكون ذلك سببًا للتميز بينه وبين الأصوات الأخرى[٤].

وما جاء به دارسو أصوات العربية من نظرية لتقسيم الحروف الى مميزة ومحسنة في مجال تصنيف صفات الحروف تعد أفضل نظرية تدل على إدراك عميق لخصائص الأصوات وصفاتها والعلاقة بينها، ومن ثمّ فقد كان علماء التجويد مدركين لظاهرة التقابل بين الأصوات وأثر الصفات في التمييز بينها ،لا سيما الجهر والهمس ،والشدة والرخاوة ،والاطباق والانفتاح[٥]، لذا يمكن حصر الصفات التي اطلق عليها بـ(المميزة) التي لها أضداد بالجهر والهمس، والشدة والرخاوة، والاطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفالة، والذلاقة والاصمات، وهذه الأخيرة أشكل عليها بأنها ليست من الصفات التي تولد مع الحرف في المخرج، ولكن يمكن أنْ تلحق مع الصفات العامة بملاحظة الخفة والثقل فيكون عدد الصفات المتقابلة عشر صفات. أما الصفات(المحسّنة) التي ليست لها ضد فهي: القلقلة والصفير والتفشي والانحراف والتكرير[٦]. وفيما يلي ذكر لقسمي الصفات كما وردت عند علماء التجويد واللغة في الأندلس :

(١) ينظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠.
(٢) النكت الحسان :٢٧٨.
(٣) ينظر: الممتع في التصريف :١/٦٧١-٦٧٨.
(٤) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية :٩٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٣٠.
(٥) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١٩٩.
(٦) ينظر : المصدر نفسه :١٢٤.

المبحث الأول: الصـــفات المميـــزة

الجهر والهمس:

يعد سيبويه أول من قسم الأصوات العربية على وفق هذا المعيار، فعرف المجهور والمهموس بقوله: (فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت.... وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)[١].فكان لتعريف سيبويه حروف المجهورة والمهموسة سلطان مستمر على دارسي الأصوات العربية، فسلك علماء الأندلس طريقه في تعيين الحروف المجهورة والمهموسة، فالحروف المهموسة عشرة وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء. والمجهورة تسعة عشر حرفا هي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو[٢].

وردد مكي ما جاء به سيبويه فقال في المهموس: (إنه حرف جرى مع النفس عند النطق به لضعفه، وضعف الاعتماد عند خروجه فهو اضعف من المجهور)[٣]، وحتى يكون الصوت مهموسًا فقد أشار مكي إلى ثلاثة قيود لا بد من توافرها وهي : ضعف الاعتماد في المخرج بسبب ضعف الحرف، والثاني: جري الصوت مع النفس عند النطق به، الذي يكون علة في اخفاء الصوت وهو القيد الثالث[٤]، وقال في المجهور:(إنه حرف قوي يمنع النفس أنْ يجري معه عند النطق به لقوته ،وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه)[٥]، ولم يخرج مكي عن ما حدده سيبويه من الحروف المجهورة والمهموسة، غير أنه حاول جمع الحروف في كلمات سواء كان معناها واضحا أم لا، إلا أنها كان لها تأثير في ترديد تلك الحروف من غير أن تكون هناك محاولة من أجل إعادة توزيع الحروف في نطاقها، فقال: (الحروف المهموسة ،وهي عشرة أحرف يجمعها هجاء قولك: ستشحثك خصفه، أو هجاء قولك: سكت فحثه شخص ،أو هجاء قولك: كست شخصه فحث)[٦]. وذكر مكي: (أن الأصوات المجهورة أقوى من المهموسة)[٧]، فوصف الأصوات المجهورة بالقوة والمهموسة بالضعف لإدراكه الأثر السمعي للمجهور بتعليله على الصوت المجهور فقال:

---

(١) الكتاب :٤/٤٣٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه :٤/٤٣٤.

(٣) الرعاية: ٩٢.

(٤) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث): ١٢٥.

(٥) الرعاية : ٩٣.

(٦) المصدر نفسه:٩٢، وينظر: الجهود الصوتية عند علماء التجويد: ٢٠٥.

(٧) الرعاية: ٩٢، وينظر: الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث):٣٠.

(لأن الجهر الصوت الشديد القوي ،فلما كانت في خروجه لقبت به لان الصوت يجهر بها لقوتها)[١]، وكان على دراية بأن للجهر والهمس أثرًا اساسيًا في تمييز الأصوات، فهو يعتني بتحصيل المعنى عناية فائقة بحيث لا يدخله لبس ولا يكتنفه غموض، ومن ثم كان أكثر حرصًا على إجراء التقابلات الصوتية على أساس اختلاف الصفات والمخارج، وكان دائم التنبه بضرورة التحفظ والانتباه في إخراج الأصوات فقال في باب الغين: (ولولا ما بينهما من الجهر والهمس لكانت الخاء غينا اذ المخرج واحد ،والصفات متقاربة)[٢].

وقال في باب التاء: (لولا الهمس الذي فيه لكان دالا، كذلك الدال لولا الجهر الذي فيه لكان تاء، اذ المخرج واحد)[٣]، وفي باب السين ذهب قائلًا: (لولا الهمس الذي في السين لكانت زايا، كذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينًا، إذ اشتركا في المخرج، والصفير، والرخاوة، والانفتاح، والتسفل، وانما اختلفا في الجهر والهمس لا غير، فباختلاف هاتين الصفتين افترقا في السمع، فاعرف ذلك)[٤]، ومن هنا نجد مكيًا لاحظ على نحو واسع التقابل بين بعض الأصوات المجهورة والمهموسة وأدرك أثر ظاهرة الجهر من عدمها في التميز بين الأصوات.

أما الداني فقد تمسك بتحديد سيبويه للصوت المهموس وتابعه القرطبي وابن الطحان فقال: (إنه حرف أضعف الاعتماد في موضعه، فجرى معه النفس)[٥]، وعدّها عشرة أحرف جمعها في عبارات يسهل حفظها من نحو (كسف شخص تحث)[٦]، و(سكت شخصه فحث)[٧]، وثالثة (فستحث شخصكه) التي ذكرها في أرجوزته قائلًا[٨]:

فَالهَمْسُ فِي الهَاءِ وَحَرْفِ الحَاءِ وَالخَاءِ وَالكَافِ مَعًا وَالتَّاءِ
وَالصَّادِ وَالثَّاءِ وَحَرْفِ السِّينِ وَالفَاءِ أَيْضًا بَعْدَ حَرْفِ الشِّينِ
عَشَرَةٌ هِيَ كَمَا عَرَّفْتُكَهَ يَجْمَعُهَـــــا: فَسَتَحُثُّ شَخْصَكَهْ

(١) الرعاية:٩٣.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٣، وينظر: الجهود الصوتية للأمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ١٨٥.
(٣) الرعاية : ١٧٨.
(٤) المصدر نفسه: ١٨٥.
(٥) التحديد: ١٠٤، وينظر: الموضح في التجويد :٨٨ ، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣.
(٦) التحديد :١٠٤.
(٧) الأرجوزة المنبهة:٢٩٩، وينظر: الموضح في التجويد:٨٨، ومخارج الحروف وصفاتها:٨٧ .
(٨) الأرجوزة المنبهة :٢٩١.

ووصف الجهر بالإعلان والهمس بالإخفاء، أي: ضعف الصوت وعدم علوه مع المهموس[١]. غير أن القرطبي زاد على ذلك العلة في ضعف الصوت المهموس، فقال:(فتجد الصوت في المهموس يضعف لأجل جريان النفس معه)[٢] فهو يرى أن أمارة ضعف الصوت المهموس هو انعدام العارض التي تتيح للنفس الخروج بحرية تامة دون أي عائق او ضغط[٣].وقد ردد علماء اللغة تعريف سيبويه للأصوات المهموسة فقال ابو حيان: (سميت بذلك لأنها ضعف الاعتماد عليها في مخارجها عند النطق بها ، فجرى معها النفس، فخفي الصوت بها)[٤]، وتابعوه في عددها[٥].

أما المجهور فعرفه الداني قائلًا :(انه حرف قوي الاعتماد في موضعه، فمنع النفس ان يجري معه)[٦]، ولم يخرج القرطبي وابن الطحان عما جاء به سيبويه الذي ادرك ظاهرة الجهر بذوقه الفذ وحسه اللغوي[٧].غير أنَّ الداني ذكر (قوي الاعتماد) وابن الطحان (قوة الاعتماد) أما سيبويه فذكر(أشبع الاعتماد) وتابعه القرطبي، فإنَّ قضية الاعتماد في تعريفهم لها أثر فعال في إحداث الأصوات. أما عددها فتسعة عشر حرفًا[٨]، ويجمعها الداني في قوله: (ظل قيد بضغم زر بطا واذ نعج)[٩].واتفق ابن عصفور وتعريف سيبويه للجهر[١٠].أما أبو حيان فوصف الجهر قائلًا: (ووصفت بذلك لأنها حروف قوي الاعتماد عليها في مخارجها واشبع، ومنع النفس ان يجري معها عند النطق بها)[١١]، ويلاحظ أنَّ أبا حيان قد جمع بين حدّ اللغويين للجهر وحدّ علماء التجويد وذلك عن طريق جمعه بين عبارة (قوة الاعتماد) و(اشباعه)، فالعبارة الاولى استعملها الداني في تعريفه للجهر، وعبارة (اشبع) استعملها اللغويون ابتداء

(١) ينظر: التحديد: ١٠٤، وينظر: الأرجوزة المنبهة: ٢٩١.
(٢) الموضح في التجويد :٨٩.
(٣) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١٢٦.
(٤) النكت الحسان :٢٧٨، وينظر: الممتع في التصريف :٦٧١/١،المقرب:٦/٢.
(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠، وينظر: الممتع في التصريف: ٦٧١/١، المقرب:٦/٢، الارتشاف:١٦/١، النكت الحسان :٢٧٨.
(٦) التحديد :١٠٤، وينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٦٠-٦١.
(٧) الموضح :٨٨ ، وينظر: مخارج الحروف وصفاتها :٨٧.
(٨) التحديد:١٠٤، وينظر: الموضح :٨٨، مخارج الحروف وصفاتها :٨٧.
(٩) التحديد:١٠٤، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠، والممتع في التصريف :٢٧١/١، والمقرب :٦/٢، والارتشاف :١٧/١، والنكت الحسان :٢٧٨-٢٧٩.
(١٠) الممتع في التصريف :٢٧١/١، والمقرب :٦/٢.
(١١) النكت الحسان :٢٧٨، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي (بحث):١٣٤.

من سيبويه. وتأثر أبو حيان بمكي لإشارته إلى أن جريان النفس مع الاصوات المهموسة وامتناعه مع الأصوات المجهورة يتم (عند النطق بها) وهذه من زيادات مكي القيسي.

ويعدّ المحدثون الوترين الصوتيين ضابطة للتميز بين الأصوات المهموسة والمجهورة، فلهما وضع خاص مع كل صوت فقد ينفرج بعضهما عن بعض ويسمحان بمرور الهواء من دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان وهذا ما يصطلح عليه بالهمس. أو يقتربان بعضهما من بعض في أثناء مرور الهواء وفي أثناء النطق، ويسمح بمرور الهواء ولكن مع اهتزازات وذبذبات سريعة منتظمة لهذين الوترين، وهذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف درجتها وشدتها باختلاف عدد الحركات الايقاعية ومداها، وهذه النغمة الصوتية يصطلح عليها بالجهر. وعلى وفق هذه الضابطة جاء وصف المحدثين مطابقًا لوصف علماء التجويد وعلماء اللغة[١]، إلا في ثلاثة أصوات وهي **(الهمزة والقاف والطاء)** وهذا لا يعد خطأ في وصف المتقدمين، بل يعود تفسير ذلك إما اختلاف الضابط في الوصف بين المتقدمين والمحدثين، أو أنَّ أهل العربية وعلماء التجويد وصفوا أصواتاً جرى عليها التطور والتغيير بمرور الزمن[٢]. لذا سأتناول دراسة الأصوات الثلاثة للنظر في قضية وصفها بين القدامى والمحدثين .

الهمزة :

لم يختلف القدامى ومنهم علماء التجويد واللغة في الأندلس في وصفهم الهمزة بأنها مجهورة، لكن المشكلة تكمن في فهم المحدثين لمراد القدماء من (جهر الهمزة) وفي فهمهم لوصف الهمزة من حيث صفة الجهر او الهمس، فذهب المحدثون إلى أنها غير مجهورة منقسمين بذلك على قسمين: منهم من وصفها بأنها مهموسة؛ لانطباق الوترين الصوتيين انطباقًا تامًا حال النطق بها[٣]، ومنهم من وصفها بأنها صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور؛ لأن فتحة المزمار مغلقة معها إغلاقا تامًا ، فلا يمكن سماع ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور الى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الصوت الفجائي الذي ينتج الهمزة[٤].

(١) ينظر: علم الأصوات(بشر): ١٧٣-١٧٤، وعلم اللغة (السعران): ١٣٦-١٣٧، والأصوات اللغوية(أنيس):٢٢-٢٣

(٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ١٠٧، والمدخل الى علم أصوات العربية: ٢٩٧

(٣) ينظر: أصوات اللغة :١٨٣، ومناهج البحث في اللغة :٢٢٥

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس): ٨٧، وعلم اللغة(السعران): ١٥٧، وعلم الأصوات(بشر) : ١٧٥.

وقد فسّر بعض المحدثين عدّ الهمزة صوتًا مجهورًا عند القدامى بأنهم لم ينطقوا الهمزة مجردة فكانوا يستعملون بعدها حركة ،والحركة مجهورة ،فأثر ذلك في نطق الهمزة فعدوها مجهورة[١]، وحمل بعضهم ذلك إلى أنهم وصفوا الهمزة مسهلة وهي بذلك اشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة[٢].

وهذا الأمر غير مسوغ؛ لأن القدامى عدوا الهمزة من الحروف الشديدة التي يحبس معها الهواء حبسًا تامًا في المخرج، الأمر الذي يختلف كثيرًا عن مرور الهواء مع الهمزة المسهلة الشبيهة بأصوات المد، لأن الهواء معها يخرج حرًا طليقًا من غير غلق أو تضييق في مجراه، وهذا يدل على أنهم وصفوا همزة محققة وليست مسهلة[٣].

القاف :

تكمن مشكلة القاف في أنها صوت مجهور عند القدامى ومنهم علماء التجويد واللغة في الأندلس، في حين وصفها المحدثون بأنها صوت مهموس، وقد علق تمام حسان على ذلك بقوله: (إنَّ النحاة والقرّاء قد أخطأوا في اعتبارها مجهورة)[٤]. وذهب المحدثون إلى آراء مختلفة في جهر القاف عند القدماء، فمنهم من حاول أنْ يجد تفسيرًا لكلامهم كالدكتور إبراهيم أنيس الذي عزا ذلك إلى ذكر المتقدمين أنهم وصفوا قافًا لهجية تُشابه إلى حد كبير صوت الغين، وهو النطق الشائع في السودان وبعض لهجات العراق[٥]، وهذا الأمر مستبعد عن ما ذكره الدكتور غانم قدوري الحمد الذي رأى أنَّ سبب الرفض هو(من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية وعلماء التجويد ذلك القرب الشديد حينئذ بين نطق القاف ونطق الغين، ولو أنَّ سيبويه حين وصف القاف بأنها مجهورة أراد صوتًا يشبه الغين لما وصف القاف بأنها صوت شديد، فمن غير المعقول إلّا يفطن سيبويه إلى رخاوة ذلك الصوت، وهو فعلًا قد وصف الغين وأُختها بأنها من الأصوات الرخوة)[٦].

وهناك من قال إنها: تنطق (كالجيم القاهرية) اليوم، وهو صوت يمثل مجهور الكاف، وهو نطق شائع جدًا في العراق[٧]، وهذا أمر مستبعد أيضًا؛ لأن سيبويه قد ذكر صوتًا متفرعًا عن صوت القاف غير

(١) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا(دوريات):١٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٠٧.
(٢) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا:١٦، ومناهج البحث في اللغة: ٩٧، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٠٧.
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٩٧، والدرس الصوتي عند المرعشي(بحث): ١٣.
(٤) مناهج البحث في اللغة :١٢٤.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) :٨٢.
(٦) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢١٧.
(٧) ينظر : علم الأصوات (بشر) : ٣٨٦ ، ومحاضرات في اللغة :١٢٩.

مستحسن هو صوت (الكاف التي كالجيم أو بالعكس) قال: (الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف)[١]، ولم يرد سيبويه حين وصف القاف بالجهر (الكاف المجهورة)، لا سيما أنه حدد مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف، ومن غير المحتمل أنْ يغيب عن سيبويه أن الكاف المجهورة تخرج من موضع الكاف العربية المهموسة نفسه، ولو اراد بالقاف حين وصفها بالجهر (الكاف المجهورة) لجعلهما من مخرج واحد كما فعل مع عدد من الأصوات[٢]، وكذلك القرطبي قال: (ونرى اليوم من يتكلم بالقاف بين القاف والكاف بمثل لفظ الكاف التي بين الجيم والكاف)[٣] والقول الأخير يؤكد أن سيبويه أراد بقوله (القاف المجهورة) التي تتمثل اليوم بالجيم التي ينطقها أهل القاهرة[٤].

وعلى الرغم من أنَّ مكيًا اتفق مع سيبويه في وصف القاف بالجهر، إلا أنه حينما حدد مخرجه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، وحدد مخرج الكاف من مخرج القاف نفسه بعده مما يلي الفم، يلاحظ الفرق بينه وبين سيبويه في وصفهما لمخرج القاف ، وذلك بأنَّ سيبويه حدد مخرجه من مكان أعمق وأبعد من مخرج الكاف ، أما عند مكي فإن مخرجيهما متحدان، إذ قال: (ولولا الجهر والاستعلاء اللذان في القاف لكانت كافًا، لذلك لولا الهمس والتسفل اللذان في الكاف لكانت قافًا)[٥] إذن فالقاف التي وصفها مكي بالجهر هي الكاف المجهورة أو تشبهها الى حد كبير، والدليل على ذلك أنه لم يفرق بين القاف والكاف إلا في الصفات ، وينطبق هذا الصوت على ما يسمع من السودانيين واليمنيين[٦]. وأطلق أبو حيان على القاف التي كالكاف مصطلح (القاف المعقودة)غير القاف الخالصة، أي القاف الفصيحة، إذ قال: (واما القاف المعقودة، فقال السيرافي: رأينا من يتكلم بالقاف بينها وبين الكاف انتهى، وهي الآن غالبة على لسان من يوجد في البوادي، حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القران)[٧].

في حين ذهب آخرون إلى أنَّ القدامى أخطأوا في تقدير صفة القاف[٨]، وهو أمر لا نستطيع أن نقطع به[٩] فقد استقر الدكتور حسام النعيمي على أن القدامى لم يخطأوا في تعيين مخرج القاف فقال:

---

(١) الكتاب :٤٣٢/٤.

(٢) ينظر : الجهود الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٥.

(٣) الموضح في التجويد: ٨٧.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٤.

(٥) الرعاية: ١٤٧، وينظر :الجهود الصوتية عند مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ١٩٣.

(٦) ينظر :الجهود الصوتية عند مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ١٩٤.

(٧) الارتشاف :١٦/١.

(٨) ينظر: مناهج البحث في اللغة :١٢٤.

(٩) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٩.

(القاف حرف لهوي شديد، وهو مجهور على وفق ضابط الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريان النفس عند اخفاء الحرف وترديده، فقراء القرآن اليوم مجمعون على نطق واحد، على أن الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم، وتأخر في لهجات الاخرين، وجاء مهموسًا عند قوم، مجهورا عند آخرين)[١]، بمعنى أنَّ الجميع يجمعون على نطق القاف بصورة واحدة في قراءة القرآن الكريم رغم الاختلافات المذكورة.

الطاء:

وصف القدامى ومنهم علماء التجويد واللغة في الأندلس الطاء بالجهر، وخالفهم المحدثون بأنها صوت مهموس[٢]، وحاول المحدثون تفسير وصف القدامى الطاء بالجهر، فمنهم من ذهب إلى أنَّ الطاء التي وصفها القدامى بالجهر هي الطاء المهموسة التي تنطق اليوم، لكن الاختلاف في الوصف يعود إلى اختلاف ضابطة الهمس والجهر بين القدامى والمحدثين، فضابطة الهمس عند القدامى جري النفس واخفاء الصوت، ولم يشيروا الى الوترين الصوتيين ولا الى الأوضاع المميزة لهما ،وحين ظهرت الآلة الحديثة وبينت شكل الأوتار الصوتية وأوضحت أثرها في جهر الأصوات حكموا على القدامى بأنهم لم يوفقوا في وصف القاف والطاء، فقال الدكتور حسام النعيمي: (لا شك أن جريان النفس يؤدي إلى تباعد الوترين الصوتيين وإخراج ما يشبه الهاء، وقد جربت ذلك في كل الحروف المهموسة فامكنني اخراجها مع جري النفس وإخفاء الصوت ،وفهمها السامع، وجربته مع الطاء فسمعت تاء)[٣].

وقد تنبه علماء التجويد والذين عنوا بالجانب التطبيقي لوجود علاقة بين الطاء والتاء، قال الداني وهو يتكلم عن التاء: (وإذا اجتمع مع حروف الإطباق في كلمة فيلزم تعمل بيانه وتلخيصه من لفظة الطاء، والا انقلب طاء، كقوله تعالى: ﴿**فاختلط**﴾(يونس:٢٤))[٤] ويعني ذلك أن الإطباق إذا دخل على التاء صار طاء، والذي يدل أن الطاء التي تنطق في أيامهم هي تاء مطبقة وليست دالًا مطبقة، وقد ذكر الداني في قوله:(إن سبقت الطاء التاء خلص صوت الطاء، وإلا صار تاء، نحو﴿**فرطت**﴾(الزمر:٥٦))[٥]. ورأى آخرون أن وصف القدامى الطاء بالجهر ينطبق على الضاد التي تنطق اليوم وهو النظير المطبق للدال[٦]، الذي يؤيد ذلك قول سيبويه: (لولا الاطباق لصارت الطاء دالًا)[٧] فهو نص صريح كون الطاء

(١) أصوات العربية بين التحول والثبات : ٢٩-٣٠.
(٢) ينظر: الأصوات اللغوية(انيس) : ٦٢، والأصوات اللغوية(عاطف فضل) :١٢٨، وعلم اللغة (السعران): ١٥٥.
(٣) ينظر :الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني :٣١٣.
(٤) التحديد :١٣٧، ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات :٣٣.
(٥) التحديد :١٣٧.
(٦) ينظر :الأصوات اللغوية(أنيس) :٦٢، ودروس في علم أصوات العربية :٥٠-٥١.
(٧) الكتاب:٤/٤٣٦.

هي النظير المطبق للدال، وأنه إذا أُزيل الإطباق عنها صارت دالا . وله نص آخر يتحدث فيه شبه وقرب الطاء من الدال، بقوله:(كما أن الطاء ليس حرفًا أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال)[١].

ونهج مكي منهج سيبويه بأن لا فرق بين الطاء والدال إلا في الإطباق والاستعلاء اللذين في الطاء، والانفتاح والاستفال اللذين في الدال، قال: (ولولا التسفل والانفتاح اللذان في الدال لكانت طاء، كذلك لولا الإطباق والإستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالًا، فإنما الفرق بينهما في السمع اختلاف بعض الصفات لا غير)[٢]. وتأثر الداني بعبارة سيبويه في موضع آخر من كتابه وكانه اخذ بالجانب الشكلي فغاب عنه الجانب التطبيقي ليقرر أنه: (لولا الإطباق الذي في الطاء لصارت دالًا)[٣].

ورجح الدكتور غانم قدوري بأن وصف علماء العربية وعلماء التجويد للطاء بأنه صوت مجهور وصف صحيح، فهي لم تحافظ على خصائصها الصوتية فلحقها الهمس وصارت تنطق اليوم تاء مطبقة، في حين أضحت تمثل حرفًا آخر في بعض البلدان كالدال المشبعة في نطق أهل مصر بعد أن اختفت الضاد العربية القديمة من الاستعمال، ولاحظ علماء التجويد المتأخرون أنَّ الهمس أخذ يغلب على صوت الطاء[٤].

الشدة والرخاوة والتوسط:

من الصفات العامة المشتركة بين الأصوات ما يسمى بـ(الشدة والرخاوة) اللتين تعتمدان على كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف ، فيكون الصوت شديدًا عند حبس النفس في مخرج الحرف حبسًا تامًا ثم يطلق بعد ضغطه لحظة ،أما إذا حصل تضييق لمجرى النفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس كان الصوت رخوًا، إذن فالضابط في هذا المقام هو جري الصوت او عدم جريه[٥].

صنف سيبويه الحروف العربية الى شديدة ورخوة ومتوسطة ، وأن لم يصرح بالبينية إلا في صوت العين، وسار علماء العربية على نهجه وتابعهم علماء التجويد في تصنيف الحروف، وكانت لهم زيادات وتفسيرات ذات شأن في هذا الميدان. فعبر سيبويه عن مفهوم الشدة بقوله: (والحرف الشديد هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه)[٦]، وقد نهج علماء التجويد في الأندلس نهجه في حدّهم للشدة، فمعيار الحرف

(١) الكتاب: ٤/٤٥٧.
(٢) الرعاية : ١٧٥، ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) :١٩١.
(٣) التحديد : ١٣٥، ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات :٣٤.
(٤) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢١٢.
(٥) ينظر : علم اللغة(السعران):١٦٦-١٧١.
(٦) الكتاب : ٤/٤٣٤.

الشديد واحد هو عدم جريان الصوت، غير أنهم زادوا عبارة (اشتد لزومه لموضعه)[١]، فجاء تحديد مكي موافقًا لتحديد المحدثين لمفهوم الشدة فقال: (ومعنى الحرف الشديد انه اشتد لزومه لموضعه ، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به)[٢]، وذلك ظاهر في قوليه: الأول: (إنه حرف اشتد لزومه لموضعه وقوي فيه) يوافق معنى حدوث تماس تام بين عضوي النطق وغلق الممر الهوائي، وإنَّ استعماله للفعلين (اشتد ولزم) يؤدي إلى معنى نفس الاتصال والتلاصق بقوة وقفل الممر الهوائي عند نقطة التلاقي الذي عبر عنه بالموضع، والثاني:(عند اللفظ فيه) الذي يدل على انفصال العضوين وحصول اللفظ بالحرف.

وانفرد مكي من بين علماء التجويد بتصنيفه صفة الشدة مع صفات القوة ويتبين ذلك من قوله: (والشدة من علامات قوة الحرف، فإذا كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك غاية القوة في الحرف، فإذا اجتمعت اثنتان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء)[٣]، أما ابن عصفور فقال: (الشدة :امتناع الصوت ان يجري في الحرف)[٤] وتبعه أبو حيان في ذلك[٥]، فجاء حدهم للشدة مطابقاً لما جاء به سيبويه فقد نقلوه دون أي زيادة.

واستقر علماء التجويد واللغة في الأندلس على أن عدد الأصوات الشديدة ثمانية أحرف تبعًا لسيبويه جمعوها بعبارات (أجدك قطبت) أو (أجدت طبقك) أو (أجدك تطبق)[٦]. وقد ذكرها الداني في ارجوزته وركز على قضية صوتية (حصر الصوت) وعدم امتداده. فقال[٧]:

وَالذَّالُ ثُمَّ غَيْرُهَا شَـدِيدَهْ لَيْسَتْ لِحَصْرِ صَوْتِهَا مَدِيدَهْ

الجِيمُ وَالدَّالُ وَحَرْفُ القَافِ وَالطَّاءُ ثُمَّ التَّاءُ بَعْدَ الكَـافِ

إنَّ مصطلح الشدة عند المحدثين يقابله مصطلح الانفجار. وهو يعني عندهم: انحباس تيار الهواء المنتج للصوت عند نقطة معينة، ثم ينطلق فينتج الأصوات الانفجارية. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: (إنّ مجرى النفس في أثناء الكلام يضيق حينًا، وقد ينحبس في مكان ما لحظة سريعة جدا بعدها ينطلق بقوة

(١) ينظر :الرعاية:٩٣، وينظر :التحديد:١٠٤-١٠٥،والموضح في التجويد:٨٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣.

(٢) الرعاية :٩٣، وينظر: النكت الحسان : ٢٧٩، والجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي (بحث):١٩٦.

(٣) الرعاية : ٩٣.

(٤) الممتع في التصريف :٦٧٢/١.

(٥) ينظر: الارتشاف :١٧.

(٦) ينظر: الرعاية:٩٣، والتحديد:١٠٤-١٠٥ ،والموضح في التجويد:٨٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣٢٠، والممتع في التصريف: ٦٧٢/١، والارتشاف :١٧.

(٧) الأرجوزة المنبهة:٢٩٢، وينظر: الدرس الصوتي عند أبو عمرو الداني (بحث):٦٨.

وهنا نلحظ له إنفجارًا ودويًا)[١] فنطق الصوت الشديد يتطلب أمرين أولهما : اتصال عضوين ينتج عنه قفل الممر الهوائي. والثاني: انفصال العضوين فجأة يعقبه مباشرة الصوت الشديد أو الانفجاري[٢].

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب نقلا عن (فندريس): (إنَّ الصوت الانفجاري في عملية إنتاجه يمر في ثلاث مراحل هي: الاغلاق أو الحبس، الإمساك الذي قد يكون طويل المدى أو قصيره ،الفتح او الانفجار)[٣]، واصطلح الدارسون المحدثون على الحروف بمصطلحات عدة تعبر عن الشديدة أهمها (الانفجارية، والوقفية، والاحتباسية، والانسدادية، والانية، واللحظية)[٤]، وعلى الرغم من تعدد المصطلحات عندهم واختلافها، إلا أنهم يكادون ان يجمعوا على تعريف واحد وهو أنها:(أصوات تنتج عن قفل الممر الصوتي في نقطة ما قفلًا تامًا ثم فتحه بحيث يحدث انفجار مسموع)[٥].

واتفق المحدثون مع علماء التجويد واللغة في عدد الأصوات الشديدة، وهي ثمانية، إلا أنهم أخرجوا صوت الجيم منها، وزادوا عليها صوت الضاد؛ لأنَّ علماء التجويد وأهل اللغة ينظرون الى حالة الحبس التام عند النطق بصوت الجيم، أما المحدثون فانهم ينظرون إلى الفتح وحالة انفصال المنتجين للصوت[٦] وهناك من المحدثين من تابع القدامى بعدّ الجيم من الأصوات الشديدة[٧].

أما الأصوات الرخوة فعرفها سيبويه قائلًا: (اجريت فيه الصوت إن شئت)[٨]، وكان لعلماء التجويد عناية بالصفات ومنها الشدة والرخاوة وتتابعوا في دراسة ما جاء به علماء العربية، إذ ميّز مكي بين الحرف الرخو والشديد، بقوله: (ومعنى الحرف الرخو: أنه حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به، فجرى معه الصوت ، فهو اضعف من الشديد)[٩]، ووافقه ابن الطحان في استعمال مصطلح (الاعتماد) في تعريف الشدة والرخاوة[١٠]. وقد جاء تعريف مكي للرخو موافقًا لما يقوله المحدثون من وجهين الأول: إن عبارة (حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه) تعني ان ممر الهواء غير مقفل تماما

(١) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس):٢٥.
(٢) ينظر: علم اللغة (السعران) :١٥٧.
(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة:٣٤.
(٤) المصطلح الصوتي(الصيغ) :١١٩-١٢٠.
(٥) الكلام انتاجه وتحليله، ٢٥٠.
(٦) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد (بحث): ١٣٨.
(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) : ٢٦، ينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٤٠.
(٨) الكتاب:٤/ ٤٣٥.
(٩) الرعاية :٩٤.
(١٠) مخارج الحروف وصفاتها: ٩٣.

لو كان كذلك لما ضعف الاعتماد عليه، وهذا يعني التضيق .أما الوجه الثاني: فأن عبارة (جرى معه الصوت) يوضح طبيعة الأصوات الاحتكاكية وهي كونها استمرارية، أي يستمر جريان الصوت فيها أثناء النطق بها[١]، ومثّل للأصوات الرخوة بصوتي السين والشين، يقول: (ألا ترى أنك تقول "الس" "الش"، فيجري النفس والصوت معهما ،وكذلك أخواتهما ،بخلاف الشديدة)[٢].

أما عددها عند مكي فثلاثة عشر صوتًا جمعها في هجاء (ثخذ ظغش زحف صه ضس)[٣]. وكل ذلك أخذ به علماء التجويد اللاحقون كالداني والقرطبي وابن الطحان فقد وافقوه مؤيدين قول سيبويه الذي ارتشف منه مكي[٤]. وغيره من أهل اللغة كابن عصفور وأبي حيان [٥].

وفي التعبير الحديث يطلق على الأصوات الرخوة بالأصوات الاحتكاكية وطبيعة هذه الأصوات أنه يحدث معها تضييق للممر الهوائي وليس قفلا كما في الحالة الانفجارية ويسمع للهواء أثناء خروجه احتكاك[٦] يقول د. إبراهيم أنيس:(عند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يُكتفى بأنْ يكون مجراه عند المخرج ضيقًا جدًا ويترتب على ضيق المجرى أن النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعًا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى)[٧].

إذن فالمحدثون لا يختلفون عن القدامى في الأصوات الرخوة. إنما الخلاف في صوت الضاد الذي كان يعد رخوًا ولحقه تغيير، فأصبح صوتًا شديدًا عند المحدثين، ولا يختلفون في عددها فهي ثلاثة عشر عند القدامى إلا أنهم وضعوا بدلًا من العين صوت الضاد، والمحدثون أخرجوا صوت الضاد من الرخوة[٨].

أما الحروف المتوسطة فعبّر عنها سيبويه، بقوله:(أما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء، ثم ذكر الحرف المنحرف وهو(اللام)، وحرفي الغنة (النون، الميم)، والمكرر وهو (الراء)، واللينة (الواو، الياء) ثم الألف مدّ)[٩]، ويتضح من النص أنَّ عدد الأصوات المتوسطة عنده

(١) ينظر: علم اللغة(السعران) :١٧٢، وينظر: دراسة الصوت اللغوي :١١٨.
(٢) الرعاية:٩.
(٣) الرعاية :٩٤.
(٤) ينظر: التحديد:١٠٤-١٠٥، والموضح في التجويد:٨٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣.
(٥) ينظر: الارتشاف :١٧، والممتع في التصريف :٦٧٢/١.
(٦) ينظر : علم اللغة (السعران): ١٧٢.
(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(انيس): ٢٦.
(٨) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ):١٢٣-١٢٤.
(٩) ينظر: الكتاب :٤/ ٤٣٤-٤٣٥.

ثمانية وهي (ع/ ل/ ن/ م/ ر/ و/ ي/ ا)، مع أنَّ سيبويه لم يصرح بمصطلح المتوسطة ، لكنه جاء بما يعنيها في لفظة (البينية) عند صوت العين، فهي بين الشديدة والرخوة[١].

أما علماء التجويد واللغة فقد تابعوا سيبويه في عدّها ثمانية يجمعها (لم يروعنا) ومنهم القيسي، إلا أنه لم يذكر التوسط او البينية بعنوان بارز في الحروف، ففي حديثه عن الأصوات الرخوة قال: (وهي ما عدا الشديدة المذكورة ، وما عدا هجاء قولك (لم يروعنا))[٢]،لكنه استدرك متحدثًا عن بعضها أثناء عرضه لبعض الصفات الفارقة التي يتصف بها الصوت منفردًا عن غيره، فقال في الراء: (وهو شديد أيضا وقد جرى فيه الصوت لتكرره وانحرافه الى اللام، فصار كالرخوة لذلك)[٣]، أي أن الراء صوت شديد زادت عليه صفة التكرير شيئًا من الرخاوة، وقال في اللام: (اما اللام فهو من الحروف الرخوة، لكنه انحرف به اللسان مع الصوت الى الشدة، فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة ولا خرج الصوت كله خروجه مع الرخوة)[٤].

وعلى حد قوله زادت عليه صفة الانحراف شيئًا من الرخاوة فأصبح متوسطًا بينهما، ووافقه القرطبي في عد الأصوات المتوسطة ثمانية، وأعطى لهذه الحروف تعريفًا وافيًا بيّن فيه العلة التي لأجلها كانت هذه الحروف، فقال: (ومعنى بين الشديد والرخو أنْ يكون الحرف شديدًا ويجري الصوت فيه، ويمتد به، وإنما يكون ذلك لاستطالة الحرف وتجافيه أو لشبه بغيره كالعين التي هي شبيهة الحاء، وكاللام التي استطال موضعها فجرى فيه الصوت لا من موضعها، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك، وكالنون للغنة التي فيها، وكالراء لانحراف موضعها والتكرار الذي فيها ....وفي الميم غنة أيضًا، والاخفاء باستطالة حروف المد واللين: الواو والياء والالف)[٥]، فقد بيّن القرطبي أن الحروف البينية هي ضمن الحروف الشديدة إلا أنها جرى معها الصوت، لعلة فيها وهي إما استطالة الصوت وتجافيه عن مخرجه، أو للشبه بغيره من الأصوات الرخوة[٦]، وبهذا النص يلتقي القرطبي مع القيسي في تفسير التوسط وهو التشبه والاقتراب من صوت آخر ، لكن الفارق أنَّ الأول فسر التوسط من جهة المخارج والثاني من جهة الصفات[٧].

---

(١) ينظر : الجهود الصوتية عند علماء التجويد : ٢٢٠.

(٢) الرعاية:٩٤.

(٣) المصدر نفسه : ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه : ١٠٧.

(٥) الموضح في التجويد : ٨٩-٩٠.

(٦) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد (بحث): ١٣٩.

(٧) ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٥٦.

أما الداني فقد اعتد بالحروف المتوسطة خمسة حروف لإخراجه الواو والياء والألف منها، وهو بهذا خالف سيبويه، فقال: (أما الشديد الذي فيه الصوت فخمسة أحرف يجمعها قولك (لم نرع): العين والنون واللام والراء والميم، اشتد لزومها لموضعها، ثم تجافى بها اللسان عن موضعها، فجرى فيها الصوت لتجافيها)[١] ولم يذكر مصطلح البينية إلا أنه استعمل مصطلحًا صوتيا جديدًا وهو(التجافي)، الذي يقصد به: تلك الحالة الملاصقة للحرف، أو هي صفة الحرف التي اتسم بها، ونتيجة لهذا الالتصاق سمح للعضو المنوط بالنطق لتلك الحروف بجريان الصوت معه[٢]. يوضح الداني مصطلح التجافي لكل حرف بدقة أكثر، في قوله: (اما العين: فتجافى بها اللسان فجرى فيها الصوت لشبهها بالحاء، وأما الراء: فتجافى بها اللسان عن موضعها للتكرير الذي فيها ،فجرى الصوت، وأما اللام: فتجافى ما فوق حافة اللسان بها عن موضعها لانحرافها، فجرى فيه الصوت لا من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك .وأما النون والميم فتجافى بهما الى موضع الغنة، وهو الالف، فجرى فيها الصوت)[٣].وبيّن الدكتور غانم قدوري سبب إخراج الداني حروف المد (الألف والواو والياء) من الحروف المتوسطة بقوله : (يترجح لدى مذهب الداني في عد المتوسطة خمسة هي (لم نرع)، على اعتبار أنَّ الحروف المتوسطة هي التي يقوم في طريقها عائق كالشديدة، لكن النفس لا ينحصر في مخرجها انحصاره في الشديد، انما يجد له منفذًا يجري فيه جريانه في الرخوة)، بمعنى أن حروف المد يجري معها النفس حرًا طليقًا من غير أنْ يعترضه تضييق لمجراه كما في الحروف الرخوة، لذا رجح الدكتور غانم قدوري مذهب الداني في عدّ الأصوات المتوسطة خمسة، والرخوة ثلاثة عشر، واخراج الأصوات (الألف والواو والياء) المدية وجعلها في قسم مستقل؛ لأن هذا التقسيم للأصوات الصامتة[٤]. وذهب ابن الطحان إلى أن الحروف المتوسطة سبعة يجمعها قولك (نولي عمر)، وحذف الألف منها لأنها أوسع الحروف مخرجًا، قال: (سبعة أحرف وهي النون والواو واللام والياء والعين والميم والراء يجمعها "نولى عمر" فأنها بين الرخاوة والشدة)[٥]. ولعل ابن مالك أول من استعمل مصطلح التوسط في كتابه تسهيل الفوائد[٦]، قال ابن مالك: (ومتوسطة يجمعها: لم يروعنا)[٧]، وتابعه أبو حيان في استعمال مصطلح التوسط قال:

(١) التحديد :١٠٥.
(٢) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٦٩.
(٣) التحديد :١٠٥.
(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٢٢.
(٥) مخارج الحروف وصفاتها: ٨٨-٨٩، وينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث): ٥١.
(٦) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :١٥٨.
(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠.

(ومتوسطة بين الشدة والرخاوة)[١]. أما ابن عصفور فلم يستعمله في تعريفه لهذه الحروف إذ قال: (هو الذي لا يجري الصوت في موضعه عند الوقف، ولكن يعرض له اعراض توجب خروج الصوت باتصاله بغير موضع)[٢]، ووافقوا سيبويه في عدها ثمانية أحرف يجمعها قولك (لم يروعنا) او (ولينا عمر)[٣].

أما موقف المحدثين من الأصوات المتوسطة فاختلفوا في مفهومها، فمنهم من وافق القدماء قال الدكتور إبراهيم أنيس: (على الرغم من التقاء العضوين مع بعض الأصوات قد يجد النفس له مسربًا يتسرب منه الى الخارج وحينئذ يمر الهواء دون أن يحدث أي نوع من الصفير او الحفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء)[٤].وزاد عليها الدكتور تمام حسان (الواو والياء) مستثنيًا الألف والعين، وأطلق عليها مصطلح (الأصوات الاستمرارية) متجاهلًا بذلك التسمية التي اطلقها القدماء[٥].أما كمال بشر فقال: (التوسط ليس بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة، وانما بين الأصوات الصامتة جميعًا(الشديدة والرخوة والحركات)[٦]، ويلاحظ من النص أن كمال بشر يرفض قضية التوسط من جذورها، فالتوسط عنده بين الصامتة والحركات، وليست بين الشديدة والرخوة واطلق عليها تسمية (اشباه الحركات)[٧].

قال المستشرق الفرنسي كانتينيو (أما الحروف البقية أي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونها بين الشدة والرخاوة .وفعلًا فإنَّ النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطق والالف والواو والياء (حروف مد) فلا يبقى محال للشك في صحة هذا الترتيب إلا في ما يتعلق بحرف العين، وماعدا ذلك فان الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين)[٨]، ويقصد بهذا الترتيب الحروف الشديدة والرخوة.

ولا يختلف المحدثون في أن الأصوات الشديدة والرخوة هي كما يراها سيبويه وعلماء التجويد واللغة، غير أنهم كانوا على خلاف معهم في شدة بعض الأصوات ورخاوتها وهي صوت (**الجيم والضاد والعين**)،

---

(١) الارتشاف : ١٧.
(٢) الممتع في التصريف :٦٧٢.
(٣) ينظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠، الارتشاف: ١٧، الممتع في التصريف :٦٧٢.
(٤) الأصوات اللغوية(انيس) :٢٧.
(٥) ينظر : المصطلح الصوتي :١٣١.
(٦) علم الأصوات(بشر) :٣٥٨.
(٧) ينظر : المصدر نفسه :٣٥٩.
(٨) دروس في علم أصوات العربية :٣٦.

وسوف ننظر في هذه الأصوات وفيما إذا كان لعلماء التجويد واللغة في الأندلس من زيادات جديدة، أو أنَّ وصفهم اختلف عن وصفها عند المحدثين بالآتي.

الجيم :

عدّ علماء التجويد واللغة صوت الجيم من الأصوات الشديدة، فوصفوها بأنها مجهورة شديدة تخرج مما بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الاعلى[١]، وتابعهم في ذلك بعض المحدثين. قال د. إبراهيم أنيس :(فاذا انفصل العضوان انفصالًا بطيئًا سمع صوت يكاد يكون انفجاريًا، هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين هنا ابطأ قليلا منه في حالة الاصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتًا قليل الشدة)[٢]، وأيد الدكتور غانم قدوري وصف علماء التجويد واللغة بأن الجيم صوت شديد مجهور، فقال: (نحن نعتقد ان هذا الوصف صحيح في جملته، ولا يزال ينطبق على الجيم التي ينطقها مجيدو قراءة القران الكريم ومن يتابعهم في نطقها)[٣].

أما بعضهم الآخر فقد أثاروا قضية (الصوت المركب) الذي يجمع بين الشدة والرخاوة في نطقه، فوصفوا الجيم بالصوت المركب. الذي يتم نطقه (بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء، فترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكًا شبيها بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة، وعلى ذلك تعد الجيم في الحقيقة صوتًا دالًا، يعقبه صوت شين مجهور)[٤]، لذا فان الجيم عندهم مركبة من صوتين إمّا قريب من صوت الدال وإمّا صوت مشرب صوت الشين كالجيم الشامية[٥]، وذهب بعضهم إلى أنَّ وصف الجيم عند القدامى نتيجة تأثرهم بالجزء الأول من نطق الجيم، وهو الجزء الذي يتمثل في انحباس الهواء عند بداية النطق، بمعنى أنهم لم يلتفتوا الى الجزء الثاني وهو الانتقال من الانحباس الى الاحتكاك، والذي دعم هذا الرأي أن سيبويه حين وزع الأصوات على مخارجها وضع الجيم مع الشين والياء ونسبها إلى وسط الحنك أو نحو منه، وهذا المخرج هو مكان نطق الجيم المركبة[٦].

---

(١) ينظر: الرعاية:٩٣، والتحديد:١٠٤-١٠٥ ،والموضح في التجويد:٨٩، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٣، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠، والارتشاف :١٧، والممتع في التصريف :٦٧٢/١.

(٢) الأصوات اللغوية: ٢٧.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٤٠.

(٤) علم اللغة(السعران): ١٨٢، ومناهج البحث في اللغة: ١٠٣-١٠٤، وعلم الأصوات(بشر) : ٣١٧.

(٥) ينظر: علم الأصوات(بشر) :٣١٦.

(٦) ينظر:الأصوات عند سيبويه وعندنا(دوريات): ١٧، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد(مجلة): ٢١٥-٢١٦، وعلم الأصوات (بشر): ٣١٤-٣١٥.

ومن المحدثين من وصف الجيم كونه صوتًا قصيًا وقفية انفجارية، أي وصفوا الجيم القاهرية (گ) مثل التي نسمعها الآن في القاهرة ونحوها من الحواضر. لكن ما يعكر هذا التفسير ان سيبويه وغيره عند إشارتهم إلى هذا الصوت عدوه من الحروف غير المستحسنة يقول سيبويه:(من الحروف غير المستحسنة.... والجيم التي كالكاف)[١] قال أبو حيان: (وفروع تستقبح وهي.... جيم ككاف)[٢]، ويلاحظ من النصين أن الجيم التي كالكاف هي الجيم القصية الوقفية الانفجارية التي هي أخت الكاف في كل الخواص، ما عدا الجهر في الجيم والهمس في الكاف، لذا فهي في رأيهم صورة مستقبحة . فلو كانت هذه الجيم أي صوت (گ) هي التي قصدها القدماء من الجيم الشديدة الفصيحة لما أعادوا ذكرها في الأصوات الفرعية[٣].

وبيّن مكي القيسي الصور النطقية للجيم في زمانه ، قائلًا: (وإذا سكنت الجيم وبعدها زاي وجب أن يتحفظ بإظهار الجيم ، نحو قوله تعالى ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (البقرة:٥٩)... وإذا سكنت الجيم وأتت بعدها تاء أو دال ، وجب أن يتحفظ القارئ باخراج الجيم من موضعها ، واعطائها حقها ، وإن لم نفعل ذلك سارع اللفظ إلى أن يخالط لفظ الجيم لفظ الشين نحو قوله تعالى﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ (البقرة:١٥٠)...و﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ (الطلاق:٦)) [٤].

يظهر لنا مما تقدم أن الجيم المسموعة اليوم في البلاد العربية هي ثلاثة جيمات وهي: (الجيم الموصوفة بالفصحى وهي المعروفة بالمشربة صوت الشين، والجيم القاهرية وهي مجهور الكاف، والجيم الشامية وهي مجهور الشين)[٥]. وإنَّ الجيم المعتمدة عند المقرئين هي الجيم التي بين الشديدة والرخوة، ولان القرآن نقل منطوقًا بحروفه، فقد عُدّ هذا الصوت المسموع اليوم هو صوت الجيم القديم، وهذا ما مال إليه المحدثون بأن صوت الجيم التي نسمعها من مجيدي القراءات هي أقرب عند الجميع الى الجيم الأصلية، إن لم تكن هي نفسها[٦].

(١) الكتاب :٤٠٤/٢ ، وينظر : علم الأصوات(بشر): ٣١٢.
(٢) الارتشاف : ١٣/١.
(٣) ينظر : علم الأصوات(بشر): ٣١٣.
(٤) الرعاية : ١٥٠-١٥٢.
(٥) في التطور اللغوي:١٨٦.
(٦) ينظر : الاصوات اللغوية(أنيس): ٧٦ ، والمصطلح الصوتي : ١٢٦.

الضاد :

وصف علماء التجويد وعلماء اللغة صوت الضاد بأوصاف لا تنطبق كل الانطباق على ما يسمع من نطق الضاد اليوم، فهو عندهم صوت مجهور رخو (احتكاكي) مطبق مستعل، ووصف بالاستطالة لامتداده في الفم حتى يتصل بمخرج اللام، هذا المخرج من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[١]، وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنها: (تتكون بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرك هذا الحرف الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي عن يسار الفم عند أكثر الرواة أو عن يمينه عند بعضهم، أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيبويه)[٢].

لذا فإنَّ الضاد التي وصفها سيبويه هي صوت فريد لا يوجد له نظير من الأصوات في موضع النطق على حدّ تعبير برجستراسر فقال: (فالضاد العتيقة حرف غريب جدًا غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد **لا يوجد الآن عند أحد من العرب)**[٣]، فنشأ عن ذلك صور نطقية مختلفة لنطق الضاد عند ألسنة العرب، فبعضهم ينطقها (دالًا مفخمة) كما عند المصريين، واخرى(ظاء) كما عند العراقيين، وثالثة (لام المفخمة) كما في جنوب الجزيرة العربية[٤]. إلا أنَّ جميع ما نسمع لا يتوافق مع وصف سيبويه وعلماء العربية من اتجاهين:

الأول : يتعلق بموضوع النطق، فسيبويه قد نسب صوت الضاد إلى منطقة تلي منطقة الجيم والشين والياء، أي أنها تخرج من منطقة قريبة من وسط الحنك، وهي بتعبير حديث لثوية – حنكية، فقد نسبها إلى موضع لا يشترك معها فيه غيره، إذ قال:(لولا الاطباق لصارت الطاء دالا،..... ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها)[٥]، وهذا يختلف عن نطق الضاد اليوم، اذ هي تخرج من نقطة الدال والتاء والطاء، وهذه الأصوات الأربعة أسنانية – لثوية وما يؤيد هذا الاستنتاج ما أشار إليه سيبويه في النص السابق بأن الطاء هي النظير المفخم للدال، على عكس نطقنا الحالي، وتعدّ الضاد النظير المفخم للدال (الضاد المصرية) فالدال ينطبق بنفس طريقة الضاد مع فارق واحد هو أن مؤخرة اللسان ترتفع قليلًا في اتجاه الطبق عند نطق الضاد، وهذا لا يحدث مع الدال[٦].

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٣، والرعاية : ١٥٨ ، والتحديد :١٠٤– ١٠٦.

(٢) الاصوات اللغوية:٤٩.

(٣) التطور النحوي:١٠.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) :٥٠ ، ودروس في علم أصوات العربية :٨٧، وعلم الأصوات(بشر): ٢٥٩.

(٥) الكتاب : ٤/ ٤٣٦، وينظر: علم الأصوات(بشر): ٢٥٤–٢٥٥.

(٦) ينظر : المدخل إلى علم اللغة: ٦٢، وعلم الأصوات(بشر): ٢٥٥، وأصوات العربية بين التحول والثبات:٣٣.

والثاني: يتعلق بكيفية مرور الهواء عند النطق، فالضاد القديمة رخوة أي احتكاكية بالتعبير الحديث، وهي تجمع بين ظاهرتين: ظاهرة خروج هوائها من جانبي الفم كاللام وظاهرة الاحتكاك، أما الضاد الحديثة فإنها صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، وهذا الوصف تجري صورته عند المصريين(١).

تعد مشكلة الضاد قديمة جدًا في العربية، فقد ذكر سيبويه من الحروف غير المستحسنة (الضاد الضعيفة) وهي التي لم تستوف صفات الضاد العربية، وذكر علماء التجويد الى ظاهرة نطق الضاد (ظاء) وهذا ما نعانيه اليوم من نطق الضاد ظاءً ولا يتميز إلا في الكتابة. فقد ذكر مكي القيسي في كتابه صعوبة نطق الضاد واختلاطها بالظاء، وينصح القارئ بضرورة التمكن من نطقه صحيحًا، إذ قال: (والضاد يشبه لفظها لفظ الظاء؛ لأنها من حروف الإطباق ومن الحروف المستعلية، ومن حروف المجهور ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظها واحدًا، ولم يختلفا في السمع ... والضاد أصعب الحروف تكلفًا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير حقها، وأخلّ بقراءته، ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعًا وسجية)(٢) ونرى أنها زيادات دقيقة في الدرس الصوتي لا سيما في صوت الضاد.

أما الداني فقد لاحظ التشابه بينها وبين الظاء فقال: (ومن أكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الظاء بإخراجه من موضعه ، وايفائه حقه من الاستطالة، ولا سيما فيما يفترق معناه من الكلام فينبغي أن ينعم بيانه ليتميز بذلك)(٣)، وذكر إلى نطق بعض القراء لها (بالظاء)، قال: (قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿**بظنين**﴾(التكوير:٢٤)، والباقون بالضاد)(٤). وذكر القرطبي أيضًا الخلط بين الضاد والظاء، بقوله: (وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الظاء، ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة)(٥).

وحذر ابن عصفور من الضاد الضعيفة بقوله :(الضاد الضعيفة :يقولون في اثرد ذلك: اضرد ذلك، يقربون الثاء من الضاد، وكأن ذلك في لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضاد ، فاذا تكلفوها ضعف نطقهم بها لذلك)(٦)، وتحدث أبو حيان الأندلسي عنها قائلًا: (وضاد ضعيفة، قال الفارسي: إذا قلت : ضربه، ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف فيضعف اطباقها)(٧)، وعلق أبو حيان على نص ابن

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس): ٤٩، وعلم الأصوات(بشر): ٢٥٦-٢٥٧، ومناهج البحث في اللغة:١٢٠،
(٢) الرعاية : ١٥٨-١٥٩.
(٣) التحديد :١٥٩.
(٤) التيسير: ١٧٩.
(٥) الموضح في التجويد :١١٤.
(٦) الممتع في التصريف :٦٦٦/١.
(٧) الارتشاف :١٥/١.

عصفور قائلًا: (وفي تفسير الضاد الضعيفة بهذا، وفي تمثيله نظر، والذي يظهر أن الضاد الضعيفة هي التي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان وابن عصفور. نقول في اضرب زيدًا: اثرب زيدًا بين الضاد والثاء)[١].

ولا شك أنَّ العرب القدامى كانوا يفرقون بين الضاد والظاء، لأنَّ الكتابة العربية التي شاعت في قريش فرقت بين الصوتين في الصورة الموضوعة لكل واحد منهما، قال د. إبراهيم أنيس: (لا يخالجنا الآن أدنى شك في ان العرب القدماء كانوا في نطقهم يميزون بين هذين الصوتين، تمييزا واضحا، ولكنهم فيما يبدو، كانوا فريقين: فريق يمثل الكثرة الغالبة، وهؤلاء هم الذين كانوا ينطقون بهما ذلك النطق، الذي وصفه سيبويه، أما الفريق الآخر، فكان يخلط بين الصورتين...وهذا الخلط الذي وقع في بعض اللهجات المغمورة، إنما كان سببه ان هذين الصوتين –على حسب وصف سيبويه لهما – يشتركان في بعض النواحي الصوتية، أو بعبارة أخرى ، كان وقعهما في الآذان متشابها)[٢]، ولعل هذا الخلط بينهما كان قد شاع في القرن الثالث الهجري، والدليل على ذلك تلك المؤلفات الكثيرة ، التي تعالج هذه المشكلة منذ القديم، حتى لا يخلطوا الضاد بالظاء في خطوطهم ، متأثرين في ذلك بنطقهم ، الذي كان من العسير إصلاحه[٣].

لذا يمكن القول: إنَّ الضاد العربية القديمة التي وصفها سيبويه تكاد تكون قد انتهت في النطق الحالي، إذ أصابها كثير من التطور حتى أصبحت صوتا شديدًا، وكان علماء التجويد وعلماء اللغة مدركين لهذا التطور . إذن فهو صوت خرج عن الألسن العربية واضمحل منها، وليس من السهل العودة اليه. قال هنري فليش: (ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد، وهو عبارة عن صوت مفخم، يحتمل انه كان ظاء جانبية أي أنه كان يجمع الظاء واللام في ظاهرة واحدة، وقد اختفى هذا الصوت، فلم يعد يسمع في العلم العربي، وأصبح بصفة عامة إما صوتًا انفجاريًا، هو مطبق الدال، وإما صوتًا اسناني هو الظاء)[٤].

(١) الارتشاف :٦٦٦/١.
(٢) الأصوات اللغوية : ٥٤–٥٥.
(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة : ٧٣.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٦.

العين :

بعد أن انتهى سيبويه من الحديث عن الأصوات الشديدة والرخوة ذكر صفات لأصوات لا تخضع الى ضابطة الشدة ولا إلى ضابط الرخاوة، وأول تلك الأصوات هو العين، قال سيبويه: (وأما العين فبين الرخوة والشديدة)[١]، ويلاحظ من النص أن سيبويه نعت العين(بالبينية)بشكل صريح ومباشر، وعدها من الأصوات المجهورة البينية أو المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وتبعه في ذلك علماء التجويد واللغة، عدا مكي القيسي الذي اضطرب بين أن تكون العين رخوة أو ليست كذلك، فقال في الرعاية: (وما عدا هجاء قولك لم يروعنا)[٢]، وذلك بعد ذكره للأصوات الشديدة والرخوة، بمعنى أنه عدّ صوت العين لا هو شديد ولا هو رخو، في حين أشار إلى موضع آخر وهو أنَّ العين (من الحروف المجهورة الرخوة)[٣]، وفي موضع ثالث قال (لولا الجهر الذي في العين لكانت حاء)[٤]، والحاء عنده (حرف مهموس رخو)[٥]، فهو يرجح أن العين قريبة من صفة الرخاوة أكثر من كونها بين الشديد والرخو.

أما المحدثون وبناء على التجارب المعملية الصوتية في العصر الحديث، فقد ذهب أغلبهم إلى إخراج العين من الحروف المتوسطة وعدها صوتا رخوا (احتكاكيا)[٦]، وقد حاولوا تفسير موقف سيبويه ومن تبعه من العلماء لعدهم العين من الحروف المتوسطة. قال تمام حسان: (وربما كان ذلك، لعدم وضوح الاحتكاك في نطقه وضوحا سمعيا، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص، ليست موجودة في نطق العين، وأوضح هذه الخصائص، حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي، أو المجرى الفمي، دون سد طريقه أو عرقلة سيره، بالتضييق عند نقطة ما، وقد اتضح بصورة الأشعة، أن في نطق العين تضيقا كبيرا للحلق، وهذا ما يدعونا وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك، إلى اعتبار صوت العين رخوًا لا متوسطًا)[٧]، لأنَّ العين أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا، وهذا ما دعا إليه علماء العربية في عدهم العين صوتًا متوسطًا بين الشدة والرخاوة.

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٥.

(٢) الرعاية :٩٤.

(٣) المصدر نفسه:١٣٦.

(٤) المصدر نفسه:١٣٨.

(٥) ينظر: علم الأصوات(بشر):٣٠٤، ودروس في علم أصوات العربية :٣٢، والأصوات اللغوية (عاطف فضل):١٢٤.

(٦) ينظر: علم الأصوات(أنيس): ٨٥-٨٦، والمدخل إلى علم اللغة:٨١-٨٢،وعلم الأصوات(بشر): ٣٠٤.

(٧) مناهج البحث في اللغة: ١٠٢

ومن المحدثين من عدها شديدة لا رخوة على وفق التجارب الحديثة[١]، وآخرون وافقوا القدامى في وصفهم العين حرفا متوسطا[٢]، ومنهم الدكتور حسام النعيمي الذي عدها متوسطة على وفق الضابط الذي حكم به القدامى، وهو إمكانية أن يجري معها الهواء في اثناء الوقف ولكن بمشقة وكلفة، وحاول أن يقيم الدليل على صحة وصف العين بأنها متوسطة وذلك عن طريق موازنته بينها وبين الهمزة والحاء في أثناء الوقف. قال: (ويمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلا ومقارنتها بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (ارجئ) و(أرجح)، إذ يمكن أن نحس بوقفة الهمزة الأخيرة في (أرجئ) أو شدتها أو انفجارها، كما عبروا، ولا يمكن إجراء الصوت بها، ونحس بسهولة جريان الصوت في حاء(أرجح) الاحتكاكية او الرخوة. أما عين(ارجع) فيمكن أن يجري النفس بها ولكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة ، ولذا عبروا عنها أنها بين الشدة والرخوة)[٣].

وخلاصة القول: أنَّ تقسيم علماء التجويد وعلماء اللغة للأصوات إلى شديدة ورخوة ومتوسطة تبعًا لكيفية مرور الهواء في المخرج، يعد منهجًا صحيحًا، وصح قولهم إنَّ العين من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة.

الإطباق والانفتاح

الإطباق والانفتاح صفتان توصف بهما الأصوات لتميز بعضها عن بعض ، فالصوت إما أنْ يكون مطبقًا أو منفتحًا، وقد عُني القدامى بتعيين معنى الإطباق ووصفوه وصفًا دقيقًا منذ سيبويه، إذ قال: (فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء...وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ،فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف)[٤]. والموضعان اللذان يقصدهما سيبويه هما موضعا المخرج ومكان الإطباق، ويلاحظ اهتمامه بعملية انحصار الصوت لا الهيأة التي يتخذها اللسان في اثناء إنتاج الأصوات المطبقة، إذ يراد من الأطباق طريقة خروج الصوت لا الشكل الذي تتخذه الأعضاء عند إنتاجه، والدليل على ذلك أنه لم يوضح هيأة انطباق اللسان بشكل مفصل بل اكتفى بالإشارة إلى أنه منطبق فقط [٥]. وكان له السبق في وضع مصطلحي (الإطباق والانفتاح) واعطاؤه صورة واضحة لحقيقة صفة الإطباق، إذ قال: (ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينًا، والظاء

(١) ينظر: التشكيل الصوتي: ٩٧

(٢) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا(دوريات):١٠، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٧.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني :٣١٧.

(٤) الكتاب: ٤٣٦/٤.

(٥) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث): ١٧٩.

ذالا. ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها)[١]، وهذه العبارة تبرز بوضوح شعوره بوظيفة هذه الصفات التميزية وبالعلاقة التقابلية التي تربطها. وهو ما أصبح اليوم من مشمولات علم الفونولوجيا أي علم وظائف الأصوات[٢].

وقد أدرك علماء التجويد في الأندلس ما لهاتين الظاهرتين الصوتيتين من أثر، لذا تباينت كلماتهم في تعيين معنى الإطباق ، قال مكي القيسي: (حروف الإطباق أربعة أحرف: الطاء، والظاء، والصاد، والضاء، وإنما سميت بحروف الإطباق؛ لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها مع استعلائها في الفم)[٣] وفي هذا النص بين مكي عدد حروف الإطباق وعلة تسميتها، ووافق سيبويه في كلامه من حيث الشكل. إلا أنه كان في وصفه أكثر دقة، في أن المقصود من قول سيبويه: (انطباق اللسان) هو بعض اللسان وليس كله ، فتعبير مكي كان أكثر دقة وأقرب إلى الوصف بقوله: (طائفة من اللسان). والمقصود بها مؤخرة اللسان وطرفه عندما ترتفع الى الطبق يكون للصوت قيمة إطباقية وتفخيمية[٤] فعند النطق بالطاء يتصل طرف اللسان مع مغارز الأسنان واللثة، ويقترب منها عند النطق بالصاد، ويتصل بأطراف الأسنان عند نطق الظاء ،أما نطق الضاد فإنَّ ما يتصل بالأسنان (الأضراس) عند خروجها من اللسان إحدى حافتيه أو كلتيهما مع ارتفاع مؤخر اللسان عند نطق هذه الأربعة كلها لأنها مفخمة، وفي الإطباق ينحصر الصوت بين اللسان والحنك الأعلى، ويخرج على هيئة انفجار كما في الطاء التي عدها أقوى الحروف الأربعة إطباقاً لجهرها وشدتها[٥]. ويعلل مكي قوة الاطباق وضعفه إلى ما تحمله من صفتي الشدة والرخاوة، فيقول: (وبعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها بجهرها وشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخوتها وانحرافها، إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والصاد والضاد متوسطان في الإطباق)[٦].

استعمل مكي عبارة (تنحصر الريح) التي عبر عنها سيبويه بـ(انحصار الصوت)، ومعنى الحصر التضيق والإحاطة[٧] ولا تحصل الإحاطة إلا من جهة الأطراف، لذا يفهم من قول مكي (حصر الريح) ناتج من ارتفاع مؤخرة اللسان الى الطبق وارتفاع طرفه إلى أحد مواضع خروج أصوات الإطباق الأربعة،

(١) الكتاب: ٤/ ٤٣٦ ، ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث): ١٨١.
(٢) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه(مجلة):١٧٤.
(٣) الرعاية: ٩٨.
(٤) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث): ١٤٥– ١٤٥.
(٥) ينظر: الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٣٨.
(٦) الرعاية: ٩٨ ، وينظر :الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٧٣.
(٧) ينظر : لسان العرب: (حصر).

مما ينشأ عنه تقعر في وسط اللسان[١]، ويرى أحد الباحثين لو أنَّ مكيًا استعمل مصطلح الصوت بدلًا من مصطلح الريح لربما كان أكثر صوابًا ودقَّة . وتُعدّ هذه الصفة من الصفات الأساسية للأصوات التي اختصت فيها، وإن حدث أي تغير لتحول الصوت إلى آخر فاقد لهذه الصفة، قال مكي: (ولولا الإطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالًا)[٢] ويقول أيضًا: (ولولا الإطباق والجهر اللواتي في الطاء لكانت تاء)[٣].أما الداني والقرطبي وابن الطحان فقد وافقوا سيبويه في تعريفهم للإطباق، قال الداني: (أن تطبق اللسان على الحنك)[٤] وقال القرطبي: (ان ترفع لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقًا له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك في مواضعهن)[٥]، وتابع مكي بأن للإطباق درجات قوةٍ وضعف[٦]. وقال ابن الطحان: (والإطباق في أربعة حروف وهي: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد)[٧]. ووافق علماء اللغة سيبويه في تعريفهم للإطباق، قال ابن مالك:(والصاد والضاد والطاء والظاء مطبقة)[٨]، وقال ابن عصفور: (الاطباق أن ترفع ظهر لسانك الى الحنك الاعلى مطبقا له)[٩]، أما أبو حيان فقال: (المطبق الصاد والضاد والطاء والظاء، وسميت بذلك لانطباق اللسان فيها على الحنك عند اللفظ بها)[١٠].

أما الانفتاح فعرفه سيبويه قائلًا: (والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه الى الحنك الاعلى)[١١]، ووافق علماء التجويد واللغة في الأندلس سيبويه في تعريفهم للانفتاح[١٢]. فعلل مكي سبب تسميتها بالمنفتحة، في قوله: (وانما سميت بالمنفتحة لان اللسان لا ينطبق مع الريح الى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر بين اللسان والحنك ، بل ينفتح ما بين اللسان والحنك وتخرج الريح عند النطق بها)[١٣] بمعنى مجرى الصوت يكون مفتوحًا بين اللسان والحنك الاعلى، ويكون

---

(١) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) : ٢٠٥.
(٢) الرعاية : ١٧٥، وينظر :الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث):٣٧.
(٣) الرعاية :٩٨.
(٤) التحديد:١٠٥.
(٥) الموضح في التجويد : ٩٠.
(٦) المصدر نفسه : ٩٠.
(٧) مخارج الحروف وصفاتها : ٨٩.
(٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠.
(٩) الممتع في التصريف : ٦٧٤/١
(١٠) النكت الحسان : ٢٧٩.
(١١) الكتاب : ٤٣٦/٤
(١٢) ينظر: الكتاب: ٤٣٦/٤، والرعاية: ٩٨، والتحديد:١٠٥، والموضح في التجويد: ٩٠، ومخارج الحروف وصفاتها :٨٩، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠، والنكت الحسان :٢٧٩،والممتع في التصريف : ٦٧٤/١.
(١٣) الرعاية :٩٨.

اللسان مسترخيًا في وسط الفم[١]، وذكر عدد حروفها خمسة وعشرين حرفًا[٢]، وقال القرطبي: (والانفتاح ان لا تطبق ظهر لسانك برفعه الى الحنك فلا ينحصر الصوت)[٣]، وهذا ما ذهب اليه الداني [٤]، وابن عصفور[٥].

أما المحدثون فكان في كلامهم تقارب مع وصف علماء التجويد واللغة لظاهرتي الإطباق والانفتاح[٦]، فالإطباق عن طريق (ارتفاع مؤخرة اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى، في شكل مقعر على هيئة ملعقة، في حين يكون طرفه مع جزء آخر من أجزاء الفم، مشكلا محبسًا من المحابس الصوتية المختلفة)[٧]. فكل مطبق مفخم وكل منفتح مرقق[٨]، ويجري في الأخير النفس سلسًا لعدم انطباق اللسان[٩]. إلا أنَّ بعضاً منهم زاد عليها ثلاثة حروف هي (الخاء، والقاف، والغين)[١٠].

الإستعلاء والاستفالة:

إنَّ هذا التصنيف له علاقة بالتصنيف السابق، لأنه قائم على أساس ارتفاع مؤخرة اللسان إلى الحنك الأعلى أو انخفاضها، ولم يقدم سيبويه تعريفًا محددًا للاستعلاء والاستفالة[١١]، لكنه وصف حروف الاستعلاء وصفا عرضيًا عند حديثه عن الإمالة، قال: (وانما منعت هذه الحروف الامالة لأنها مستعلية الى الحنك الاعلى)[١٢]، وعلل مكي سبب تسميتها بالاستعلاء، في قوله: (وإنما سميت بالاستعلاء لأن الصوت يعلو عند النطق بها الى الحنك فينطبق الصوت مستعليًا بالريح)[١٣]، وذكر عددها فقال: (وهي سبعة أحرف منها الأربعة الأحرف التي هي حروف الاطباق المذكور، والغين والخاء والقاف)[١٤].

---

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) :٣٨.
(٢) ينظر: الرعاية : ٩٨ .
(٣) الموضح في التجويد : ٩٠.
(٤) ينظر: التحديد : ١٠٥.
(٥) ينظر: الممتع في التصريف : ٦٧٤/١.
(٦) ينظر : الأصوات اللغوية(أنيس): ٤٧.
(٧) الوجيز في فقه اللغة: ١٦٧.
(٨) ينظر : المدخل إلى علم اللغة :٣٧.
(٩) ينظر : فقه اللغة :٨٥ ، ودراسات في فقه اللغة :٣٢٧.
(١٠) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها :٦٤.
(١١) ينظر: الجهود الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٨.
(١٢) الكتاب : ٤/ ١٢٩.
(١٣) الرعاية :٩٩.
(١٤) المصدر نفسه :٩٩.

فالأصوات عنده على قسمين: أحدهما ما يسمى بأصوات الإطباق التي مر الحديث عنها، والآخر لم يسمها وهي (الغين والخاء والقاف)، إلا أنه فرق بين النوعين، وإنْ لم يسمها اعتمادًا على هيئة خروجها وكيفيته[١]، ويتضح ذلك من قوله: (فينطبق الصوت مستعليا بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الاطباق المذكورة على هيئة ما ذكرنا ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف إنما يستعلي الصوت غير المنطبق مع الحنك)[٢]، وعدها مكي من الصفات القوية في قوله: (واعلم أنَّ القوة في الحرف تكون...بالاستعلاء)[٣]، وهو ما ذهب إليه الداني[٤].إلا أنه خالف مكيًا بجعل الاستعلاء للسان وليس للصوت[٥] في قوله: (سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها الى جهة الحنك، ولذلك تمنع الامالة)[٦] وقد بين هنا سبب تسميتها بالمستعلية لعلو اللسان إلى جهة الحنك الأعلى، وأشار الى الجانب الوظيفي لهذه الحروف وهو منعها من الإمالة، وبذلك وافق سيبويه فيما ذهب[٧].

واتسم الداني بدقة الملاحظة لتفسيره هذه الظاهرة، فعند تقسيم الحروف المستعلية على قسمين، وهي (الصاد والضاد والطاء والظاء) التي يعلو بها اللسان وينطبق، و(الغين والخاء والفاء) والتي يعلو بها اللسان لكن لا ينطبق، يلاحظ أن آلية استعلاء اللسان إلى الحنك الأعلى ثابتة بكلتا الحالتين، غير أن اللسان مع الحروف الأربعة ينطبق على الحنك مستعليًا بالصوت، في حين لا ينطبق على الحنك مع الحروف الثلاثة الأخرى بالرغم من استعلائه[٨]. لذا جاءت عندهم بعبارات (ضغط خص قظ)[٩]، و(خص ضغط قظ)[١٠].أما القرطبي فقد تبنى الجمع بين قول مكي والداني، وذلك بقوله: (يتصعد الصوت بالحرف في الحنك الأعلى، ولذلك منعت الامالة)[١١] ووافق ابن الطحان مكيًا، فجعل الاستعلاء للصوت

(١) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢٠٧.
(٢) الرعاية:٩٩.
(٣) الكشف :١٣٧.
(٤) ينظر: التحديد:١٢٤.
(٥) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١٥٠.
(٦) التحديد :١٠٦.
(٧) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١٥٠.
(٨) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٧٩-٨٠.
(٩) النكت الحسان :٢٧٩.
(١٠) الرعاية : ٩٩، التحديد : ١٠٦.
(١١) الموضح في التجويد: ٩١.

وليس للسان، فقال: (الاستعلاء: علو الصوت عند النطق به الى الحنك، فينطبق مع حروف الإطباق، ويستعلي في الغين والخاء والقاف غير منطبق)[١].

أما علماء اللغة فقال ابن عصفور:(أن يتصعد اللسان الى الحنك الاعلى انطبق اللسان او لم ينطبق)[٢]. ويعد تعريف أبي حيان للاستعلاء أقرب الى تعريف الداني، إذ قال: (وصفت بذلك لأن اللسان يعلو بها الى جهة الحنك عند النطق بها، وينطق الصوت مستعليا بالريح، ولذلك يمنع من الإمالة وهي على ضربين، ضرب يعلو اللسان بها وينطبق وهي حروف الاطباق الاربعة، وضرب يعلو ولا ينطبق وهي الغين والخاء والقاف)[٣].

أما مصطلح الاستفال فإنه عكس مصطلح الاستعلاء، واستعمله مكي والداني وابن الطحان وأبي حيان، بلفظ سيبويه(التسفل) نفسه، وعلة هذا التسمية (لأنَّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية المذكورة، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها)[٤]، قال الداني: (سميت مستفلة، لإن اللسان لا يعلو بها الى جهة الحنك)[٥]، وقال ابن الطحان: (والاستفال عكس ذلك، وهو انخفاض الصوت واللسان إلى قاع الفم)[٦]، وإليه أشار أبو حيان باختصار شديد قائلاً:(والمستفل ما عدا المستعلي)[٧]

واستعمل القرطبي وابن عصفور عبارة ابن جني (الانخفاض)، إذ قال القرطبي: (ومعنى الانخفاض أن لا يتصعد الصوت بالحروف)[٨] أما ابن عصفور فقال: (الانخفاض ضد ذلك وحروفه كل ما عدا المستعلية)[٩]، وأما عددها فاتفقوا على أنها اثنان وعشرون حرفًا، إلا أنهم لم يذكروها تعدادا بل اكتفوا بـ (ما عدا المستعلية)[١٠] أو بقولهم (ما عداها من الحروف منخفض)[١١] أما مكي فقد صرح عددها، إذ قال: (وهي اثنان وعشرون حرفًا، وهي ما عدا الحروف المستعلية المذكورة)[١٢].

---

(١) مخارج الحروف وصفاتها :٩٣

(٢) الممتع في التصريف :٦٧٥/١.

(٣) النكت الحسان :٢٧٩.

(٤) الرعاية :٩٩.

(٥) التحديد :١٠٦.

(٦) مخارج الأصوات وصفاتها:٩٤.

(٧) النكت الحسان :٢٧٩.

(٨) الموضح في التجويد:٩١.

(٩) الممتع في التصريف :٦٧٥/١.

(١٠) ينظر : التحديد : ١٠٦ ، ومخارج الحروف وصفاتها: ٩٤ ، والنكت الحسان :٢٧٩.

(١١) ينظر : الموضح في التجويد : ٩٠، والممتع في التصريف : ٦٧٥/١.

(١٢) الرعاية : ٩٩.

أما المحدثون فأيدوا ما ذهب إليه القدامى في عدتها وذكروا أن فكرة الاستعلاء عندهم تقوم أساسا على ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الاعلى، وعكس ذلك مفهوم فكرة الاستفالة[١]، ومن المحدثين من استعمل مصطلح الانخفاض[٢].

التفخيم والترقيق

أطلق سيبويه مصطلح التفخيم على أحد الأصوات الفرعية المستحسنة، إذ قال: (وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز)[٣]، ولم يذكر هذه الصفة في أي موضع آخر من الكتاب[٤]. واكتسب التفخيم صفة الشيوع والتحديد عند مكي[٥]، فقال:(يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك)[٦] وهيئة اللسان هنا تحدث تقعراً مناسباً في الفم، مما يساعد على منح الأصوات المطبقة صفة تفخيمية اكثر من غيرها من الأصوات التي تشترك معها في المخرج، وذلك لانحصار الصوت بين ظهر اللسان والحنك الأعلى، فينحرف الصوت بين المنطقة المقعرة من وسط اللسان وما يقابلها من الحنك، ويبدو أن مكيًا ركز على هذا الحصر لبيان قوة هذه الأصوات، فذكر أنَّ (الطاء) أقواها في الإطباق والتفخيم[٧]، ومثلها الراء واللام والألف[٨]، فهناك حروف تفخم مع حروف الإطباق، لكن الإطباق ليس في نفسها إنما عند تركيبها في الكلام، فالراء تذكر مع حروف الإمالة وحروف التفخيم، لكن التفخيم والإمالة ليستا من صفاته وما حدث هو تغيرها عند البناء الوظيفي مما ترتب عليها تغيير عند اللهجات العربية. فتكتسب الصفات الجديدة داخل تلك البنية [٩].

أما التفخيم في اللام فاقتصر حديثه عن اللام في اسم الجلالة، قال: (والتفخيم لازم لاسم الله عز وجل –جل ذكره– إذا كان قبله فتح أو ضم ، نحو قال الله، ويعلم الله، وشبهه، ولا تفخم اللام من قال، إنما التفخيم في اللام المشددة من اسم الله تبارك اسمه ذو الجلالة والاكرام)[١٠]، وذكر أن اللام أكثر ما تقع

(١) ينظر: دروس في علم أصوات العربية:٣٧، والمصطلح الصوتي (الصيغ): ١٣٩، ١٤٣.
(٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية :٣١٩ ، ودروس في علم أصوات العربية : ٣٦.
(٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٢.
(٤) ينظر: المصطلح الصوتي (الصيغ) :١٤٦.
(٥) ينظر: الرعاية:١٠٤.
(٦) المصدر نفسه : ١٠٤.
(٧) ينظر: الرعاية:١٠٤، والدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٤٥–٤٦.
(٨) ينظر: المصدر نفسه:١٠٤.
(٩) ينظر: المصدر نفسه:١٠٤، والدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٩٦.
(١٠) الرعاية : ١٦٩، وينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٤٨.

مرققة غير مغلظة، وفسر تفخيم اللام في مواضع قائلًا: (اعلم أن اللام حرف يلزمه تفخيم وتغليظ لمشاركته الراء في المخرج، والراء حرف تفخيم)[١]، وقال أيضًا: (فلما استعملت العرب في الراء التفخيم والترقيق فعلت مثله في اللام، والتفخيم في اللام أقل منه في الراء)[٢]. وقد أخرج الألف من تلك الأصوات المفخمة في(الكشف)، إذ يقول :(والحروف المطبقة أربعة ... وهي حروف التفخيم ويكون أيضًا في الراء واللام في بعض مواضع التفخيم)[٣] أما أصوات: الخاء والغين والقاف فقد اشترط أن تلفظ مفخمة إذا جاءت بعد ألف مفخمة مغلظة[٤]. أما الداني فلم يصرح بتعريف مستقل لمصطلح التفخيم، إنما ساق سلوكها عند التركيب من أثر الحركات في تفخيم صوتي(الراء واللام)، فقال في الراء: (اعلموا أن الراء إذا تحركت بالفتح أو الضم او سكنت، ولم تقع قبلها كسرة لازمة من نفس الكلمة التي هي فيها، فهي مفخمة، على حال ما حددناه من الفتح الخالص بإجماع القراء)[٥] وإليه أشار الداني عند تمثيله لها، حال كونها مفتوحة كقوله تعالى﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾(ال عمران:١٥٩)، ﴿ إِلَى رَبِّكَ ﴾(يوسف :٥٠)، ومضمومة، كقوله: ﴿ رُءُوسِهِمْ ﴾ (براهيم:٤٣)، ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾(البقرة: ٢١٧)، أو ساكنة، كقوله: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ (البقرة :٢٥٥)، ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ (آل عمران:٥٥)[٦]. وقال في اللام:(فإنْ وليها فتحة أو ضمة أجمعوا على تغليظها من أجلهما، كقوله ﴿قَالَ اللَّهُ﴾(المائدة:١١٥)، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾(البقرة :١٣٨))[٧].

ويلاحظ أن الداني استعمل مصطلح التغليظ مرادفًا لمصطلح التفخيم، قائلًا: (اعلم أنَّ ورشًا كان يغلظ اللام إذا تحركت بالفتح) [٨] وقال: (وقد روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظها.... والقراء بعد يرققونها من غير إفحاش)[٩].أما القرطبي فقد حاول التوضيح أكثر بقوله: (فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والإطباق، ولهذا أثر الاستعلاء في الامالة والترقيق فمنعهما، لأنه ضد)[١٠] وذكر (الاستعلاء والاطباق) معا، يدل أن ثمة فرقًا بين تفخيم بعض الأصوات

(١) الرعاية:١٦٢.
(٢) المصدر نفسه : ١٦٢.
(٣) الكشف :١٣٧/١.
(٤) ينظر: الرعاية : ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥.
(٥) التحديد : ١٤٩، وينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٣١-١٣٢.
(٦) التحديد :١٤٩-١٥٠.
(٧) المصدر نفسه:١٥٧.
(٨) التيسير : ٥٣.
(٩) التحديد :١٥٦-١٥٧.
(١٠) الموضح في التجويد: ١١٠.

المستعلية غير المطبقة وتفخيم الأصوات المطبقة التي هي من المستعلية[١]، وعدّ حرفي (اللام والراء) من حروف الترقيق والتفخيم، قوله:(والفرق بين الاستعلاء والاطباق وبين الترقيق والتفخيم أن الاستعلاء يلزم حروفه فلا يزول عنها وكذلك الاطباق بخلاف الترقيق والتغليظ فانهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الالف)[٢]. وهذه إضافة جديدة في الدرس الصوتي عند القرطبي.

وأفصح عن سبب تفخيم الراء، إذ قال: (لما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف)[٣] وذكر السبب الثاني في موضع آخر، بقوله:(أما الراء فإنه استطال أيضًا بالتكرار واتسع حتى أعتد في الإمالة بمنزلة حرفين) [٤] وقصد بالاستطالة أن اللسان مع الراء المفخمة يستطيل عمله بحيث يرتفع اقصاه الى الحنك الأعلى وهذا مخالف لاستطالة الضاد عندما يستطيل اللسان بها الى الأمام لا إلى الخلف مع الراء، أما سبب تفخيم اللام فهو انحرافه واستطالته كما في الراء، ويعني أن وضع اللسان معهما يكون مقعرا كما في الإطباق[٥]، قال: (أما اللام فانه انحرف واستطال حتى خالط أكثر الحروف)[٦]. وقد أدرك القرطبي التداخل والعلاقة الوثيقة التي تربط بين الاطباق والاستعلاء والتفخيم، إذ قال: (إن التفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد)[٧]، وذكر تفسيرًا معنويًا غير صوتي لتفخيم اللام في اسم الله تعالى، في قوله: (والوجه في تفخيم اللام في اسم الله– عز وجل– ما يحاول التنبيه على فخامة المسمى به وجلاله، وذلك أصل فيه إلا أن يمنع منه مانع)[٨] وتابع القرطبي الداني باستعماله مصطلح التغليظ في قوله: (والفرق بين الالف وبين حروف الترقيق والتغليظ والاستعلاء والاطباق أن هذه الاشياء يتغير بها ذات الحرف بخلاف الألف فإنها تتغير بتغير الحركة قبلها) [٩]. أما ابن الطحان فقد عرّف: (التفخيم بأنه عبارة عن سمن الحرف وامتلاء الفم بصداه، والتغليظ عندنا بمعناه)[١٠]، ويلاحظ من النص استعماله لمصطلح التفخيم والتغليظ شأنه شأن علماء التجويد الذين سبقوه، لكن تعريفه كان فريدا من نوعه لم يسبقه إليه احد من قبل، فتناقله العلماء من بعده، وذكر ما أجمع عليه علماء السلف، من أن اللام في

(١) ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢١٦.
(٢) الموضح في التجويد :١١٠.
(٣) المصدر نفسه:١١٠.
(٤) المصدر نفسه :١١٠.
(٥) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) :٢١٦-٢١٧.
(٦) الموضح في التجويد :١١٠.
(٧) الموضح في التجويد : ١٧٩، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٥٠.
(٨) المصدر نفسه :١٢٠.
(٩) المصدر نفسه : ١١٠.
(١٠) الانباء في تجويد القران : ٦٥.

اسم الله تعالى مفخمة او مغلظة بعد فتحة او ضمة[١]، وقال في الراء: (والراء المفتوحة والراء المضمومة إلا ما رقق ورش، والراء الساكنة، إلا ما اجمعوا على ترقيقه منها)[٢].

أما علماء اللغة في الأندلس فقد تناولوه في مواضعه بمفاهيم لم تكن ببعيدة عن فكر علماء النحو، فقد ذكر ابن عصفور الأصوات المفخمة تفخيمًا كاملًا ولم يتعرض للأصوات الأخرى التي تتسم بهذه السمة[٣]. أما أبو حيان فقال: (ومفخم هي حروف الاستعلاء السبعة سميت بذلك لتفخيم اللفظ بها باي حركة تحركت باتفاق وزاد بعض اصحابنا فيها الراء واللام والألف وقد مرّ القول الراء واللام.... وأما الألف فينبغي أن لا تذكر في حروف التفخيم فإنه ليس فيها ما يقتضي التفخيم لا من مخرج ولا صفة....وإنما حكمها في اللفظ التوسط كغيره من الحروف المستعلية وهو الفتح المستعمل)[٤].ويلاحظ من النص أن التفخيم عند أبي حيان حادث بسبب اللفظ، بمعنى خروج اللفظ مفخمًا، وهي إشارة مهمة إلى أن عملية التفخيم سمعية، وذهب إلى أنَّ الحروف المستعلية مفخمة أبدًا سواء كانت خارج التركيب أو داخله[٥]، فقال في اللام: (أصل اللام الفتح، يعني الفتح المستعمل في أكثر حروف الهجاء وهو حالة بين التفخيم والترقيق، ولا يدرك إلا بالمشافهة)[٦].

وفي الراء قال:(أصل الراء التفخيم)[٧]، أي إن اللام أصلها التوسط بين التفخيم والترقيق(الفتح المستعمل) إلا أنها تفخم وجوبًا وترقق وجوبًا أو جوازا بشروط، وكذلك الراء أصلها التفخيم لكنها ترقق وجوبا أو جوازا بشروط ايضًا، وذكر أن حكم الألف في اللفظ التوسط بين التفخيم والترقيق أي الفتح المستعمل، فتفخيمها يكون بانتحائها نحو الواو أي شبه صوتها صوت الواو، قال:(وألف التفخيم هي التي تفخم فتقرب من لفظ الواو وعلى قراءة ورش الصلاة)[٨].

وأما الترقيق فهو المصطلح المقابل لمصطلح التفخيم ، وقد استعمله أكثر علماء القراءات والتجويد[٩]، ولم يذكر مكي صفة الترقيق مع الصفات التي ذكرها في كتابه (الرعاية)، إلا أنه ذكرها بشكل عرضي في

(١) الانباء في تجويد القرآن : ٦٦، وينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث) :١١٢-١١٣.
(٢) الانباء في تجويد القرآن :٦٦.
(٣) ينظر: الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) :٧٠.
(٤) النكت الحسان : ٢٨٣، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي (بحث):٢٠٩.
(٥) ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢١٠.
(٦) النكت الحسان : ٢٨٣.
(٧) الارتشاف : ٥٤٢/٢.
(٨) النكت الحسان : ٢٧١، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) : ٢١٢.
(٩) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) :١٥١.

صوتي اللام والراء، فقال في اللام: (وأكثر ما يقع لفظ اللام مرققا غير مغلظ، لا سيما إذا كان بعدها الف)[١]، وذكر الراء قائلًا: (فأما التفخيم في الراء المفتوحة والمضمومة والترقيق فيهما واختلاف القراء في ذلك)[٢]. قال الداني: (اعلم أنَّ اللام إذا أتت متحركة أو سكنت، وسواء وليها كسرة أو حرف استعلاء أو غير ذلك فهي مرققة في جميع القرآن)[٣]. إذ يؤكد الداني على ترقيق اللام سواء جاء بعدها كسر أو حرف استعلاء، او كانت هي متحركة او ساكنة. وأشار إلى ترقيق اللام في لفظ الجلالة مع الكسر؛ لأجل التماثل بين اللام والكسرة؛ لكونها مستفلة إذ يستفل فيها الحنك السفلي إلى الأسفل، في حين أن التفخيم فيه تصاعد ولأجل التوافق تم ترقيقها مع الكسرة ،حتى لا يكون على اللسان كلفة، قال: (فأما اللام من اسم الله عز وجل فالجميع مجمعون على ترقيقها مع الكسرة من أجلها، عارضة كانت أو غير عارضة)[٤]. وهذا ما ذهب اليه القرطبي وابن الطحان[٥].

وذكر الداني في ترقيق الراء قوله: (اذ اتصل بالساكنة (يقصد الراء الساكنة) حرف مكسور من نفس الكلمة فلا خلاف في ترقيقها)[٦] وذكر هنا ترقيق الراء، شريطة أن يتصل بها حرف مكسور من نفس الكلمـــة، وأن الراء المكسورة دائما مرققــة عنده ســـواء وقف عليها أو وصلها بما بعدها. وهذا ما نهجه

(١) الرعاية : ١٦٢.
(٢) المصدر نفسه :١٧١.
(٣) التحديد: ١٥٦.
(٤) التحديد: ١٥٧، وينظر الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث): ١٣٦.
(٥) ينظر: الموضح في التجويد: ١٠٦، والانباء في تجويد القرآن(مجلة): ٦٧.
(٦) التحديد: ١٥٣.

القرطبي وابن الطحان في الراء كذلك[١].

أما المحدثون فلم يضيفوا في كلامهم عن الإطباق والاستعلاء والتفخيم على ما جاء به علماء التجويد واللغة، فرأى جان كانتينو عدم إمكانية التفريق بين هذه الصفات، والتي عبر عنها بمصطلح (التفخيم)[٢]، وعرّفه: (بأنه توتر عظيم في مختلف أعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئًا ما)[٣]، فهو أثر سمعي ناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت[٤].وهذا ما ذهب إليه من جاء بعده[٥]، قال الدكتور أحمد مختار عمر: (والتفخيم معناه ارتفاع مؤخر اللسان الى أعلى قليلًا في الطبق اللين، وتحركه إلى الخلف قليلًا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، والذي يسميه بعضهم الإطباق، بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم التحليق، بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان)[٦].

(١) ينظر: الموضح في التجويد: ١٠٦، والانباء في تجويد القرآن(مجلة): ٦٧.
(٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣٦-٣٧، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٥١.
(٣) دروس في علم أصوات العربي: ٢٥.
(٤) ينظر: المصطلح الصوتي(الصيغ): ١٤٥، ومحاضرات في اللغة: ١٠٥، وعلم الأصوات(بشر): ١١٩
(٥) ينظر: علم الأصوات(بشر): ١٢٩.
(٦) دراسة الصوت اللغوي : ٢٧٩.

المبحث الثاني: الصـــفات المحسنـــة

القلقلة:

قال سيبويه :(واعلم أنَّ من الحروف حروفًا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقة)[١]، وقال أيضًا: (ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى)[٢]، وهي خمسة حروف يجمعها قولك (جد بطق)[٣]أو (بجد قط)[٤]أو(طبق جد)[٥]أو (قطب جد)[٦]، وذهب سيبويه إلى أنَّ الوقوف عليها ينبو اللسان معها من موضعه، ويخرج معها صويت من الفم. وعلل ذلك قائلًا:(شدة ضغط تلك الأصوات من مواضعها)[٧]، ووصفها بأنها حروف مشربة (مجهورة)[٨].

أما مكي القيسي فقد عبر عنها بقوله: (وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة)[٩]، فقد أدرك الخاصية التي تصاحب أصوات القلقة خاصة عندما يوقف عليها، وشبه الصوت المسموع بالنبرة. فإن كل صوت مجهور انفجاري (شديد) معرض أن يكون مهموسًا، وحتى لا يفقد أي صوت مجهور(انفجاري) صفة الجهر، فلا بد للناطق أنْ يحرص على اظهار هذه الصفة، أما الصوت الانفجاري المهموس فلا يحتاج إلى قلقة[١٠]، وزاد مكي وجوب الترفق في نبرة الهمزة دون تعسف فيها، إذ قال :(فيجب على ان لا يتكلف في الهمزة ما يقبح من ظهور شدة النبر بنبرة الصوت، وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا مهملا)[١١].

---

(١) الكتاب: ١٧٤/٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٤/٤.
(٣) ينظر : الرعاية : ١٠٠، والتحديد :١٠٨.
(٤) ينظر : مخارج الحروف وصفاتها :٩٦.
(٥) ينظر : الموضح في التجويد :٩٣.
(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠، والارتشاف: ١١/١.
(٧) الكتاب : ٢/ ٢٨٥، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) :٢٣٩.
(٨) ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٩٠.
(٩) الرعاية:١٠٠.
(١٠) الرعاية:١٢٠، وينظر :الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢١٠-٢١١.
(١١) الرعاية : ٢٥٨، ينظر: الجهود الصوتية للأمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢١٣.

فالهمزة تجمع بين الجهر والشدة إلا أنها أخرجت من أصوات القلقة، وعلل مكي ذلك حين وصفها بأنها كالتهوع ، فإن معنى القلقة زيادة في الصوت، فإذا زيد على الهمزة لخرجت بتعسف وشدة وأصبحت عبئًا زائدًا[١]، وذكر أنه لا يشترط لحصول القلقة سوى سكون هذه الحروف، سواء أوقعت وسطًا أو طرفًا، قال:(فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل لهن)[٢]. ونقل مكي رأيًا عن غيره يقول فيه: (وقيل: أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرف ضغط عن موضعه، فلا يقدر على الوقف عليه الا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه ، ويشبه في ذلك اخواته المذكورات معه)[٣]. ويفهم من النص أنَّ مكيًا اطلق مصطلح (الصوت الزائد) على الصوت الظاهر مع أصوات القلقة لا سيما القاف الذي عدّه أصلًا لصفة القلقة[٤].

أما الداني فقد وافق سيبويه في وصفها بأنها صويت فقال: (ومن الحروف حروف مشربة ضغطت من مواضعها، فاذا وقف عليها خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه)[٥]، فلا تعرف هذه الأصوات بالقلقة إلا بالوقوف عليها ساكنًا، لحظتها يخرج صويت مصاحبًا للصوت الاصلي، وقد استعمل الداني مصطلح (صويت) تصغير صوت، فلو قال (صوت) لكان ذلك ثقلا على موضعها، وتصاب قلقتها بالتخبط[٦]، ولعله أراد من قوله (صويت) الاشارة إلى أنَّ هذا الصويت هو صدى لذلك الصوت الاصلي المصاحب لها، ولولاه لما تمكنا من الوقوف عليها[٧]. أما القرطبي فانه يفصل بين حروف القلقة والمشربة بقوله: (وهذه الحروف أي "حروف القلقة" مع حروف نعقبها بذكرها تسمى الحروف المشوبة، ويقال المشربة، فمنها حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنها لم تضغط ضغط الأول)[٨]، فالربط بين هذه الحروف (المشربة والقلقة) النفخ الخارج عند الوقف عليها، المختلف عن الصوت الظاهر في الوقف على القلقة، والذي يمكن ان يكون ذا وضوح وعلو أكبر بدليل وصف مكي له بالنبرة، إذ وصفها قائلًا: (وبعض العرب اشد تصويتًا بها)[٩]، واستعمل في تعريفه للقلقة كلمة الحفز، وأشار الى أن

(١) الرعاية :١٠٠، ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١٦٤.
(٢) الرعاية: ٢٢٨، ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١٦٤.
(٣) الرعاية:١٠٠.
(٤) ينظر: الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث): ٥٣.
(٥) التحديد: ١٠٨.
(٦) ينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٩٥-٩٦.
(٧) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث):١٦١.
(٨) الموضح في التجويد: ٩٣.
(٩) ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٩٢.

القلقة تحصل في الوقف فقط وهذ مخالف لما جاء به مكي، قال القرطبي: (واعلم ان في الحروف حروفا تحفز في الوقف وتضغط من مواضعها، وهي حروف القلقة...لأنك لا تستطيع الوقف عليها الا بصوت ينبو معه اللسان عن موضعه، وذلك لشدة الحفز والضغط، نحو: ألحق ، وأذهب)[١].

أما علماء اللغة في الأندلس فقال ابن مالك: (وأحرف القلقة: قطب جد)[٢]، وذكر ابن عصفور صفة القلقلة في الممتع ولم يذكرها في المقرب، إذ قال: (فالمتقلقلة: القاف والجيم والطاء والدال والباء، وذلك انها تضغط عن موضعها وتحفز في الوقف فلا تستطيع الوقوف عليها الا بصوت)[٣]، وذهب ابن عصفور إلى ان الصوت الذي يلحق حروف القلقلة في حالة الوقف يزول في حالة الوصل وذلك لخروج اللسان عنها الى صوت آخر نحو (خذه)، وقد علل ظاهرة القلقلة بانه إذا وقفت على بعض الحروف فقدت شيئا من صفاتها، مثلا الباء تفقد الانفجار والجهر في حالة الوقف، وبعضها تخفى في حالة الوقف فلا بد من تحريك اللسان عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع[٤]. أما أبو حيان فقال في الارتشاف: (والمتقلقلة يجمعها "قطب جد" والجمهور على أن الباء متقلقلة دون التاء، وذهب بعض أهل النحو والأداء إلى أنها التاء دون الباء وقد ذكر سيبويه التاء في المتقلقلة وهي المهموسة وقد ذكر لها "نفخا") [٥]، وهنا ذكر أبو حيان أنَّ سيبويه يعد التاء من المتقلقلة، وكذلك بعض النحويين وأهل الاداء والذين يستبعدون أيضا الباء من المتقلقلة، وقد رفض أبو حيان ذلك لأن الباء كسائر الأصوات المتقلقة مجهورة شديدة أما التاء فهي مهموسة[٦]، وفي موضع آخر قال: (والمجهورة الشديدة "طبق اجد" وتسمى هذه حروف القلقلة)[٧] ويصفه أحد الباحثين بأنه سها في نسبة صفة القلقلة إلى الهمزة. والقلقة هي أصوات اشتد صوتها عند الوقوف عليها[٨].ولم يختلفوا المحدثون عما جاء به علماء التجويد واللغة، فأصوات القلقلة عند المحدثين هي نفسها عند علماء التجويد واللغة، إلا ان المحدثين سموها بالأصوات (الانفجارية الشديدة)[٩]. وجعل بعضهم وجود القلقلة مساعدة هذه الأصوات على تحقيق انفجارها والمحافظة على خواصها، لأن النطق بها دون القلقلة يقلل من انفجارها إذا كانت انفجارية، ويقلل من جهرها إذا كانت

(١) الموضح في التجويد:٩٣.
(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٠.
(٣) الممتع في التصريف :٦٧٥/٢.
(٤) الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) : ٧٣-٧٤.
(٥) الارتشاف :١١/١.
(٦) ينظر :الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث): ٢٣٩.
(٧) الارتشاف: ١٠/١.
(٨) ينظر :الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث): ٢٣٨.
(٩) ينظر : علم اللغة(السعران) :١٦٠، والوجيز في فقه اللغة : ١٦٤.

مجهورة[١]. وقد عبر الدكتور غانم قدوري عن هذه العملية قائلًا:(الصوت الشديد الانفجاري يتكون من حبس، واطلاق، وصوت يتبع الاطلاق، فالحبس يتم باتصال عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفا كاملًا، والاطلاق يتم بانفصال العضوين انفصالًا سريعًا يحدث عنه انفجار الهواء، ويلاحظ أن اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمنًا محسوسًا بعد انفراج العضوين، ولذلك فالصوت الشديد (الانفجاري) لا يتأتى نطقه النطق الكامل من غير أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه، هو هذا الهواء المندفع، وهذا الصوت المستقل الذي يلي الصوت الشديد ضرورة إما أن يكون مهموسًا وأما أن يكون مجهورًا)[٢].

التكرير

صفة التكرير ذكرها سيبويه وخصها بالراء، إذ قال: (ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره)[٣] وقال أيضًا: (والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحًا)[٤]، وتابعه في ذلك علماء التجويد، إلا أنهم اختلفوا في صفة التكرير أهي ملازمة للراء أم تعد من العيوب التي يجب أن يتجنبها القارئ[٥]. فذكر مكي سبب تسمية الراء في قوله: (سمي بذلك لأنه يتكرر على اللسان عند النطق به كأن طرف اللسان يرتعد به)[٦]، ووصفه اللسان بالارتعاد عند نطق الراء يعدّ مقاربًا جدًا لمعنى التكرير[٧]، أي انه يطابق بين وصف التكرير ووصف الترعيد[٨]، وانفرد في تصنيف صفة التكرير مع الصفات القوية، إذ قال: (فالراء حرف قوي للتكرير الذي فيه)[٩]، إلا أنه أوصى بإخفاء تكريرها وعدم المبالغة في التكرير أكثر من مرة لا سيما إذا كانت مشددة، فقال: (فواجب على القارئ أن يخفي تكريره ولا يظهره، ومتى ما اظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفًا، ومن المخفف حرفين)[١٠] فقد عدّ اظهار تكريره في قراءة القرآن أمرًا غير جائز[١١]. وتابعه الداني في قوله: (اذا اتى مشددا، توصل الى

(١) ينظر: الدرس الصوتي عند المرعشي(بحث) :١٧٢.
(٢) ينظر: الدارسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٥٧.
(٣) الكتاب :٤/٤٣٥.
(٤) المصدر نفسه :١٣٦.
(٥) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٧٠.
(٦) الرعاية:١٠٦.
(٧) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):١٨٤.
(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٦٨.
(٩) الرعاية : ١٠٦، وينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ١٦٩.
(١٠) الرعاية : ١٧٠.
(١١) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي (بحث): ٦١.

النطق به بيسر من غير تكرير ولا عسر نحو ﴿ضَرَّاءَ﴾ (يونس :٢١)، ﴿وَخَرَّ مُوسَى﴾ (الاعراف : ١٤٣) وما أشبهه)[١] وقال أيضًا: (ويتبين ذلك فيه إذا وقفت عمله واخلص سكونه)[٢]، فقد ذهب الداني بان التكرار وصف خاص للراء، ويظهر ذلك حين الوقف عليه إذ يشتد ذلك ويظهر[٣]، وهو يوافق ظاهر كلام سيبويه. وتابع القرطبي وابن الطحان مكيًا في ذلك[٤]، وفي استعمال مصطلح الترعيد قال القرطبي: (وذلك انك اذا وقفت عليه طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرار ويرتعد لما هناك منه)[٥]، وقال ابن الطحان، فقال: (التكرير تضعيف يوجد في جسم الراء، لارتعاد طرف اللسان بها)[٦]. أما علماء اللغة فقال ابن مالك: (والمكرر الراء)[٧]، أما ابن عصفور فعلل سبب تسميته، قائلًا: (إذا وقفت عليها رأيت طرف اللسان يتعثر)[٨]،إذن فان علماء اللغة ذكروا هذه الصفة للراء، واتفقوا مع ظاهر كلام سيبويه بأنها صفة ذاتية[٩]. وذهب أبو حيان إلى القول: (والمكرر هو الراء، سميت كذا بذلك، لأنها كذا تتكرر على اللسان عند النطق بها كذا، كأن طرف اللسان يرتعد به، فكأنك نطقت بأكثر من حرف واحد، وأظهر ما يكون هذا الوصف إذا كانت الراء مشددة) [١٠]، ويتضح من النص أنه متابع لما ذكره مكي، إلا أنه لا يعد زيادة على ما ذكر في صفة التكرير[١١]. أما المحدثون فقد اتفقوا مع علماء التجويد واللغة في وصف صوت الراء بالتكرير[١٢]، أنهم اطلقوا مصطلحات عديدة للصفة المميزة للراء هي (المتذبذب)[١٣]، أو(المكرر)[١٤]، أو (المتردد) أو (الانحباس المتردد أو اللمسي)[١٦].

---

(١) التحديد: ١٤٨.
(٢) المصدر نفسه:١٠٧.
(٣) ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٦٨.
(٤) ينظر: الموضح في التجويد :٩٢، ومخارج الحروف وصفاتها :٩٥.
(٥) الموضح في التجويد: ٩٢.
(٦) مخارج الحروف وصفاتها : ٩٥.
(٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠.
(٨) الممتع في التصريف :٢/ ٦٧٥.
(٩) ينظر: الأصوات المفردة لأبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢٣٤.
(١٠) النكت الحسان : ٢٨٠.
(١١) ينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢٣١.
(١٢) ينظر: المدخل إلى علم اللغة :٤٨، ودروس في علم أصوات العربية :٣٨.
(١٣) ينظر: اللغة "(فندريس):٥٣.
(١٤) ينظر: الوجيز في فقه اللغة :٩١، علم اللغة المبرمج:١١٥.
(١٥) ينظر: علم الأصوات (مالبرج) :١٠٠، اسس علم اللغة :٨٦، علم الأصوات(بشر) :٨٩.
(١٦) ينظر: أصوات اللغة :١٨١، ١٨٧.

التفشي

قال سيبويه في تعريفه: (ينتشر الصوت بالحرف بعد خروجه حتى يخالط مخرج غيره)[١]، وقد وصف به صوت الشين[٢]، إلا أنه وصف أصواتًا أخرى كالأصوات المطبقة بصفة التفشي، إذ قال:(المطبق افشى في السمع)[٣]، ووصف الراء واللام والنون بالتفشي، إذ قال: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة، وهي تفشي اذا كان معها غيرها، فكرهوا ان يجحفوا بها فتدغم ما ليس يتفشى في الفم)[٤]. يفهم من كلام سيبويه أنه خص صفة التفشي لصوت الشين، أما الأصوات الأخرى فتظهر صفة التفشي عند مجاورتها أصواتًا أخرى في التركيب، بمعنى أن وصفها بالتفشي يعني شيئًا آخر غير هذه الصفة[٥]. أما علماء التجويد فقد اختلفوا في عدد الحروف التي يمكن ان تتصف بالتفشي، فقد خصَّ مكي معنى التفشيً بالشين، إذ قال: (الحرف المتفشي وهو الشين؛ سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء)[٦]، وأنه يعني امتداد الصوت مع الشين حتى تتصل بمخرج الظاء، أي أن التفشي زيادة في الريح وقال هوائي وامتداد الصوت في المخرج ينتج عنه انتشار الهواء في الفم[٧] ويتبين ذلك من قول: (كثرة انتشار خروج الريح من بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق به)[٨].

ونقل في كتابه عن آخرين أنهم زادوا صوتي الثاء والضاد، في قوله: (وقد قيل إن في الثاء تفشيًا)[٩] وقال في الذين جمعوا بين الضاد و الشين في صفة التفشي: إنهما حرفان مخالطان: (لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان)[١٠]، وأوصى القارئ بوجوب إعطاء الشين حقها من التفشي في التلاوة، إذ قال: (فيجب أن تبين التفشي الذي فيها عند النطق بها، وهي ريح زائدة تنتشر في الفم عند النطق بها بخلاف غيرها)[١١]، وعدها من الصفات القوية التي لا يستغنى عنها بإدغام الشين بغيرها أما في كتابه

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٢.
(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٤٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ٤/٤٤٨.
(٤) المصدر نفسه : ٤/٤٤٨.
(٥) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١٦٩.
(٦) الرعاية:١٠٩.
(٧) ينظر: الجهود الصوتي للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث):٢٢٠.
(٨) الرعاية:١٠٩.
(٩) الرعاية:١٠٩.
(١٠) الرعاية :١١٠، وينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٨٢-١٨٣.
(١١) الرعاية: ١٤٩، وينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٧١.

الكشف فقد زاد الفاء إلى الشين، فقال: (وحرفا التفشي الشين والفاء وهو في الشين أمكن)[١].أما الداني فقال: (المتفشي حرف واحد وهو الشين، تفشت في الفم لرخاوتها)[٢]، ووافق مكي في الفاء، قوله: (وكذلك الفاء تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء، ولذلك تبدل منها، فيقال: جدف وجدث)[٣]، أي أن الفاء تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء، فيمكن أن نبدلهما من بعضهما البعض دون تغير في المعنى، والسبب هو انتشار خروج الهواء مع هذه الحروف من مخارجها كما في الشين[٤].وأوصى القارئ بالشين إذا جاء ساكنًا فيلزم تلخيصه وبيان تفشيه، في قوله:(﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ (البقرة:١٠٢)، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ (البقرة:٤١)، وما اشبه)[٥] وقوله: (وكذا إذا كان مشددا فليشبع تفشيه كقوله﴿ فَبَشَّرْنَاهُ﴾ (الصافات:١٠١) و﴿بشَّرْنَاكَ﴾ (الحجر: ٥٥)، وما اشبهه)[٦].

أما القرطبي فقد ذهب الى ما ذهب اليه الداني[٧]، إلا أنه استعمل (المتفشية). أي: إنَّ الصفة تقع في أكثر من حرف يشاركها صوت الضاد، ووصفهما(بالمخالطة) وهو قول مكي من قبل [٨]. قال القرطبي: (أما المتفشية، وتسمى بالمخالطة، لأنها تخالط ما يتصل بها في طرف اللسان)[٩]. وأرجع صفة الاستطالة إلى التفشي قوله: (والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، ولذلك سميت الحرف المستطيل؛ لأنها استطالت من موضعها حتى خالطت بالإطباق الذي فيها الطاء والظاء والصاد)[١٠] .

أي إنه جعل التفشي في الضاد؛ لأنها تقارب اللام وتتصل بمخرجه، وبالاستطالة استطاعت أن تخالط حروف الإطباق الأخرى، ولعل في ذلك بعض نظر، فإن الضاد حرف فيه اطباق ومن صفاته، فكيف يستطيل لصفة فيه[١١]. واشترط ابن الطحان في معنى التفشي الاستطالة فجمع بين آراء من سبقه، في قوله: (والتفشي: انتشار خروج الريح وانبساطه، يتخيل ان الشين انفرشت حتى لحقت بمنشأ الظاء، وهي

(١) الكشف : ١٣٧.
(٢) التحديد:١٠٦.
(٣) المصدر نفسه:١٠٧.
(٤) ينظر: الأرجوزة المنبهة :٢٩٣، والدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث): ٨٥،٨٦.
(٥) ينظر: التحديد : ١٢٨، والدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٨٦.
(٦) ينظر: التحديد:١٢٩.
(٧) ينظر: المصدر نفسه:١٠٧.
(٨) ينظر: الرعاية : ١١٠.
(٩) الموضح في التجويد :٩٦، وينظر: الدرس لصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٨٢.
(١٠) الموضح في التجويد :٩٦.
(١١) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١٦٩.

اخص بهذه الصفة من الفاء، وقد ذكر بعضهم الضاد في هذا المعنى، لاستطالتها لما اتصلت بمخرج اللام)[١] وقد حدد صفة التفشي في الشين، إلا أنه يشير الى وجود هذه الصفة في الظاء والضاد[٢].

أما علماء اللغة في الاندلس، فقد ذكر ابن عصفور صفة التفشي في الممتع ، قال :(أما الشين فلم تدغم فيها لأن فيها تفشيًا فكرهوا إذهابه بالإدغام، وايضا فأن الشين بتفشيها لحقت بمخرج الطاء والدال، فبعدت عن الجيم)[٣].أما أبو حيان قد تبنى التفشي في صوت الشين نقلًا وإجماعًا قائلًا: (المتفشي: الشين، باتفاق. والفاء و(الضاد) باختلاف)[٤]، وأكد ذلك الإجماع والخلاف في(النكت) قائلًا: (التفشي: هو هو الريح الذي يخرج بشدة عند النطق بالشين يقال: بالفاء تفش أيضًا تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء، ولذلك تبدل منها قالوا: جدف، في جدث....وذكر بعضهم أن الضاد متفشية، وقال الشين تتفشى حتى تتصل بمخرج الظاء، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام، فعلى هذا تكون الحروف المتفشية ثلاثة)[٥]، لأن الريح أو الهواء لا يخرج بشدة مع الشين[٦].

وخلاصة القول: أن صفة التفشي استعملت سابقا بمعناها اللغوي، ولم تستقر بوصفها مصطلحًا محددا إلا في وقت متأخر. ثم استعمله المحدثون بعد أن استقر بوصفه مصطلحًا صوتيًا[٧]، ولم يزيدوا شيئا على ما ذكره علماء التجويد واللغة في مفهوم التفشي[٨]، وعرفوه بقولهم: (أن يشغل الصوت من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش)[٩]، وخصوا صفة التفشي لصوت الشين فقط [١٠]. وقد اطلق بعضهم على تلك الصفة تسمية (الانتشارية)[١١].

(١) مخارج الحروف وصفاتها : ٩٤، وينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ١٨١.
(٢) ينظر : ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية(بحث) :٦٣.
(٣) الممتع في التصريف : ٦٨٨/٢.
(٤) الارتشاف:١٢/١.
(٥) النكت الحسان :٢٨٠.
(٦) ينظر: الأصوات المفردة لأبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢٦٢.
(٧) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):١٨٢.
(٨) ينظر: علم الأصوات(مالبرج): ١٢٠، والمصطلح الصوتي (عبد القادر):١٢٠-١٢١.
(٩) أثر القراءات في الاصول والنحو العربي :٢٠٩.
(١٠) ينظر: دروس في علم أصوات العربية : ٣٨، وعلم الأصوات(مالبرج) :١٠٢، والبحث الصوتي عند العرب :٥٦.
(١١) ينظر : أبحاث ونصوص في فقه اللغة :١٨٣.

الاستطالة:

وهي من الصفات المحسنة التي ليس لها ضد، واستعملها سيبويه صفةً لصوتي الضاد والشين[١] قائلًا: (الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء)[٢] فوصف الاستطالة في الضاد لرخاوتها واتصال مخرجها باللام، ووصف الشين بالاستطالة واتصالها بمخرج الطاء، فالضاد والشين تشتركان في امتداد صوتيهما واتصالهما بمخرج غيرهما [٣]. فقد أكد مكي القيسي أن الاستطالة لا يوصف بها إلا الضاد[٤]، قال: (سميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج اللام، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء فقويت بذلك)[٥]، ورأى أن قوة الجهر والإطباق والاستعلاء ساعدت على استطالتها من مخرجها إلى مخرج اللام[٦]. فهذا الوصف ينطبق على الضاد التي وصفها سيبويه[٧]. وقد علل الداني الاستطالة بسبب اتصافها بالرخاوة الموجودة فيها. فقال: (وهو الضاد، استطالت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام)[٨].

أما القرطبي فلم يذكر صفة الاستطالة بشكل مستقل، وإنما أوردها مع صفة التفشي، قال: (والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ولذلك سميت الحرف المستطيل، لأنها استطالت من موضعها حتى خالطت بالإطباق الذي فيها الطاء والظاء والصاد)[٩].وتابع ابن الطحان مكي والداني في تحديده الاستطالة بحرف واحد وهو الضاد، وجاء كلامه مستخلصًا من كلام سيبويه وعلماء العربية والتجويد مع اعادة صياغته، قائلًا: (والاستطالة عند نبات الضاد للجهر والاستعلاء وتمكنها من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه ، فاستطالت بذلك فلحقت مخرج اللام)[١٠].

---

(١) ينظر: الكتاب : ٤/٤٣٢، ٤٤٦ ،٤٧٠.

(٢) المصدر نفسه : ٤/ ٤٥٧، ٤٦٦.

(٣) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث): ٦٩-٧٠.

(٤) ينظر: الرعاية: ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه:١٠٩.

(٦) ينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري (بحث): ١٨١.

(٧) ينظر :الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ٢٢١.

(٨) التحديد : ١٠٧، وينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٨١.

(٩) ينظر: الموضح في التجويد : ٩٦.

(١٠) مخارج الحروف وصفاتها : ٩١، وينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية (بحث): ٦٥.

لم يختلف علماء اللغة الأندلسيون فيما ذهب إليه أعلام الفكر الصوتي، فقد أفرد ابن عصفور هذه الصفة للضاد في قوله: (ثم الضاد ولا تدغم في شيء من مقارباتها وسبب ذلك ان فيها استطالة واطباقا واستعلاء)[١]. وأكد أبو حيان أنَّ (المستطيل الضاد)[٢]، وعلل سبب تسميتها بقوله: (سميت بذلك لأنها استطالت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ولذلك ادغمت في اللام في: الضالين)[٣]، يلاحظ في هذا النص أن كلامه أقرب إلى الداني الذي جعل تلك الصفة سببًا في إدغام اللام في الضاد والشين، قائلًا:(ولذلك ادغمت اللام فيها وفي الشين في نحو: ولا الضالين والشاكرين)[٤].أما المحدثون فقد أشار الدكتور عبد القادر مرعي إلى ان المحدثين وافقوا المتقدمين في تعيين مصطلح الاستطالة وصوته الخاص به، يقول مالبرج: (يقصد بها أن يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر، وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التي تخرج مما بين جانب اللسان، وبين ما يليه من الأضراس، سواء من يمين اللسان أو من شماله أو من الجانبين والأكثر من اليمين، هذا المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية، ولذلك وصفت بالاستطالة، ونطقها عند الأفارقة لاماً)[٥]. وذهب الدكتور غانم قدوري إلى أن تصور هذه الصفة في الضاد لا يصل إلى الوضوح التام؛ لأن الضاد القديمة التي تتصف بالاستطالة غير متحققة في النطق اليوم[٦].

الصفير:

ذكرها سيبويه بشكل عرضي في باب الإدغام دون التعريف بها قائلًا: (أما الصاد والسين والزاي، فلا تدغمن في هذه التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهنّ أندى في السمع)[٧]، وجاء وصفه لهذه الحروف انطلاقًا من الجانب السمعي لا النطقي، لأنها اندى في السمع[٨].

أما علماء التجويد فكانت لهم ملاحظات دقيقة وإشارة واضحة في تعيين مفهوم هذه الصفة، قال مكي: (حروف الصفير وهي ثلاثة.... وإنما سميت بحروف الصفير لصوت يخرج معها عند النطق بها

(١) الممتع في التصريف : ٦٨٩/٢.
(٢) الارتشاف : ١٢/١.
(٣) النكت الحسان :٢٨٠.
(٤) التحديد: ١٠٧ ، وينظر: الأصوات المفردة لأبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢٥٨ .
(٥) علم الاصوات(مالبرج) :١٢٠، وينظر: المصطلح الصوتي(عبد القادر):١٢١.
(٦) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٧٤.
(٧) الكتاب : ٤٦٤/٤، وينظر :الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٦٨.
(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) : ١٧٠.

يشبه الصفير، ففيهن قوة لأجل هذه الزيادة)[١]، فقد ربط بين أصوات الصفير الثلاثة وبين ظاهرة الصفير في الطبيعة وتبعه الداني والقرطبي في ذلك[٢].وعلل مكي سبب تسميتها بظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن[٣]، ويعد الصفير صفة ذاتية لا تنفك عنه[٤]، وتفرق بينها صفات مميزة وهي الهمس في السين، والجهر في الزاي، والاطباق في الصاد[٥]، وقد رتب مكي حروف الصفير حسب قوة الحرف، فالصاد أقواها للإطباق والاستعلاء، ثم الزاي للجهر، وآخرها السين للضعف في الهمس، وهي احدى التطبيقات النظرية التي بسط القول فيها[٦]. وفي موضع آخر قال: (وحقيقة الصفير أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا، تسمع له حساً ظاهرا في السمع)[٧]، وهنا ذكر أنَّ هذه الأصوات تتميز بشدة الوضوح في السمع ، ويعود ذلك إلى الاحتكاك الشديد الحاصل عند نطق هذه الحروف من مخرج يكون طرفاه أكثر تقاربًا من بعضهما، قياسًا الى تقارب طرفي المخرج مع غيرهما من الأصوات الرخوة[٨].أما الداني فقال: (سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهًا بالصفير عند اخراجها من موضعها)[٩].

وأكد على المجودين تخليصها من بعضها إذا تجاورت، فقال عن الصاد: (يلزم أن تعمل تلخيص الصاد من السين في ما يتفق لفظه ويختلف معناه، وذلك نحو قوله :(﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ** ﴾ (الانبياء:١١) و ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ**﴾ (الزخرف : ٣٢))[١٠]، وبين عند حديثه عن السين والزاي ان صفة الصفير فيها القوة في السماع؛ لذا تكون مع بعضها في حالات الإدغام، وأكد على تأثير الصفير في المهموس والمجهور، فالحرف الذي يقع بعد أحرف الصفير يتأثر بها إن كان مهموسًا أو مجهورًا، قال في الزاي: (إذا أتى ساكنا لخص مما بعده، وأشبع اللفظ به وسواء لقي حرفًا مهموسًا او مجهورًا، وذلك نحو: ﴿**مَا كَنَزْتُمْ**﴾ (التوبة:٣٥) ﴿**أَعَجَزْتُ**﴾ (المائدة: ٣١) وما اشبهه)[١١]. أما القرطبي فقال: (وسميت بذلك لشبه اجراسها

---

(١) الرعاية: ١٠٠.
(٢) ينظر: التحديد : ١٠٦، والموضح في التجويد : ٩٧، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٦٨.
(٣) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ١٥٩.
(٤) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٢٦٩.
(٥) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (بحث): ٢١٣.
(٦) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١٦٥.
(٧) الرعاية :١٨٦.
(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٥٠.
(٩) التحديد:١٠٦.
(١٠) التحديد:١٤٢، وينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :٨٤.
(١١) التحديد: ١٤٦، وينظر: الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ٨٥.

بالصفير)[١]. وجاء ابن الطحان بتعريف جديد اوضح عما ذكره سابقوه من قبله، في قوله: (والصفير حده الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب)[٢].

أما علماء اللغة فذكر ابن مالك هذه الصفة، قائلًا: (للزاي والسين والصاد، وهي أحرف الصفير)[٣] وصنف أبو حيان حروف الصفير بحسب القوة والضعف فيها، متابعًا مكي في ذلك، إذ قال: (وأقواها الصاد للإطباق، والاستعلاء، ويليها الزاي للجهر الذي فيها، والسين أضعفها للهمس الذي فيها)[٤]، وذكر أنَّ صفة الصفير زائدة، في قوله: (وكالصفير الزائد في حروف الصفير)[٥]. أما عددها فاتفق الجميع على أنها ثلاثة أحرف (الصاد، والسين، والزاي)[٦].

أما المحدثون فلم يزيدوا على ما جاء به القدامى ، وعرفوا الصفير بأنه تسرب الهواء بعد تضيقه من منافذ صغيرة غالبا ما تكون من الاسنان[٧] كالصاد وان لم يستعمل مصطلح الصفير بوضوح. أمّا الدكتور احمد مختار فقد قال:(إنَّ هذه الأصوات سميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها)[٨]، وقال بعضهم (ويوصف الصوتان س– ز غالبا بأنهما صفيريان، لما يصحبهما من صفير وأزيز، وهما في الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكي)[٩]. ومن المحدثين من أطلق مصطلح (هسيسية) و(هشيشية) على هذه الصفة، وهما مصطلحان لا يعبران عن حقيقة معنى الصفير، بل أنَّ مصطلح (الهشيش) يصدق على صوت الشين؛ لأنه أقرب لمعنى هذا الصوت[١٠]. أما عددها فهي عند الأعم منهم في ثلاثة أصوات (ص س ز) [١١].

(١) الموضح في التجويد :٩٧.
(٢) مخارج الحروف وصفاتها :٩٤، وينظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية (بحث): ٦١.
(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣١٩.
(٤) النكت الحسان : ٢٧٩ ، وينظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) :٢٦٤.
(٥) النكت الحسان :٢٨١.
(٦) ينظر: الكتاب: ٤٦٤/٤، والرعاية: ٩٩، والتحديد: ١٠٦، والموضح في التجويد: ٩٧، ومخارج الحروف وصفاتها:٩٠، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣١٩، والنكت الحسان: ٢٩٧، والارتشاف : ١٢/١.
(٧) ينظر : علم الاصوات اللغوية الفونيتيكا:٢٣٤.
(٨) دراسة الصوت اللغوي : ٩٨.
(٩) أسس علم اللغة : ٨٥.
(١٠) ينظر : دراسة الصوت اللغوي :١١٨، والأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث): ٢٦٧–٢٦٨.
(١١) ينظر : دروس في علم أصوات العربية :٣٨، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة :١٨٨–١٨٩.

الانحراف:

قال سيبويه: (المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام)[١]، وبيّن هيأة الانحراف مع اللام بقوله: (وإن شئت مددت الصوت فيها وليست كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك)[٢]، فانحراف اللام عنده مرتبط بتغير مخرجها من طرف اللسان الى ناحيتي مستدقه (حده)[٣]. وعدّ الراء صوتًا منحرفًا من حيث المخرج والصفة، إذ قال:(ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكرره وانحرافه الى اللام)[٤] .

أما علماء التجويد فاختلفوا في تعليل سبب الانحراف وعدد أصواته، فقد ذهب مكي إلى أن الانحراف يشمل حرفين (اللام والراء)، قال: (حرفا الانحراف وهما اللام والراء، وإنما سميا بذلك، لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما ،وعن صفتهما إلى صفة غيرهما)[٥]، وفي اللام قال: (أما اللام فهو من الحروف الرخوة لكنه انحرف به اللسان مع الصوت الى الشدة ،فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة ، ولا خرج معه الصوت خروجه مع الرخوة ، فسمي منحرفا لانحرافه عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة ، فهو بين صفتين)[٦]، ويلاحظ هنا أنَّ وصفه اللام بالرخاوة يناقض آلية الانحراف في اللام، فيبدو أنه أطلق الوصف من غير أن يلاحظ جريان الصوت مع اللام، أو أنه لاحظ شدة اتصال طرف اللسان مع اللثة عند خروج اللام؛ لذا يعد وصف سيبويه للام اكثر دقة من وصف مكي[٧]؛ لأن سيبويه يرى أنَّ اللام صوت شديد اكتسب صفة الرخاوة، ويراه مكي رخوا اكتسب صفة الشدة[٨]. وعد الانحراف عن المخرج سببًا لهذه التسمية، قال في الراء: (فهو حرف انحرف عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه إلى مخرج اللام، وهو أبعد من مخرج النون من مخرجه فسمي منحرفا لذلك، وقيل انما سميت "الراء" منحرفة لأنها في الأصل من الحروف الشديدة، لكنها انحرفت عن الشدة الى الرخاوة حتى جرى معها الصوت ما لا يجري مع الشديدة)[٩]، فهو يعلل سبب تسمية اللام والراء

(١) الكتاب :٤/٤٣٥.
(٢) المصدر نفسه :٤/٤٣٥.
(٣) ينظر : الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ٢٣٠.
(٤) الكتاب: ٤/ ٤٣٥، ينظر : الخلاف الصوتي بين علماء التجويد(بحث) : ١٧٤.
(٥) الرعاية :١٠٧.
(٦) المصدر نفسه :١٠٧.
(٧) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) :٦٨.
(٨) ينظر: المصطلح الصوتي(الصيغ) : ١٧٨.
(٩) الرعاية : ١٠٧، وينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢١٩.

بالانحراف، لانحرافهما عن صفتيهما؛ لأنهما انحرفتا عن حكم صفتي (الشدة) و(الرخاوة)، لذا فالانحراف عنده أشبه بمعنى صفة التوسط بين الشدة والرخاوة[١].

أما الداني، فقال: (المنحرف حرف واحد وهو اللام ، وقال الكوفيون المنحرف المكرر هو الراء؛ لأنه ينحرف عن مخرج النون إلى مخرج اللام، ولأن الناطق به كأنه ناطق برأيين)[٢]، ويفهم من النص أن الداني حصر صفة الانحراف بصوت اللام دون غيرها بحسب الرؤية الصوتية له. ويلاحظ من وصفه اللام،:(بأنه حرف مجهور فقط)[٣]، أنه أغفل صفة الانحراف، ولعل ذلك ليس إلا من باب السهو[٤]؛ لأنه ذكرها في أرجوزته، قائلًا[٥]:

الرّاءُ لِلتَّكْرِيرِ ذَاكَ فِيهَا وَاللَّامُ لانْحِرافِهَا تلِيْهَا

أما القرطبي فقال:(ومن الحروف المنحرف، وهو اللام، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما)[٦]. وتبع ابن الطحان مكي القيسي في فهمه لمعنى الانحراف وجعله لحرفي اللام والراء، بقوله: (والانحراف، خروج من صفة الى صفة، فاللام لم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديد ولا خرج معه الصوت خروجه مع الرخو، والراء انحرف عن مخرج النون الذي هو أقرب المخارج إليه الى مخرج اللام)[٧]، وقال أيضًا: (والانحراف في حرفين: وهما اللام والراء)[٨].

وخصها ابن مالك باللام في قوله : (والمنحرف اللام)[٩]. وكذلك ابن عصفور[١٠]. وتبعه أبو حيان معللًا في قوله: (ومنحرف: هو اللام، سميت بذلك لانحرافها عن حكم الشديد وعن حكم الرخو فهو بين الصفتين)[١١] وهو يخصُّ صوت اللام فقط .

---

(١) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢١٨.
(٢) التحديد: ١٠٧.
(٣) المصدر نفسه : ١٥٤.
(٤) ينظر : الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني(بحث) :٩٢.
(٥) الارجوزة المنبهة :٢٩٢.
(٦) الموضح في التجويد : ٩٢.
(٧) مخارج الحروف وصفاتها : ٩٥.
(٨) المصدر نفسه : ٩١.
(٩) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠.
(١٠) ينظر: الممتع في التصريف:٦٧٨، والأصوات المفردة عند أبي حيان الاندلسي(بحث) :٢٣١.
(١١) النكت الحسان :٢٨٠.

أما موقف المحدثين فمنهم من خصّ بها صوت اللام، (لأن اللسان ينحرف عند النطق بهذا الحرف، ويجري الصوت من جانبي اللسان)[١]، وقال بعضهم بأنه (يعتمد طرف اللسان على اصول الاسنان العليا العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم او من احدهما)[٢] ويكون اللسان في نطق اللام: (رخوًا ويكون طرفاه هابطين وتكون عضلاته عضلاته غير مشدودة البتة) [٣]. قبل الدكتور غانم قدوري على قول سيبويه بأنَّ الراء انحرف الى اللام، وعدّه الراء صوتًا منحرفًا، بقوله: (ولا يكفي قول سيبويه أن الراء انحرف الى اللام ليعد صوتًا منحرفًا ، فالمنحرف صار مصطلحا له دلالة معينة، لا مجرد كلمة تدل على معنى لغوي ينطبق على أي نوع من أنواع الانحراف)[٤]، ومن المحدثين من مال إلى رأي مكي فعّد الراء صوتًا منحرفًا[٥].

أما في تعريف صفة الانحراف فلم يختلفوا عن القدامى، قال عصام نور الدين: (ميل الصوت بعد خروجه إلى طرف اللسان)[٦]، واستعملوا مصطلح المنحرف الذي أطلقه القدامى[٧]، واستعملوا مصطلح الجانبي وهو الاكثر استعمالاً[٨]. إلى جانب مصطلح الحافي [٩].

(١) دروس في علم أصوات العربية : ٣٨

(٢) علم الأصوات(بشر): ٣٤٧، وينظر : دروس في علم أصوات العربية : ٣٨،٧٨ .

(٣) علم الأصوات(بشر) :٨٨.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٧٥.

(٥) ينظر: علم الأصوات اللغوية الفونتيكا : ٢٣٥، وأصالة علم الأصوات عند الخليل : ٤٥.

(٦) علم الأصوات :٢٣٥.

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(أنيس) : ١١٢.

(٨) ينظر: الوجيز في فقه اللغة : ١٨٩.

(٩) ينظر: أصوات اللغة : ١٨٦،٢٠٣. ومحاضرات في اللغة : ٩٥، وعلم الأصوات(بشر) : ٢١٣ ،٣٤٧.

توطئة:

تختلف دراسة الصوت اللغوي المجرد عن دراسته داخل البنية اللغوية ،لأن الصوت المجرد يحتفظ بالملامح المميزة له – على الاعم الاغلب – لكن إذا درس في السياق فأن الامر يختلف، لأن كمية الجهد اللازمة لإنتاجه وامكانية تأثره بالأصوات السابقة له واللاحقة به لا بد أن تأخذ بالحسبان(١). وتعد الأصوات اللبنة الأولى التي تشكل اللغة، فمنها تبنى الكلمات؛ لأن الكلمات سليلة أصواتها المشكلة من رسم الحروف بوصفها الوحدة الصغرى قبالة الوحدات الكبرى من التشكيل النحوي للجملة، لذا فإنَّ أي دراسة تفصيلية في لغة ما تحتاج إلى دراسة تحليلية في مادتها الأساسية ألا وهو علم الأصوات(٢).

قد يكتسب الصوت صفات جديدة متأثرًا بما جاوره من الأصوات، التي تتغير صفاتها كليًا أو جزئيًا عند تجاورها في الكلمة المفردة؛ وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره. وهذا ما يسمى بالتغيرات التركيبية التي ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب بقوله:(هي التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة، فهي لذلك مشروطة بتجمع صوتي معين، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية)(٣).

وجه علماء الأصوات المحدثون عنايتهم بدراسة الخصائص النطقية للأصوات العربية أي ما يتعلق ببيان مخارجها وصفاتها التي يمتاز بها، أما الظواهر الصوتية التركيبة فلم يهتم بها من الدارسين المحدثين إلا القليل منهم(٤). فقد حظي هذا الموضوع بعناية من قبل علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس، فوصفوا تلك الظواهر وصنفوها. ومما يأتي تبيان لمواضع التركيب عند علماء الأندلس، وموقف اللغويين منها، وبالآتي:

الإدغام :

يعد الإدغام ظاهرة صوتية شغلت تفكير علماء التجويد واللغة وحظيت باهتمامهم، تتجلى فيها عملية التأثر الصوتي بين الأصوات، وتضم أغلب موضوعات الدراسة الصوتية ، وتتعدد صور التأثر بين الأصوات في اللغة العربية تحت هذا المصطلح، وإنْ كان بعض العلماء لا يستعمله إلا في الحالات التي يفنى فيها الصوت المجاور له ولا يبقى له أثر(٥).

(١) ينظر: في علم اللغة العام (شاهين):١٠٦.
(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي:٣٤٧.
(٣) التطور اللغوي: ٢٢، وينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١٨٠.
(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٧-٣٢٨.
(٥) ينظر : المصدر نفسه :٣٩٣.

لقد ورد (باب الإدغام) في آخر أبواب كتاب سيبويه، ووضع موضوعات فرعية تشكل بمجموعها مادة (الإدغام) بادئًا بباب أصوات العربية ومخارجها وصفاتها، ومنتهيًا بباب ما كان شإذا، وبذلك جمع أطراف المادة الصوتية تحت هذا العنوان[١].وتناول الإدغام في ثلاثة محاور، الأول:(هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعًا واحدًا لا يزول عنه)، والثاني :(هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد) والثالث:(هذا باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا)[٢] وتضمنت هذه الأبواب المبادئ الأساسية في تحديد مفهوم هذه الظاهرة[٣].وقسم الإدغام على نوعين: الأول: إدغام المثلين: وهو ان يتفق الحرفان مخرجا وصفة كالدال في الدال، والباء في الباء. الثاني: إدغام المتقاربين: وهو أن يتقارب الحرفان مخرجًا أو صفة كالثاء في التاء، والذال في الدال. أما الحروف المتفقة في المخرج والمختلفة في الصفة كالتاء والطاء والثاء والذال فقد تناولها سيبويه مع النوع الثاني التي أطلق عليها المتأخرون بإدغام المتجانسين[٤].

وذهب علماء التجويد واللغة إلى تعريفه فقال مكي: هو (إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف: أدخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة الثاني)[٥]. وقال الداني:(إن الإدغام، تخفيف وتقريب، وهو وصلك حرفًا ساكنًا بحرف آخر متحرك من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما ارتفاعه واحدة، يلزم موضعا واحدًا، ويشتد الحرف)[٦]. وذهب ابن الطحان بقوله: (الإدغام عبارة عن خلط الحرفين وتصيرهما حرفًا واحدًا مشددًا)[٧]. أما علماء اللغة فقال ابن عصفور: (الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه موضعًا واحدًا)[٨]. وبيّن أبو حيان في كتابه الارتشاف معنى الإدغام بقوله: (رفع اللسان بالحرفين رفعة واحدة)[٩].

ويبدو أن القدامى من علماء العربية لم يتناولوا الإدغام من الناحية الصوتية واكتفوا بالناحية الصرفية التي وجدت في مؤلفاتهم، فلا يوجد في نتاجهم اللغوي مصطلحات صوتية كالساكن الطويل أو

---

(١) ينظر: الكتاب : ٤/٤٣١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٤/٤٣٧، ٤٤٥، ٤٦٠.

(٣) ينظر: الخلاف الصوتي بين علماء التجويد(بحث):١٨٤.

(٤) ينظر: الكتاب:٤/٤٣٧، ٤٤٥، ومنهجا الخليل وسيبويه:١٠٠.

(٥) الكشف : ١/ ١٤٣.

(٦) الإدغام الكبير : ٩٢.

(٧) مرشد القارئ :٥١، وينظر : التمهيد إلى علم التجويد: ٦٩.

(٨) الممتع في التصريف : ٢/ ٦٣١، وينظر: المقرب : ٥٠٦.

(٩) الارتشاف :٣٣٧-٣٤٨.

القصير فاكتفوا بذكر التضعيف والإدغام، دون بيان المدة الزمنية اللازمة لإنتاج الصوت المكرر، وقد يكون سبب ذلك اعتمادهم على الملاحظة الذاتية لغياب الآلات المختبرية التي اعتمد عليها المحدثون[١]، وكان غرضهم من الإدغام التخفيف. قال سيبويه في باب التضعيف: (اعلم أنَّ التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأنَّ اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد... وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبًا عليهم أن يدركوا في موضع واحد ولا تكون مهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة، وكان أخف على ألسنتهم)[٢].

أما علماء التجويد وإن لم يخرجوا عن الإطار العام الذي وضعه اللغويون لتعيين هذه الظاهرة ، إلا أنهم درسوها على نحو مفصل وأكثر دقة، وميزوا بين عدة أنواع من ظواهر تأثر الأصوات بما يجاورها في الكلام المتصل[٣]، فالإدغام ظاهرة شائعة في القرآن الكريم وكلام العرب، وهدفها الوصول بالكلمة إلى اقصى درجات الخفة والسهولة[٤]؛ لذا ذهب علماء التجويد إلى تحقيق الاقتصاد في الجهد العضلي والتخفيف كعلماء اللغة، وهذا ما نلاحظه صريحًا عند علماء التجويد لا سيما في الأندلس، الذين اشاروا إلى جزء من العلة الموجبة للإدغام، وهي تكرار الحروف المتماثلة وما تسببه من ثقل على اللافظ[٥]. قال مكي: (وعلة ذلك إرادة التخفيف لأنَّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرة اخرى إلى المخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك وشبهه النحويون بمشي المقيد... وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرتين، وذلك ثقيل على السامع)[٦].أما الداني فقال: (وإنما أدغمت القراء والعرب طلبًا للتخفيف، وكراهة الاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها اليه)[٧]، وذهب إلى أن العلة من ورود الإدغام التخفيف والتقريب وكراهة الاستثقال ولتسهيل النطق خاصة على القراء، ففي ديناميكية النطق يصعب على المتكلم أن يزيل لسانه عن صوت ثم يعيده للصوت الآخر[٨]. وعلل القرطبي ذلك، بقوله: (والعلة في ذلك ان اعتماد آلة النطق على موضع وارتفاعها عنه وعودها اليه ثم ارتفاعها عنه

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) : ٨٨.
(٢) الكتاب : ٤/ ٤١٧.
(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٣٤.
(٤) ينظر : إرشاد المريد إلى مقصود القصيد :٣٩ ، واللهجات العربية في التراث : ٣١٤/١.
(٥) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) :١٨٥.
(٦) الكشف :١٣٤/١.
(٧) الإدغام الكبير:٤٠.
(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) :١٠٥.

مستثقل يشبه مشي المقيد... ولما في ذلك من السهولة على اللافظ)[١]، ويلاحظ من كلام مكي أنه أسند الثقل إلى السامع، في حين علل القرطبي هذه الظاهرة بمطلب الخفة والسهولة على اللافظ[٢].

ويفهم من النصوص المتقدمة أن اللسان يرتفع في الإدغام ارتفاعه واحدة، لوجود الأصوات المماثلة والمتقاربة التي يتعذر معها رفع اللسان ورده إلى موضعه، ولولا الإدغام لثقل عليهم التكرير[٣]. وأكدت الدراسات الحديثة أن الغرض من الإدغام الاقتصاد في الجهد، وذلك عن طريق تجنب الحركات النطقية الزائدة التي يمكن الاستغناء عنها. قال الدكتور احمد مختار عمر: (تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو كلمتين، إذا كان الصوت الأول مشكلا بالسكون، والثاني محركًا، وذلك لتحقيق أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها)[٤].

وذهب مكي إلى أنَّ لفظ المشدد يحتاج من الوقت ما يستغرقه اللفظ بحرفين، لأنَّ المشدد يقوم مقام حرفين في الوزن واللفظ، إذ قال: (وكل حرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ... فيجب على القارئ أن يتبين المشدد حيث وقع ويعطيه حقه، ويميزه مما ليس بمشدد، لأنه إنْ افرط في تشديده حذف حرفا من تلاوته)[٥]. وأيده الداني بذلك، قائلًا: (الحرف المدغم في الوزن والنطق والثواب بمنزلة حرفين مع انه ليس بمعدوم)[٦]، أما في كتابه التحديد فقد بيّن الفرق بين الاحتباس في مخرج الحرف المشدد وبين الاحتباس في مخرج الحرف الواحد، فذهب إلى أن احتباسه للحرف المشدد أكثر من احتباسه في الحرف الواحد، إذ قال: (إن احتباسه في موضع الحرف لما زيد فيه من التضعيف اكثر من احتباسه فيه بالحرف الواحد)[٧] .وكان القرطبي أكثر وضوحًا في التفاته إلى مقدار زمن النطق بقوله: (أن يكون مقدار زمان النطق بحرفين: ساكن ومتحرك، ولا يزيد على ذلك، فيصير كأنه نائب مناب أكثر من حرفين، ولا يقصر دونه فيكون قد أخل من الكلام بحرف، بل يتحرى من ذلك ما يكفيه مؤونة الزيادة والنقصان)[٨].

---

(١) الموضح في التجويد:١٤٠.

(٢) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١٨٥.

(٣) ينظر : ارشاد المريد إلى مقصود القصيد : ٣٩.

(٤) دراسة الصوت اللغوي ٣٨٧.

(٥) الرعاية : ٢١٩، وينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث): ١٨٧.

(٦) الإدغام الكبير : ٤٠.

(٧) التحديد : ٩٨.

(٨) الموضح في التجويد :١٤١.

وقد استعمل علماء التجويد مصطلح (التشديد)[١]مع (الإدغام)، بل عدّوا مرحلة الإدغام قبل التشديد، حيث يدغم الصوت في غيره فينشأ عن ذلك التشديد، وهم بذلك تابعوا الخليل[٢]. قال مكي: (ومنه ما أصله حرفان منفصلان في الوزن، وانما يشدد للإدغام، نحو (ميّت) و(هيّن) و(ليّن) و(سيّد)، وشبهه وهو كثير أيضاً، ومن هذا الأصل ما هو من كلمتين وقع ايضا فيه التشديد لأجل الإدغام نحو "بل ران" و "من لدنه")[٣]. وقال القرطبي: (وأما التشديد فيحدث إذا التقى حرفان مثلان أو حرفان متقاربان، الأول منهما ساكن والثاني متحرك، فيقلب أحدهما إلى الآخر فيجب الإدغام، وذلك بان يُجعل الاعتماد على الحرفين مرة، فيكون النطق بهما دفعة من غير وقف على الأول، ولا فصل بين الحرفين بحركة ولا روم، ويكون الحرفان ملفوظًا بهما ويصيران بالتداخل كحرف واحد لا مهلة بين بعضه وبعضه، ويَلْزَم اللسان أو غيره من المخارج موضعًا واحدًا، إلاّ، أمكثه واحتباسه في المشدد لما حدث من التضعيف أكثر من مكثه واحتباسه في المخفف ، كقولك : قطّ وثُمَّ ، وكان الأصل قطط وثم، وقد جَّعل وهل ثُّوبَّ، والأصل فيه قَدْ جَعل وهلْ ثوُب)[٤]. أما ابن الطحان، فقال: (وأما التشديد فهو ضد هذا التخفيف الذي صِيغَ بالفك، فيكون النطق بحرف لُزَّ بموضعه فاندرج لتضعيف صيغة شديد الفك)[٥]. وعند استعمال مكي مصطلح الإدغام في حديثه عن القراءات ، فرق بين التشديد بسبب الإدغام والتشديد أصلًا في الكلمة[٦]، وتابعه الداني في ذلك[٧].

(١) ينظر: الرعاية : ٢١٩، والموضح في التجويد : ١٣٩.
(٢) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ٢٤٠.
(٣) الرعاية : ٢١٩.
(٤) الموضح في التجويد: ١٣٩-١٤٠، وينظر : التحديد : ٩٨.
(٥) مرشد القارئ : ٥٣، وينظر : التمهيد إلى علم التجويد : ٧١.
(٦) ينظر: التبصرة : ١٠٩، والمصطلح الصوتي (الصيغ): ٢٤١.
(٧) ينظر: التيسير : ٤١.

أقسام الإدغام:

درس القدامى الإدغام على نحو مفصل لا سيما علماء التجويد وميزوا بين عدة أنواع من ظواهر تأثر الأصوات بما يجاورها في الكلام المتصل ومن ثم قسموه على عدة أقسام :

أولًا: الإدغام التام والإدغام الناقص:

ذهب أغلب علماء التجويد إلى تقسيم الإدغام قسمة ثنائية(الناقص والتام). قال الداني: (والحرفان المتقاربان إذا أدغم احدهما في الآخر قلب الأول منهما إلى لفظ الثاني قلبًا صحيحًا، وأدغم فيه إدغامًا تاماً هذا ما لم يكن للأول صوت يبقى، نحو صوت النون والتنوين إذا أدغم مع الياء والواو... وبقي ذلك الصوت مع الإدغام فأن الأول لا يقلب قلبًا صحيحًا، ولا يدغم إدغامًا تامًا)[١]. وقال القرطبي: (الإدغام في المتقاربين تارة يكون بقلب الحرف الأول إلى الثاني وهو الاكثر والاشيع كقولك ﴿النَّعِيمِ﴾(المائدة: ٦٥) وهو الأصل...ومنه ما يقلب الأول من جنس الثاني ويترك من الحرف الأول شائبة ما)[٢]، وإن لم يصطلح عليه بالتام والناقص إلا أنه أشار إلى ذلك بدخول شوائب الحروف بعضها على بعض[٣]. أما ابن الطحان فقد قال:(فإذا تصيّر مثله حصل حينئذ مثلان، وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكمًا اجماعيًا، فإن جاء نص بإبقاء نعت من نعوت الحرف المدغم، فليس ذلك الإدغام بإدغام صحيح ، لان شروطه لا تكمل فيه، وهو بالإخفاء أشبه)[٤].

وزاد مكي على علماء التجويد بجعل القسمة ثلاثية (إدغام تام، وإدغام ناقص، وإدغام فيه زيادة) وهذه القسمة تفرد بها مكي. فلم ترد عند علماء القراءات ولا اللغويين القدامى ولا المحدثين، وذهب إلى أن الزيادة هي زيادة التشديد، ويحصل هذا بفقدان الصوت المدغم إحدى صفاته المميزة، وإنَّ الإدغام الزائد تذهب للصوت المدغم معه صفة من صفاته، فيكون الإدغام أوضح والتشديد أقوى[٥]، وهذا يحصل مع الراء المشددة. في قوله: (فإذا كان الحرف المشدد راء وجب على القارئ ان يتحفظ في تشديدها مع اخفاء تكريرها... فإخفاء التكرير كأنه زيادة في التشديد، كما أن إظهار الغنة وظهور الإطباق والاستعلاء مع الإدغام نقص في التشديد نحو ﴿كَرَّةً﴾ (البقرة :١٦٧) و ﴿مَرَّةٍ﴾ (الانعام :٩٤)) [٦]، وعلى الرغم من انفراد مكي بهذه القسمة إلا أنها قسمة دقيقة للغاية وتدل على براعته في ادراك العلاقة بين الأصوات في سياقاتها ومدى

---

(١) التحديد : ٩٨، وينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١٩١.

(٢) الموضح في التجويد : ١٤٠-١٤١.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٣٦.

(٤) مرشد القارئ :٥١.

(٥) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) :٢٦٩.

(٦) الرعاية :٢٣٠.

تأثر الصوت بالآخر[١]. ولم يرد هذا التقسيم عند علماء اللغة، لأنهم متفقون على أن موضع الثقل الذي يريدون التخلص منه اجتماع الأمثال الذي يؤدي إلى عسر في النطق، والقرب بين الحرفين شبيه بالمثلين[٢].

ثانيًا: إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين :

تقسيم الإدغام على وفق ذلك يدل على إدراك القدامى للخصائص الصوتية ، فقد استعمل سيبويه مصطلحي المثلين والمتقاربين، إذ قسم الإدغام على قسمين بحسب نوع الصوت، فسمى الأول إدغام المتماثلين، والثاني إدغام المتقاربين[٣]. فقد لجأ علماء التجويد إلى هذا التقسيم نتيجة التشابه بين الأصوات التي يحصل فيها الإدغام[٤]، فمكي استعمل مصطلح (المثلين والمتقاربين)، ولم يستعمل مصطلح (المتجانسين) الذي نجده عند المتأخرين[٥]. فقال: (أعلم أنَّ أصل الإدغام انما هو في الحرفين المثلين... ويقوي حسن الإدغام في هذا النوع أن الأول إذا سكن لم يكن بد من الإدغام... واعلم أن غير المثلين إذا تقاربا في المخرج وسكن الأول اشبها المثلين اللذين هما من مخرج واحد فجاز فيهما الإدغام)[٦].

إذن فالإدغام عنده يقسّم على إدغام المتماثلين، وهو الأصل في الإدغام، وإدغام المتقاربين، أما إدغام المتجانسين فلم يذكره، إلا أنه عبر عنه بالشبيه بالمتماثلين، الذي مثل له بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ**﴾ (ال عمران: ٧٢)، فإنَّ حرف التاء والطاء متحدا المخرج مختلفا الصفات)[٧]، وقال: (اعلم أنَّ غير المثلين إذا تقاربا في المخرج وسكن الأول أشبها المثلين اللذين هما من مخرج واحد)[٨]. أما إدغام المتقاربين فذكره في مواضع عديدة، حين علل إدغام النون الساكنة والتنوين في الراء واللام، بقوله: (والعلة في ذلك قرب مخرج النون من مخرج اللام والراء؛ لأنهن من حروف طرف اللسان، فتمكن الإدغام وحسن لتقارب المخارج)[٩].

---

(١) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (بحث):٢٧٠.

(٢) ينظر : الجهود الصوتية عند ابن عصفور(بحث) : ٩١.

(٣) ينظر: الكتاب : ٤/ ٤٣٧، ٤٤٥.

(٤) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٣٦.

(٥) ينظر : المصدر نفسه :٣٩٧، والجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٢٧١.

(٦) الكشف : ١٣٤/١.

(٧) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ١٩٤.

(٨) الكشف :١٣٤/١.

(٩) الرعاية:٢٣٧.

ونهج الداني منهج سيبويه ومكي بأنَّ الإدغام على ضربين: (إدغام المثلين نحو قوله ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾(البقرة: ٢٠) و ﴿قَالَ لَا يَنَالُ﴾(البقرة: ١٢٤) وشبهه وإدغام المتقاربين نحو قوله ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ﴾ (البقرة:٣٠))[١]، فقد أكد الداني على إدغام المتقاربين، وذلك بقلب الأول إلى لفظ الثاني ثم يدغم، وذهب إلى أنه لا يجوز إدغام المتباعدين كقوله ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (الاسراء: ٨٠) ...وما أشبهه[٢].

وكذلك الأمر عند القرطبي[٣]. أما ابن الطحان فانه ذكر إلى ان كلًا من المتجانس والمتقارب يتحول إلى المتماثل حتى يمكن الإدغام، بقوله: (وكيفيته أنْ يصير الحرف الذي يراد إدغامه حرفًا على صورة الحرف الذي يدغم فيه، فإذا تصير مثله حصل حينئذ مثلان، وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكمًا اجماعيًا)[٤].

أما علماء اللغة فابن مالك، قال: (يدغم أول المثلين وجوبًا إن سكن ولم يكن هاء سكت، ولا همزة منفصلة عن الفاء، ولا مدة في آخر او مبدلة من غيرها دون لزوم)[٥]. أما ابن عصفور، فقال: (الإدغام لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين)[٦]، وأوضح ما يمنع الإدغام، بأنه إذا كان أحد المثلين في أول الكلمة، والثاني زائدًا، فيمنع الإدغام وبين السبب في نحو (تتذكر)، وذلك كون المثل الثاني زائدًا، وحذفه لا يؤدي إلى لبس، والفعل ثقيل، وذلك في قوله: (فإذا أمكن تخفيفه، كان أولى وقد أمكن تخفيفه بحذف احد المثلين، فكان ذلك أولى من الإدغام الذي يؤدي إلى جلب زيادة، والآخر أنك لو أدغمت لاحتجت إلى الإتيان بهمزة الوصل وهمزة الوصل لا تدخل على الفعل المضارع لاسم الفاعل اصلًا)[٧]. وأشار أبو حيان في كتابه الارتشاف، بقوله: (والوضع بهما موضعًا واحدًا إذا التقى المثلان في كلمة والأول ساكن، وكانا همزتين والأولى تلي الفاء.... المتقاربان إن اجتمعتا في كلمة، والبس الإدغام، فالإظهار)[٨]، أي شرط ان يكون الصوتان متشابهين تماماً أو متقاربين في المخرج والصفة. إذن فالقدامى من علماء العربية متفقون على تقسيم الإدغام على إدغام المثلين وإدغام المتقاربين؛ لأنهم يريدون التخلص من موضع الثقل

(١) الإدغام الكبير :٤٠.
(٢) التحديد : ١٠١، وينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٠٥.
(٣) ينظر: الموضح في التجويد : ١٣٩.
(٤) مرشد القارئ :٥١، وينظر : ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية (بحث): ١٠٢.
(٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :٣٢٠.
(٦) الممتع في التصريف: ٦٣٦/٢-٦٣٧، وينظر: الدرس الصوتي في شافية ابن الحاجب وشرحه للاستراباذي(بحث): ١٢٢.
(٧) الممتع في التصريف :٦٣١/٢، وينظر: المقرب : ٥٠٦.
(٨) الارتشاف :٣٣٧-٣٤٨.

الذي رافق النطق بالمثلين، والمتقاربين، أي اجتماع الأمثال الذي يؤدي إلى عسر في النطق، وكذلك القرب بين الحرفين شبيه بالمثلين(١).

ثالثًا: الإدغام الكبير والإدغام الصغير:

يعتمد هذا التقسيم على كثرة العمل النطقي وقلته، فالكبير أن يتحرك الحرفان المدغم والمدغم فيه، لذا لا بد من تسكين الحرف الأول وإدغامه في الثاني، وسمي كبيرًا لكثرة العمل فيه. أما الصغير فيكون الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا، وهذا هو المتبادر إلى الذهن عند ذكر الإدغام، وسمي صغيرًا؛ لقلة العمل فيه(٢). يلاحظ أنَّ مكيًا لم يذكر الإدغام الكبير، فقد صبّ اهتمامه على ما اختلف فيه القراء وهو بقية الإدغام الصغير مثل دال (قد) وذال (اذ) ولام (هل وبل)(٣)، ولم يذكر الإدغام الصغير بهذا العنوان(٤). أما الداني فقد وضع كتابًا سماه (الإدغام الكبير في القران الكريم) تناول فيه كيفية الإدغام مع حروف المعجم جميعها عند أبي عمرو بن العلاء وشرح مباحثه وشروطه، وتوجه إلى ما اتفق عليه القراء، كإدغام لام التعريف ومعظم أحكام النون الساكنة والتنوين، وإدغام المتجانسين(٥). وخالف مكي أبا عمرو بن العلاء في تكرار الكاف، بقوله: (وإذا تكررت الكاف وجب ان تتحفظ بإظهار الكافين... نحو: ﴿نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (طه:٣٣) و ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ (طه:٣٤)و ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف:٢٩)... وشبهه)(٦)، وفي تكرار الباء قال: (وإذا تكررت الباء متحركة وجب التحفظ بإظهارها، خوفا ان يقرب اللفظ من الإدغام الذي هو جائز في ذلك لصعوبة اللفظ بتكرير الحرف، قوله تعالى ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ (البقرة : ١٧٥)... وشبهه كثير، لذا أدغم هذا الضرب كله أبو عمرو فيما روي عنه من الإدغام الكبير)(٧). ويلاحظ من النصين أنَّ مكيًا قرأ بالإظهار خلافًا لأبي عمرو وهو ينبه قارئ القرآن إلى ذلك، فالخلاف بينهما عن وجود الحركة أو عدمها، فإذا كانت الحركة موجودة فالإدغام كبير، وإن لم ترد فإنَّ الإدغام يكون صغيرًا، وقد تحذف الحركة من الإدغام الكبير فيكون صغيرًا، إلا أن هذا الحذف قد يولد مشكلة نحوية؛ لأنَّ حركة الصوت

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند ابن عصفور(بحث) :٩١.
(٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (بحث): ٣٣٨-٣٣٩.
(٣) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) : ٢٧٣.
(٤) ينتظر : الدرس الصوتي عند مكي القيس(بحث) : ٨٦.
(٥) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٣٩.
(٦) الرعاية:١٤٨.
(٧) المصدر نفسه:٢٠٤.

الأخير من الكلمة هو للإعراب، والذي يسمى حرف الإعراب[١]. وقد تحدث الداني عن ظاهرة الإدغام في كتابه التحديد خاصة عند حرف النون، إذا جاورت خمسة أصوات جمعها الداني في قوله (لم يرو)[٢].

رابعًا: القوة والضعف:

لقد قسّم علماء التجويد الأصوات على القوية والضعيفة، وقاموا بتطبيق فكرة القوة والضعف في الحروف على ظاهرة الإدغام[٣]. فقد ذكر مكي الصفات القوية والضعيفة في الصوت الواحد، الذي يعدّ رائدًا في ذلك. وقام بتطبيق نظرية القوة والضعف على الإدغام، وعرضها بشكل مفصل في كتابه الكشف مقرونا بالأمثلة[٤]ومفهوم هذه النظرية هو: انه متى ما تجاور صوتان متجانسان أو متقاربان، وأثر أحدهما في الآخر– وغالبا ما يكون هذا التأثير من الثاني على الأول بتأثير رجعي؛ فإنه يحدث غالبًا إدغام الأول في الثاني وتحديد مرتبة الإدغام من حيث الحسن والقبح بقوة الصوتين المدغم والمدغم فيه وضعفهما فيكون الإدغام حسنًا إذا أدغم الضعيف في القوي؛ لأنه حينئذ ينتقل بالإدغام من حال الضعف إلى حال القوة مثل إدغام التاء في الطاء نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ**﴾(ال عمران:٧٢)، فالتاء حرف ضعيف لهمسه، والطاء حرف قوي للإطباق والجهر والاستعلاء والشدة اللواتي فيه، فهذا الإدغام ينقل التاء من ضعف إلى قوة، ويكون الإدغام رديئًا إذا أدغم القوي في الضعيف، وفي هذا الحال ينتقل القوي بالإدغام من حال القوة إلى حال الضعف مثل إدغام الراء في اللام كقوله تعالى ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ (نوح:٤)، وقد تقدم مكي على العلماء في اعتماد هذه النظرية وتطبيقها على ظاهرة الإدغام، وقد توصل إليها عن طريق منهجه في دراسة الأصوات، فهو لم يكتف بوصف الظواهر الصوتية، بل تعداها إلى التعليل والتفسير[٥].ووصف قوة الصوت وضعفه، بقوله: (اعلم أنَّ الضعيف في الحرف يكون بالهمس والرخاوة...واعلم أن القوة في الحرف تكون في الجهر، والشدة، والإطباق، والتفخيم ،والتكرير، والاستعلاء، والصفير، والاستطالة، والغنة، والتفشي)[٦]. وقد تتعدد الصفات القوية في الصوت الواحد، وهذه القوة تجلب الصوت الضعيف اليه ويقلبه إلى جنسه فتحدث عملية الإدغام نحو قوله تعالى: (﴿**بَلْ رَانَ**﴾ (المطففين:١٤)، لأنك تبدل من اللام حرفًا أقوى منه بكثير فذلك ما يقوي جواز الإدغام)[٧]، وذكر مكي أن معرفة الصفات القوية والضعيفة تمكن القارئ

---

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ٨٨.

(٢) ينظر: التحديد : ١١٠، ودراسة مقارنة بين كتاب الداني وكتابي ابن سينا(بحث) : ١٠٤.

(٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٠.

(٤) ينظر : الكشف: ١/١٣٥-١٣٦.

(٥) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) : ٢٧٤.

(٦) الكشف :١/١٣٧.

(٧) الكشف :١/١٥٨، وينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث): ٩٢.

والمتكلم من تجويد اللفظ وصولًا للبيان السليم، إذ قال: (فاعرف الصفات الضعيفة والصفات القوية تقو بذلك على تجويد لفظك بكتاب الله)[١]. وأكد الداني ذلك، بقوله: (فلا يدغم الأفضل في الأنقص لذلك، ويدغم الأنقص في الافضل، لأنه يخرج بذلك إلى الحرف الاقوى، واخراج الاضعف إلى الاقوى جائز، لأنه يقوى فيه)[٢].

أما موقف المحدثين من الإدغام، فأنهم جمعوا كل صور التأثر والتأثير بين الأصوات تحت عنوان (المماثلة)، ومفهوم هذه الظاهرة (تأثر الصوت بما يجاوره فينقلب إلى جنسه، او ينقلب إلى صوت مقارب له في الجهر، أو الهمس، أو الاحتكاك، أو الانفجار، أو في صفة الأنفية، أو الفموية، أو انتقل إلى مخرجه)[٣]. وقد عالج المحدثون قضية الإدغام علاجًا صوتيًا لا صرفيًا، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: (إنَّ الدراسات الحديثة تستخدم كلمة المماثلة للدلالة على مطلق التغيير بالتأثير أو الحذف، فيدخل في مفهومه مدلول الابدال ومدلول الإدغام فكلاهما مماثلة)[٤]، وقال بعضهم: (هو تأثير الأصوات المتجاورة متماثلة أو متقاربة في الصفة بعضها في بعض، وقد يتأثر الأول بالثاني وقد يتأثر الثاني بالأول وهو قليل في اللغة العربية)[٥]، وعرفه الدكتور إبراهيم أنيس بأنه : (فناء الصوت الأول في الثاني، بحيث ينطق بالصوتيين صوتا واحدا كالثاني)[٦]، وفرق الدكتور عبد الصبور شاهين بين التضعيف من الناحية الصوتية والذي عده صامتا طويلا، والتضعيف من الناحية الصرفية والذي عده صامتا مكررًا[٧] فقال إنه: (نطق صوت مضعف لا أكثر، أما بسبب اتصال أجزائه مباشرة، وأما عن طريق إسقاط الحركة الفاصلة بين الجزأين، ليتم التضعيف)[٨].

وقد استعمل بعضهم مصطلح (مماثلة تقدمية) و(مماثلة رجعية)[٩]، واستعملوا أيضًا مصطلح المماثلة الكلية والمماثلة الجزئية والمماثلة الكاملة[١٠]. يقول الدكتور فوزي الشايب في تعيين المماثلة الكلية

(١) الرعاية :١١٩ ، وينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي (بحث): ٢٧٥.
(٢) الإدغام الكبير : ٩٦.
(٣) الأصوات اللغوية (عاطف فضل):٧٩.
(٤) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٧٤، وينظر: دراسة الصوت اللغوي : ٣٧٨.
(٥) معجم مصطلحات العربية في اللغة والادب : ٢٢، وينظر: قواعد التجويد والالقاء الصوتي: ٢٩١.
(٦) الأصوات اللغوية : ١٨٧.
(٧) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية :٢٠٧.
(٨) المصدر نفسه : ٢٠٧.
(٩) ينظر : الأصوات اللغوية (أنيس): ١٦٩، دراسة الصوت اللغوي: ٣٨٣.
(١٠) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣٧٨-٣٧٩.

والجزئية: (المماثلة الكلية بقلب أحدهما إلى صوت الاخر والمماثلة الجزئية عندما لا تتم المطابقة بين الصوتين بأن يقرب احدهما من الاخر مع وجود بعض الفروق بينهما)[١]، وانتهوا إلى أن الهدف من الإدغام في العربية هو الاقتصاد في الجهد وذلك بتجنب الحركات النطقية الزائدة والتي يمكن الاستغناء عنها، وهذا ما ذكره الدكتور عبد القادر عبد الجليل[٢] ،أو بعبارة أخرى :(تيسير عملية النطق واقتصاد في الجهد العضلي)[٣]. وورد عن الدكتور احمد مختار قوله: ان الإدغام (هو لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها)[٤].

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة :١٩٠، وينظر : البحث الصوتي عند العرب(بحث) : ٧١.

(٢) الأصوات اللغوية : ٢٩٩، ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية :١٧١.

(٣) الأصوات اللغوية :١٨٤.

(٤) دراسة الصوت اللغوي: ٣٨٧.

التأثير غير الشامل للأصوات عند علماء التجويد:

أشار علماء التجويد إلى ظاهرة التأثير غير الشامل للأصوات المجاورة التي تهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي فيما بينها، فقد تؤثر صفة صوت في صوت مجاور له دون ان تسلبه كل خصائصه او ملامحه. فقد يؤثر المجهور في المهموس، والانفجاري في الاحتكاكي، والمطبق في المنفتح، وقد يؤثر الانفي في الفموي وهكذا(١). وقد افاض القرطبي في تفسير هذه الظاهرة وتحليلها واطلق عليها مصطلح (شوائب الحروف) ونبه إلى حسن التخلص من دخول الشوائب بعضها على بعض بقوله: (فأما حسن التخلص من دخول شوائب الحروف بعضها على بعض فيكون التنبيه عليه بعد ذكر السبب الموجب له، فنقول: السبب في ذلك أن يجتمع حرفان امتاز أحدهما عن الآخر بمزية ما، أما بتفخيم، أو إطباق، أو تفش أو غير ذلك، مع إمكانية تلك المزية فيه؛ لأن الحرف بسبب اتحاده بما جاوره يجذبه إلى حيزه ويسلبه المزية الخاصة به، أو يدخل معه فيها، أو يحدث بينهما حرف يشبههما والذي ينبغي أن يعتمده القارئ في ذلك حسن التخلص منه بإفراد كل منهما بمزيته والتعامل لإيراده بخاصيته)(٢)، لذا يمكن أن نذكر عددًا من الأمثلة مبوبة بحسب الصفة التي أثرت في الصوت المجاور مثل الجهر والهمس الإطباق والانفتاح، والأنفية.

أ- **الجهر والهمس :**

عند تجاور الأصوات المجهورة والمهموسة تحدث ظاهرة التأثر والتأثير في ما بينها، وهذا ما أثبته علماء التجويد، وأيدته الدراسات الحديثة ايضًا(٣) فقد ذكر مكي أمثلة كثيرة في تأثير الصوت المجهور بالمهموس أو العكس، وهذا أمر يطول شرحه، لذا سنكتفي بذكر بعض منها. فقد حذّر من تأثير الجيم في السين كقوله: (وإذا سكنت السين وأتت بعدها جيم، وجب بيان السين لئلا يذهب اللفظ بها إلى الزاي؛ لأن الزاي بالجيم أشبه من السين بالجيم، لأن السين مهموسة والجيم مجهورة والزاي مجهورة، فهي بالجيم أشبه، وهي من مخرج السين، فاللفظ يبادر إلى الزاي في موضع السين لاتفاقها مع الجيم في الجهر، ولأنها من مخرج السين، وذلك نحو قوله تعال ﴿واسجد﴾)(٤)، وحذر من تأثير العين في الحاء بقوله: (فإذا سكنت الحاء قبل العين قربت من الإدغام فيجب التحفظ ببيانها، وذلك قوله تعالى ﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ**﴾ (الزخرف: ٨٩)، البيان واجب)(٥) .

---

(١) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) الموضح في التجويد : ١٧٦-١٧٧.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية (أنيس) : ١٧٥.

(٤) الرعاية : ١٨٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٠.

أما تأثير المهموس في المجهور كالتاء في الزاي، فقد ذهب مكي في ضوء نظرية القوة والضعف إلى أن التاء اكثر قوة من الزاي لتمتعها بصفة الشدة. وعلل وجوب تبين لفظ الزاي الساكنة بعد التاء، في قوله: (لئلا يقرب لفظها من لفظ السين؛ لأن السين مؤاخية للتاء في الهمس ومؤاخية للزاي في المخرج والصفير... وذلك نحو قوله: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾(التوبة:٣٥))[١]، وحكم مكي على حرفي (الصاد والدال) و(الزاي والدال) بحسن القراءة، وذلك لاعتماده على نظرية القوة والضعف وليس المجاورة في الأصوات، على الرغم مما فيها من اشمام صوت الصاد صوت الزاي، اذ قال: (فإذا لم تبين الصاد بيانًا ظاهرًا خالطها لفظ الزاي، وذلك نحو: ﴿يُصْدِرَ﴾ (القصص: ٢٣)... ولذلك قرأ حمزة والكسائي هذا الصنف بمخالطة لفظ الصاد بلفظ الزاي من الدال، وبعد الصاد من الدال، فكان ما هو اقرب إلى الدال من مخرج الصاد، وهما من حروف الصفير، فحسن مخالطة احدهما الاخر وقوي ذلك باتفاقهما في المخرج والصفير)[٢]. وكذلك الداني ذكر تأثير الأصوات المجهورة بالمهموسة والعكس ووقوعها في القراءة، فقال:(والحروف المهموسة إذا لقيت الحروف المجهورة والحروف المجهورة إذا لقيت المهموسة فيلزم تعمل تلخيصها وبيانها، لئلا ينقلب المهموس إلى لفظ المجهور، والمجهور إلى لفظ المهموس فتختل بذلك ألفاظ التلاوة وتتغير معانيها)[٣].وحذر من تأثير الأصوات المهموسة بالمجهورة كمجاورة الصاد للدال، ووصفها بالاختلال وتغير المعنى. وهذا عكس ما ذهب اليه مكي في أستحسان مخالطتها، وذلك لانقلاب الصاد إلى زاي، لأن الزاي أخت الصاد في صفة الصفير، وأخت الدال في الجهر، وبذلك تجذب الدال الصاد اليها ويتحول إلى صوت مجهور للمجاورة، إذ قال: (إذا اتى بعد الصاد وهي ساكنة دال ، صفي ولخص وبين إطباقه ، وإلا صارت زايًا وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (الحجر : ٩٤))[٤]، وقال في تأثير الجيم في السين: (إذا اتى السين ساكنا، وبعده جيم، انعم بيانه ولخص لفظه، ومنع من الجهر، وإلا انقلب زايًا، لما بين الزاي والجيم من الجهر ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾(الرعد:١٥) و ﴿يَسْجُدُونَ﴾(ال عمران:١١٣)، وما اشبهه)[٥]، وهنا أشار إلى تأثير السين بوصفها حرفًا مهموسًا بصوت الجيم بوصفه حرفًا مجهورًا، ويحث القراء على تلخيصه أي السين وبيانه حتى لا ينقلب زايًا وهو نظير السين، فالزاي مجهور وكذلك الجيم، لذا يجب أن يمنع السين من الجهر[٦]. وهذا ما أشارت اليه الدراسات الصوتية الحديثة في باب المماثلة

(١) الرعاية: ١٨٤ ، وينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث): ٢٨٠.
(٢) الرعاية : ١٩٢، وينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٠٤.
(٣) التحديد: ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٣.
(٥) المصدر نفسه : ١٤٥.
(٦) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١١٢.

وسمته بالتأثير المدبر الجزئي في حالة الاتصال، أي أن يؤثر الصوت الثاني في الأول فيقلبه إلى صوت مماثل له(١).

أما في تأثير الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة كالحروف (ع ث– ح ث)، فقال: (وإن التقى (العين) بالثاء والفاء والتاء والشين والصاد وسائر حروف الهمس، لخص وبين والا ربما انقلب حاء لما بين الحاء وبينهن من المشاركة في الهمس، نحو قوله: ﴿يَوْمُ الْبَعْثِ﴾الروم:٥٦ و ﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ الملك:١١، وشبهه)(٢).

وحذر القرطبي من تأثير الأصوات المهموسة بمجاور الأصوات المجهورة كالحروف (ص د– ز د) والتي اتفق بها مع الداني، بقوله: (وكذلك إذا سكنت ايضًا (أي الصاد) قبل دال في مثل قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾(النساء:٨٧)...أخلص إطباقها، وإلا صارت زايًا؛ لأنَّ الزاي أخت الصاد في الصفير واخت الدال في الجهر، فالدال تجذب الصاد اليها، وهو قبيح عند جماعة، ما خلا حمزة والكسائي، فانهما يلفظان الصاد مشوبة زايًا)(٣)، فالزاي التي يحذر منها القرطبي ليس زايا خالصة وإنما هو مجهور الصاد، وهو أحد الحروف المستحسنة، ويوصف بانه الصاد التي كالزاي، أي الصاد التي لحقها الجهر(٤). وحذر من تأثير الأصوات المجهورة بمجاورة المهموسة كالحروف (ع ش–خ ش)، بقوله: (وكذلك الغين إذا سكنت وبعدها شيء من حروف الهمس، في مثل قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾المائدة:٦، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ (يس:٩)... وجب أن يؤتى بها بالطف ما يمكن لتخلص من شائبة الخاء لقرب الغين من الخاء ومشاركة هذه الحروف للخاء في الهمس، سيما مع الشين في مثل قوله تعالى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ (يس:٩)... فأن ذلك أوقع في الشائبة، فنبه عليه من أجله)(٥). وكذلك ابن الطحان حذر من تجاور الأصوات المهموسة للمجهورة، بقوله: (وإذا سكنت الصاد وأتى بعدها دال فلا بد من تخليصها وبيان إطباقها واستعلائها، وإلا صارت زايًا كقوله: ﴿أَصْدَقُ﴾ (النساء:٨٧)، إلا من مذهبه التشريب)(٦).

(١) ينظر : التطور اللغوي: ٢٧–٢٨.
(٢) التحديد : ١٢٣.
(٣) الموضح في التجويد : ١٨٠.
(٤) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٣٤٤.
(٥) الموضح في التجويد :١٨٧.
(٦) التمهيد في علم التجويد :١٣٩.

ب- الإطباق والانفتاح:

إذا وقع قبل حروف الإطباق(الطاء والظاء والصاد والضاد) صوت ساكن منفتح، وكان له نظير مطبق، انقلب إلى نظيره المطبق بتأثير الإطباق في الصوت الذي يليه، وهذا التأثير لا ينحصر بظاهرة الإطباق فحسب، وإنما يحصل في حروف الاستعلاء ايضا وكذلك في الراء المفخمة، لأنَّ الإطباق والاستعلاء من واد واحد(١). أما في النطق العربي اليوم فإن جميع الأصوات المطبقة لها نظائر منفتحة، وهي: التاء نظير الطاء، والذال نظير الظاء، والسين نظير الصاد، والدال نظير الضاد، أما قديما فإنَّ ثلاثة أصوات فقط لها نظائر وهي: الدال نظير الطاء، والذال نظير الظاء، والسين نظير الصاد، أما الضاد القديمة فلا نظير لها(٢). وقد وقف علماء التجويد أمام هذه الظاهرة مع الاختلاف في توجيهها، فقد حذر مكي كثيراً من هذا التأثير بين الأصوات، كتأثير الطاء في التاء. إذ قال: (وجب التحفظ ببيان التاء لئلا يقرب لفظها من الطاء؛ لأن التاء من مخرج الطاء لكن الطاء حرف قوي متمكن، لجهره ولشدته وإطباقه واستعلائه والتاء حرف مهموس فيه ضعف)(٣).

ويلاحظ من النص أن مكيًا وبناء على نظرية القوة والضعف كان أكثر دقة وتفصيلًا في بيان التأثير بين الأصوات، فقد فرق بين نوعين من التأثير، الأول إذا وقع حرف التاء قبل الطاء فإنه يحذر منه ويوصي بالاجتناب عنه ولا يقبله(٤)، ويقول صراحة: (فإن لم يتحفظ القارئ بإظهار لفظ التاء على حقها من اللفظ قرب لفظها من لفظ الطاء ودخل في التصحيف وذلك نحو "يستطيع" و"استطاع ")(٥). أما الحالة الثانية من التأثير فانه يقبلها، لأنَّ نظام اللغة لا يمنعه والقوانين الصوتية تجيزه، والتي تتحقق إذا وقعت التاء بعد الطاء أو بعد أي حرف إطباق، وفي هذه الحالة لا بد من تأثير الطاء أو أي حرف إطباق في التاء، ويكون التأثير جائزًا وفصيحًا، والمماثلة تصبح واجبة ؛ ليعمل اللسان عملًا واحدًا(٦)، ويعلل مكي هذين النوعين بقوله: (والقوي من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاورًا له جذبه إلى نفسه إذا كان من مخرجه ليعمل اللسان عملًا واحدًا في القوة من جهة واحدة... ألا ترى أنَّ التاء إذا وقعت بعد حرف إطباق لم يكن بدّ من أن تبدل منها الطاء، لضعفها وذلك نحو قوله ﴿اصْطَفَى﴾(الصافات:١٥٣)، وشبهه ليعمل اللسان عملًا واحدًا، وأصل الطاء في ذلك وشبهه تاء، وإنما تبقى التاء على لفظها مع حرف

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٦.
(٢) ينظر : الكتاب :٤/ ٤٥٧، والجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث): ٢٨٢.
(٣) الرعاية : ١٨٠.
(٤) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٠٦.
(٥) الرعاية : ١٨٠.
(٦) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) : ٢٨٣.

الإطباق إذا كانت قبله متحركة فافهمه)[١]. ولاحظ مكي أن الصوت المطبق يتأثر بمجاورة الصوت المنفتح، ويزول عنه الإطباق إذا لم يتحفظ ببيانه كحروف (ص ت– س ت)، إذ قال:(وإذا وقع بعد الصاد تاء المخبر أو تاء المخاطب بادر اللسان إلى لفظ السين في موضع الصاد، لان السين اقرب إلى التاء من الصاد إلى التاء، اذ السين والتاء ليس فيهما إطباق ولا استعلاء مثل ما في الصاد، وكلاهما مهموس... وذلك نحو قوله ﴿**حَرَصْتُمْ**﴾ (النساء:١٢٩)، وشبهه)[٢]. فإن نظرية الصوت الأقوى لم تجر هنا، على الرغم من مجاورة التاء للصوت الأقوى، حفاظا على تاء المخاطب وإلا يلزم فوات الغرض وهو تبدل المعنى لذلك ثبتت[٣].

أما الداني فذكر تأثير صوت الطاء المطبق في التاء، وذلك بسبب المجاورة بين الصوتين، فهو يحث القارئ على بذل الجهد في بيان صوت التاء وإبرازه حتى لا ينقلب إلى نظيره المطبق وهو صوت الطاء، إلا أنه لم يشر إلى أثر هذا الانقلاب في صحة القراءة، مثل ما ذهب اليه مكي، إذ قال: (وإذا اجتمع (التاء) مع حروف الإطباق في كلمة فيلزم تعمل بيانه وتخليصه من لفظ (الطاء) والا انقلب (طاء) كقوله تعالى:﴿**فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ**﴾(الكهف:٤٥)،... وما اشبهه)[٤]. وهذا ما ذهب اليه القرطبي أيضًا[٥].

أما تأثر الصوت المطبق بالصوت المنفتح كحرفي (ص ت) و(س ت) فذهب الداني إلى ضرورة اعطاء صوت الصاد حقه من الاستعلاء والإطباق وإلا انقلب سينا ،الذي يؤدي إلى اختلاف لفظه، ومن ثم اختلاف معناه، قال: (إن كل حرف من حروف القرآن يجب أن يمكن لفظه ويوفي حقه من المنزلة التي هو مخصوص بها، على ما حددناه وما نحدد، ولا يبخس شيئا من ذلك... وذلك عند علمائنا في الكراهة والقبح كلحن الاعراب الذي يتغير فيه الحركات وينقلب به المعاني)[٦]، وكذلك حذر من تأثر حرفي (ط ف) و(ت ف) في قوله: (إذا ما وقع قبله (أي قبل الفاء) طاء، انعم بيانه، لئلا ينقلب تاء لما بين التاء والفاء من الاشتراك في الهمس، وذلك نحو: ﴿**مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ (النحل:٤)، .....وما اشبهه)[٧].وأن من باب التأثير المدبر المتصل في المماثلة، فإنَّ الفاء توثر في الطاء، بوصفه حرفًا منفتحًا. والطاء صوت

(١) الرعاية : ١٨٠.
(٢) الرعاية : ١٩٣ ، وينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٧.
(٣) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٠٧.
(٤) التحديد : ١٣٧، وينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٠٥.
(٥) الموضح في التجويد: ١٨٥–١٨٦.
(٦) التحديد : ١١٤، وينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٠٧.
(٧) التحديد : ١٦١.

مطبق، فيحوله إلى تاء، وهو النظير المطبق للطاء، وذلك لما بين الفاء والتاء من صفة في الهمس، فإذا لم ينعم ببيان الطاء، يؤدي إلى زوال إطباقها فتصير تاء[١].

أما ابن الطحان فقد ذكر تأثير صوت الطاء المطبق في التاء، بقوله: (وإذا جاءت (التاء) قبل حرف الإطباق في كلمة لزم بيانها وتخليصها بلفظ مرقق غير مفخم، وذلك نحو قوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾(البقرة:٧٥)... ونحو ذلك، لأنَّ الطاء والتاء من مخرج واحد، لكن الطاء حرف قوي فيه جهر وشدة وإطباق واستعلاء، والتاء متسفلة منفتحة مهموسة، والقوي إذا تقدم الضعيف وهو مجاور جذبه إلى نفسه، ألا ترى أن التاء إذا وقعت بعد حرف إطباق لم يكن بد من أنْ تبدل منها طاء، وذلك نحو ﴿اصْطَفَى﴾(البقرة:١٣٢)، ليعمل اللسان عملًا واحدًا)[٢].

ت – الأصوات الأنفية (الغنة):

يعد النون والميم صوتين عربين يتميزان بخروج الهواء من الأنف في أثناء النطق بهما، ولذا سميا أنفيين، ويطلق علماء التجويد وعلماء العربية على الهواء الخارج بالغنة لكن النون يختلف عن الميم بانه يشارك مجموعة أخرى من الأصوات غير الأنفية في المخرج والذي هو طرف اللسان كاللام والراء، فإذا سكنت أصوات طرف اللسان قبل النون فقد تلحقها الغنة، وهذا الأمر يحذر منه علماء التجويد كثيرا لأنه يؤدي إلى خلل في نطق الألفاظ[٣] .

أشار مكي إلى هذا التأثير خوفا من تشويه اللفظ ، ومن ثم غموض المعنى، ففي تأثير النون في اللام، قال: (وإذا سكنت اللام وأتت بعدها نون وجب التحفظ ببيان اللام ساكنة، لئلا تدغم في النون للتناسب الذي بينهما.... فإدغام اللام إذا سكنت في النون يسارع إليه اللسان للتقارب الذي بينهما، وذلك نحو: ﴿أُرْسِلْنَا﴾ (هود:٧٠)...وشبهه كثير)[٤]، وحذر من نهاية العملية التأثيرية التي تنتهي بالإدغام، وهو السماح للهواء للخروج من فتحتي الأنف عند النطق باللام الساكنة ، فتتصف حينئذ بالغنة، وإنَّ الفارق ضئيل جدًا بين نطق هذه اللام مظهرة ومدغمة في اللام التي بعدها[٥]، وفي تأثير النون في الدال، قال: (فإذا سكنت الدال وأتت بعدها نون وجب ان تبين الدال، لئلا تخفى عند النون لسكونها، واشتراكهما في الجهر، وتقارب مخارجهما. وذلك نحو قوله ﴿أَدْنَى﴾ (البقرة:٦١)... وشبهه)[٦].

---

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١١٧.

(٢) التمهيد في علم التجويد : ١٢١.

(٣) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٤٨.

(٤) الرعاية : ١٦٢.

(٥) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) : ٢٨٨.

(٦) الرعاية : ١٧٥.

أما الداني فروى عن أحمد بن نصر، أنه قال: (وجدت جماعة قرأوا على شيخنا "يعني ابن مجاهد" وعلى غيره من القراء لا يفرقون بين ﴿وَأَلَنَّا﴾ (سبأ:١٠) و﴿وَأَسَلْنَا﴾ (سبأ:١٢)..)[١] وقد فرَّق الداني بينهما، بأنَّ لام الفعل في ﴿وَأَلَنَّا﴾ نون أما في ﴿وَأَسَلْنَا﴾ لام، فإذا لم يعتن القارئ بها ربما صارت في اللفظ (أسنّا) وهو لحن[٢].

أما في تأثير النون في الراء، قال الداني: (وإن التقى (الراء) بالنون تعمل بيانه، وإلا صار نونًا مدغمة، نحو: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾ (الصافات:١٠١))[٣]وفي الذال والنون، قال: (وكذلك ينبغي أنْ يتعمد بيانه (أي الذال) عند النون في نحو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ (البقرة:٦٣))... وشبهه، والا ربما اندغم)[٤].

وفي حرفي (ظ ن) قال القرطبي: (الظاء إذا سكنت وبعدها نون في مثل﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ (الحجر:١٧) ينبغي ان تشح عليها لئلا تنقلب نونا وتدغم في النون فتصير: حفنّاها، وهو عادة قبيحة)[٥].

وركز المحدثون في كلامهم على مفهوم القوة والضعف، كقوة الوضوح السمعي الذي تتمايز بها أصوات العربية بعضها من بعض، وكذلك الجهد العضلي التي تبذله آلة الصوت في أثناء النطق، ووافقوا القدامى في غلبة الصوت الأقوى في التعاملات الصوتية، إلا أنهم زادوا على ذلك قوة الموقع، واستقرار الصوت، وامتداده الزمني، فضلًا عن النبر والتنغيم[٦]. وقد ذكروا قضية جريان الهواء مع الغنة كما في حروف المد واللين، وذكروا أيضًا وظيفة الوترين الصوتيين فيها، بقولهم (لو أوقف الناطق ذبذبة الوترين الصوتيين في أثناء نطق حروف المد والغنة لبطلت أصواتها وصارت نفسًا، فليس لهذه الأصوات مقابل مهموس)[٧]. أما علماء اللغة فليس لديهم تحديد دقيق لصفات القوة والضعف، بل اكتفوا بالإشارة إلى ذلك في معرض حديثهم عن بعض الأصوات، كقول سيبويه: (المهموس أخف من المجهور)[٨] وقوله أيضًا: (الطاء وهي مطبقة لا تجعل مع التاء تاء خالصة لأنها افضل منها بالإطباق) وقال: (والراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة وهي تفشي إذا كان معها غيرها فكرهوا أنْ يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس

(١) التحديد :١١٥.
(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٤٩.
(٣) التحديد : ١٤٨.
(٤) المصدر نفسه : ١٤٠.
(٥) الموضح في التجويد :١٦٦.
(٦) ينظر : مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية : ٥٧.
(٧) دراسة الصوت اللغوي :٣٢٢.
(٨) الكتاب : ٤/ ٥٤٠، وينظر: التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر(بحث) :٢٣٤.

بتفشي في الفم مثلها ولا يكرر، ويقوي هذا الطاء وهي مطبقة لا تجعل مع التاء تاء خالصة لأنها افضل منها بالإطباق، فهذه اجدر ان لا تدغم إذا كانت مكررة)[١].

وتبعه ابن جني فكان له إشارة واضحة للقوة والضعف بقوله: (إنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى)[٢] وقال في ائتلاف الأصوات وقوتها: (وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف، فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا وان تجشموا ذلك بدأوا بالأقوى من الحرفين... فبدأوا بالراء قبل اللام وبالتاء قبل الدال لأنهما أقوى منهما)[٣].

ويلاحظ مما تقدم- إنَّ علماء اللغة ذكروا جزئيات كثيرة لفكرة الصوت الأقوى، واستعملوها في موضوعات عدة، منها ترتيب الحروف المتقاربة المخارج الواردة في بنية الكلمة الواحدة أو عند تجاورها من كلمتين في السياق، حتى جاء ابن جني واستعملها في بيان علاقة أصوات الكلمة من جهة القوة والضعف بمعناها، أي انهم وضعوا أسس النظرية إلا أنها نضجت وأخذت طريقها للتطبيق في مستوى الأداء القرآني أو التجويد على يد مكي القيسي وعلماء التجويد، بضمهم تفصيلات كثيرة في تحديد الصفات القوية والضعيفة حتى نجده ينتهي بقوله: (فعلى قدر ما في الحرف من الصفات القوية كذلك قوته، وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه)[٤].

وذكر الدكتور غانم قدوري ذلك بقوله:(لا تجد في كلام متقدمي علماء العربية شيئًا واضحًا ومفصلا عن موضوع قوة الصوت وضعفه ، ويبدو أنَّ علماء التجويد هم أول من بحث هذا الموضوع على نحو مفصل)[٥].

(١) الكتاب :٤/٤٤٨.
(٢) المنصف :٢/ ٣٢٨.
(٣) سر صناعة الإعراب :٢/٢٢٩.
(٤) الرعاية : ١١٨، وينظر: مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية :٥٦.
(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٢٨.

الإبدال:

يعد الإبدال من الظواهر الصوتية الفونولوجية أو الوظيفية ، ويعرف بأنه: (إقامة حرف مقام حرف، إما ضرورة وإما استحسانا وصنعة)[١]، وقد عنى علماء العربية بالإبدال وألفوا فيه مؤلفات مستقلة وهذا ما سموه بـ(الإبدال اللغوي) كـ(القلب والابدال)لابن السكيت(ت ٢٤٤هـ)، و(الابدال) لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، وذهبوا إلى أنه ظاهرة لغوية شائعة وليس ظاهرة صوتية كما الحال عند المحدثين، فلم يشرطوا أن يكون الصوتان المبدلان على قرب من المخرج، ومنهم من رأى غير ذلك[٢]، والهدف من الإبدال التقريب بين الأصوات في المخرج أو في الصفة نتيجة تجاور الأصوات وتأثير بعضها في بعض، لتسهيل عملية النطق والاقتصاد في الجهد، إذ يؤثر (صوت أكثر قوة على صوت أكثر ضعفا فيحيله شبيها به)[٣]، وقد يتأثر الصوت بالأصوات الأخرى التي تليه أو تسبقه فيتحول إلى الصوت النظير المجهور أو النظير القريب من المخرج ، وذلك نتيجة التطور الصوتي[٤]. ويجب أن يحمل كلا اللفظين الدلالة نفسها، فغير ذلك يدل على انعدام العلاقة بينهما، وعلى استقلال كل منهما بوضعه، إلا إذا كان الأصل واحدًا، واختلف معنى أحدهما عن الاخر بالزيادة أو النقصان نتيجة التطور الصوتي الذي طرأ عليها[٥].

لقد ذكر سيبويه حروف البدل في باب سماه (باب حروف البدل)، اذ قال: (هذا باب حروف البدل، من غير أنَّ تدغم حرفا في حرف وترفع لسانك من موضع واحد، وهي ثمانية أحرف من الحروف الأول، وثلاثة من غيرها)[٦]، وذكر هذه الظاهرة في ثنايا حديثه عن الأصوات التي يبدل منها كقوله عن الهمزة: (اعلم أنَّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والبدل)[٧]. ثم تحدث عن الإبدال في ثلاث أبواب مستقلة :

الأول: باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، إذ قال: (فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو: مصدر، واصدر، والتصدير، لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة، وصارت مع التاء في كلمة

(١) سر صناعة الإعراب :٨٣/١.
(٢) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ): ٢٢٨-٢٢٩.
(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: ٢٣١، وينظر: الجهود الصوتية عند أبي حيان الأندلسي(بحث) :٢٦٤.
(٤) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ): ٢٣١.
(٥) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : ٢٦٩.
(٦) الكتاب :٢٣٧/٤.
(٧) المصدر نفسه: ٥٤١/٣.

واحدة في افتعل فلم تدغم الصاد في التاء لحالها التي ذكرت لك. ولم تدغم الذال فيها ولم تبدل لأنها ليست بمنزلة اصطبر وهي من نفس الحرف فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت، فجعلوا الأول تابعا للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زايًا خالصة كراهية الاجحاف بها للإطباق، كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل هذا)[١]. ويفهم من النص أن صوت الدال المسبوق بصوت الصاد الساكن، نحو (مصدر) لا يجوز فيه الإدغام كما لم يجز في (اصتبر) من صيغة (افتعل) وهي التاء المسبوقة بصاد ساكنة، ما لم يتبدل الدال كما تبدل التاء لأنها لم تكن بعدد حروف (افتعل)، لذا قلبت الصاد زايًا في النطق نحو: (مزدر) بزاي مطبقة[٢]. ونحا علماء التجويد منحى سيبويه، فكان مكي القيسي حريصًا على إخلاص الصاد، باتباع قراءة بعض القراء، إذ قال: (وإذا سكنت الصاد وأتت بعدها دال مهملة وجبت المحافظة على تصفية لفظ الصاد، لئلا يخالطها لفظ الزاي... وذلك نحو ﴿يَصْدُرُ﴾ (الزلزلة:٦)... ولذلك قرأ حمزة والكسائي هذا الصنف بمخالطة لفظ الصاد بلفظ الزاي، لقرب الزاي من الدال، وبعد الصاد من الدال)[٣]، وقال الداني: (وكذلك إن أتى بعد الصاد، وهي ساكنة، دالا صفي ولخص وبين إطباقه، والا صار زايًا وذلك نحو قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ (النساء:٨٧) ...وما أُشبهه)[٤]، وكذلك القرطبي قوله: (إذا سكنت الصاد أيضًا قبل دال في مثل قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ (النساء:٨٧)...، اخلص إطباقها وإلا صارت زايًا لأنَّ الزاي أخت الصاد في الصفير، وأخت الدال في الجهر، فالدال تجذب الصاد إليها وهو قبيح عند الجماعة ما خلا حمزة والكسائي، فأنهما يلفظان بالصاد مشوبة زايًا)[٥].

الثاني: هذا باب ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات .قال سيبويه: (تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو صقت، وصبقت، وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الاعلى)[٦]. ويفهم من النص أن السين تقلب صادًا إذا جاءت بعد صوت القاف في كلمة واحدة حيث تم تحويلها في بعض اللغات، لأنهم لم يكرهوا الانحدار بعد الاصعاد[٧].

---

(١) الكتاب: ٤/ ٤٧٧.
(٢) ينظر : منهجا الخليل وسيبويه : ١٣٣-١٣٤.
(٣) الرعاية : ١٩٢.
(٤) التحديد: ١٤٣.
(٥) الموضح في التجويد :١٨٠.
(٦) الكتاب :٤/ ٢٧٩.
(٧) ينظر: التعليقة على كتاب سيبويه : ٤/ ١٨٥.

وتقلب السين صادًا عند صوتي الخاء والغين، إذ قال: (والخاء والغين بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق، وذلك نحو: صالغ في سالغ، وصلخ في سلخ فإذا قلت: زقا أو زلق لم تغيرها، لأنها حرف مجهور؛ ولا تتصعد كما تصعدت الصاد من السين، وهي مهموسة مثلها، فلم يبلغوا هذا إذ كان الأعراب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها وإنما يقولها من العرب بنو العنبر وقالوا: صاطع في ساطع؛ لأنها في التصعد مثل القاف، وهي أولى بذا من القاف، لقرب المخرجين والإطباق)[١].

الثالث: هذا باب ما كان شاذًا مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد، قوله: (فمن ذلك ست، وإنما أصلها سدس وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قوى، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين، فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا، فتلتقى السينات، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فروا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء، كأنه قال: سدت، ثم أدغم الدال في التاء ولم يبدلوا الصاد؛ لأنه ليس بينهما الا الإطباق)[٢].

وعدّها علماء التجويد اثني عشر صوتًا[٣]، في حين جعلها سيبويه أحد عشر صوتًا[٤]، قال مكي: (وعددها اثنا عشر حرفًا: الطاء، والألف، واللام، والواو، والياء، والميم، والهمزة، والنون، والجيم، والدال، والتاء، والهاء، يجمعها هجاء قولك (طال يوم انجدته) وإنما سميت بحروف الإبدال لأنها تبدل من غيرها، نقول: هذا أمر لازب ولازم، فتبدل أحدهما من الآخر الميم بدل من الباء، ولا نقول: الباء بدل الميم، لأن الباء ليست من حروف الإبدال، إنما يبدل غيرها منها ولا تبدل هي في غيرها)[٥].

وقد أشار إلى أنَّ الصوت المبدل منه أو البديل يجب أن يكون من الحروف الاثني عشر، لكن عندما أقر بأنَّ البدل موقوف على السماع من العرب ينقل ولا يقاس عليه، أجاز التبدلات الصوتية في غير هذه الأصوات في قوله: (وليس البدل في هذا جائزًا في كل شيء، إنما هو موقوف في السماع من العرب حرف يكون بدلًا من غيره إلا من أحد هذه الاثني عشر حرفًا)[٦].

---

(١) الكتاب : ٤/ ٤٨٠.

(٢) المصدر نفسه :٤/٢٨١-٢٨٢.

(٣) ينظر: الرعاية : ٩٧، والتحديد :١٠٨، والموضح في التجويد :٩٢.

(٤) ينظر: الكتاب : ٤/ ٢٣٧.

(٥) الرعاية :٩٧-٩٨.

(٦) المصدر نفسه : ٩٨ ، وينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي (بحث): ٧٣.

فأصل الإبدال عند مكي فيما تناسب وتقارب من الأصوات، قال: (اعلم أن الحروف إنما يبدل بعضها من بعض.... للتناسب والتقارب الذي بينهما)[١]، واستعمل مكي للدلالة على مصطلح (الإبدال) لفظ (أبدلت) في قوله: (ولا تشديد في هذا، والغنة ظاهرة فيه في نفس الحرف الأول، لأنك أبدلت من حرف فيه غنة حرفًا آخر فيه غنة، وهو الميم الساكنة، فالغنة لازمة للمبدل والمبدل منه في نفسه ،فلا بد من اظهارها في هذا على كل حال)[٢]، وتحدث عن إبدال الهمزة الساكنة، إذ قال: (فأما الساكنة فهي تجري على ما قبلها ،فما قبلها من الحركة يدبرها... فإذا انفتح ما قبلها أبدلت ألفًا لان الفتحة من الألف والألف من إشباع الفتحة تحدث وكانت الألف أولى بالبدل... وإذا انكسر ما قبلها أبدل منها ياء ساكنة كالهمزة)[٣].

ومن الأصوات المتدانية في المخرج (الهمزة والهاء) فهما يتفقان في المخرج ويختلفان في الصفة، إذ قال مكي: (فلولا الجهر والهمس اللذان في الهمزة لكانت هاء إذ المخرج واحد)[٤]، وفي المقابل، قال: (لولا الهمس والرخاوة اللذان في الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزة)[٥]، ولولا ذلك لم يختلف السمع في الصوتين اللذين من مخرج واحد، وقد أبدلت العرب من الهاء همزة، ومن الهمزة هاء، وذلك لأنَّ نطق الهمزة يحتاج إلى جهد عضلي؛ لأنه صوت عسير النطق، فيلجأ إلى إبدالها هاء فقالوا: ("ماء" واصله "ماه" واصل "ماه" "موه" ثم أعل)[٦]، وفي هذا النص بانت معالجة مكي الصوتية لإبدال الهمزة هاء.

ومن الأصوات المتجاورة في المخرج العين والهمزة ،فقد أبدلت العرب من الهمزة عينًا ومن العين همزة لتجاورهما ، فيقولون: (أأديت فلانًا على فلان ،وأعديته ،وموت ذؤاف وذعاف، وأردت أن تفعل وعن تفعل)[٧]، أما الأصوات المتقاربة في المخرج فمنها الفاء والثاء، قال مكي: (والفاء قريبة المخرج واللفظ من الثاء، فلولا الشدة التي في الثاء والرخاوة التي في الفاء مع خلاف المخرجين، لكانت الفاء ثاء، والثاء فاء لاشتراكهما في الهمس والانفتاح والتسفل وقرب أحدهما من الآخر)[٨]، ولأجل هذا التقارب أبدلت

---

(١) الرعاية : ١٩٠.
(٢) الرعاية :٢٦٦، وينظر: الكشف :١٦٥/١.
(٣) الكشف :١٠٢/١-١٠٣.
(٤) الرعاية :١٢٩.
(٥) المصدر نفسه :١٢٩.
(٦) المصدر نفسه : ١٢٩ ، وينظر : الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني :٩٨.
(٧) الرعاية :١٦٢.
(٨) المصدر نفسه : ٢٠١.

العرب أحدهما من الآخر فقالت: (جدث وجدف، ومغاثير ومغافير، وثوم وفوم)[١]، فسبب الإبدال على حد قول أحد الباحثين هو خطأ سمعي أو نطقي يقع بين الصوتين، فقد ينطق المرء أحد الصوتين مكان الآخر دون شعور أو قصد من المتحدث[٢].

أما الداني فقد ذكر حروف الإبدال، إلا أنه لم يتطرق إلى الوظيفة الصوتية لها في عملية الإبدال كما وقف عليها مكي، قال الداني: (وحروف البدل اثنا عشر حرفًا، يسقط من الزوائد (السين) وحدها، ويزداد فيها الطاء والجيم والدال، ويجمعها قولك: طال يوم انجدته)[٣]، واستعمل مصطلح الإبدال في كتابيه التحديد والتيسير (في باب ذكر الهمزتين المتلاصقتين في كلمة) قائلا: (علم أنهما إذا اتفقتا بالفتح نحو ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ (البقرة:٦ ويس:١٠) .....وشبهه، فإنها تبدل مع الكسرة ياء ومع الضمة واوًا)[٤].

وربط القرطبي حروف البدل مع حروف الزيادة؛ لأنها لا تدخل في باب اللفظ بها فذكرها معها، فهما من باب اختصاص بنية اللفظة الأصلية، إذ قال: (هذه المزية التي لهذه الحروف، أعني بالمزية، اختصاصها بالإبدال والزيادة لا تعلق لها باللفظ، فمن حقها أن لا تذكرها هنا، إلا أنا أوردناها لتكون القسمة شاملة حاضرة)[٥]، وذكر أن البدل لا يتم بالإدغام، قال: (وإنما المراد البدل من غير إدغام، وقد جمعت في كلمات وهي طال يوم انجدته)[٦]، واستعمل لفظ القلب للدلالة على مصطلح البدل، في قوله: (فأن النون تنقلب ميمًا وتصير في اللفظ كقولك: مم بعد، مم بيوتكم... كما تنقلب في عنبر ومنبر، ثم بعد قلبها ميمًا يتحول اللفظ إلى الاخفاء)[٧]، أما ابن الطحان فانه جمع بين مصطلح القلب ومصطلح الإبدال، وقد أحسن في توضيح مصطلح القلب حين فسره باستعمال كلمة الإبدال، إذ قال: (وهو إبدالهما عند لقائهما الباء ميما خالصة)[٨].

وقد ذكر علماء اللغة الأصوات التي تبدل من بعضها، قال ابن مالك: (حروف الإبدال المبوب عليها في كتب التصريف هي الحروف التي تبدل من غيرها لغير إدغام والتي لا بد من ذكرها وهي هذه

(١) الرعاية :٢٠١.
(٢) ينظر : التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر(بحث): ١٥٧.
(٣) التحديد : ١٠٨، ينظر : الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني(بحث) : ٩٨.
(٤) التيسير:٣٤.
(٥) الموضح في التجويد : ٩٢، ينظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري(بحث) :١٨٨.
(٦) الموضح في التجويد : ٩٢.
(٧) المصدر نفسه : ١٧٥-١٧٦.
(٨) مرشد القارئ :٥٢.

التسعة، وما سواها ذكره الزمخشري وغيره مستغنى عنه، كاللام والنون والجيم والسين)[١]، أما أبو حيان فقال نقلا عن أبي الحسن الضائع: (قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البدل إلا نادرا)[٢]، وذهب ابن عصفور أن الإبدال: (من ذلك حروف البدل لغير إدغام وهي الحروف التي يجمعها قولك "اجد طويت منهلا" فهذه الحروف تبدل من غير إدغام، على ما يبين بعد، إنْ شاء الله . فإنَّ كان البدل لأجل الإدغام لم يكن مختصًا بهذه الحروف بل جائز في كل حرف يدغم في مقاربه أنْ يبدل حرفًا من جنس مقاربه الذي يدغم فيه)[٣]، وفي كتابه المقرب زاد عليها سبعة أصوات أخرى وهي: (السين، والصاد، والزاي، والعين، والكاف، والفاء، والشين)[٤].

وقد ذهب علماء العربية إلى أن الإبدال هو اتفاق كلمتين في المعنى وفي جميع الأصوات عدا صوت واحد له موضع الترتيب نفسه في الكلمتين مثل (آجم وآجن) اللتين تختلفان في صوت الميم والنون، وأيضًا(اصيلان واصيلال) تختلفان في النون واللام، فيلاحظ أنَّ صوتي النون والميم مشتركان في الصفة، واللام والنون مشتركان في المخرج، وإنَّ الغالب في الإبدال أنْ يكون بين صوتين مشتركين في المخرج أو في الصفة[٥].

ولم يختلف المحدثون اختلافًا كبيرًا عن علماء التجويد واللغة في تعريف الإبدال، فعرفوه بأنه (إحلال صوت مكان صوت آخر في الكلمة نتيجة لتطور صوتي حدث على مرّ العصور بشرط الاتحاد في المعنى)[٦]، وعرفه آخرون بأنه: (التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى)[٧] وأطلق عليه المحدثون مصطلح المماثلة[٨].

وقسموا الإبدال على نوعين، الأول: الإبدال القياسي الذي يطلق (على التبدلات الصوتية الناجمة عن التفاعلات الصوتية وتأثر بعضها ببعض التي لا يترتب عليها تغير في معنى الكلمة المصرفي أو

(١) شرح الكافية الشافية :٤/ ٢٠٧٧.
(٢) المزهر في علوم اللغة وانواعها :١/ ٤٦١.
(٣) الممتع في التصريف : ٢١٣.
(٤) المقرب : ١٥٩/٢.
(٥) ينظر : كتاب الإبدال (ابن السكيت): ٧٨، ٦٤، والمصطلح الصوتي (عبد العزيز الصيغ): ٢٢٩.
(٦) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: ١٠، وينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو : ٢٦٥-٢٦٧.
(٧) دراسة الصوت اللغوي:٣٧٨.
(٨) الأصوات اللغوية (أنيس) : ١٦٧،و دراسة الصوت اللغوي : ٣٧٨.

وظيفتها النحوية).الثاني: الإبدال السماعي (الذي يكون إما إبدالًا لهجيًا، أي أنه شاع في قبيلة معينة، وأصبح ينسب إليها أو أنْ يكون سمع وشاع دون أن ينسب إلى قبيلة بعينها)[١].

وقد أرجع الدكتور ابراهيم انيس نشأة ظاهرة الإبدال إلى التطور الصوتي، إذ يقول (وحين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الابدال حينًا ومن تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعها نتيجة التطور الصوتي، أي إنَّ الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الخلاف بين الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها، أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أنْ نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه، أي أن التقارب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي)[٢]، ورأى أن الاختلاف الطفيف في المعنى وصعوبة الربط الصوتي يدل على أنَّ الكلمتين تنتميان إلى أصلين مختلفين، ورأى أن الإبدال تصحيف[٣].

(١) ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر: ١٧١،١٧٢.

(٢) من أسرار العربية : ٧٥.

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٨٤.

الإمالة:

تعد الإمالة ظاهرة لهجية نطقية سمعية لا تثبت كتابة، وتنسب إلى بعض القبائل العربية التي تميل أكثر من غيرها، وليس ظاهرة مطردة في اللغة العربية، وقد وردت على مستوى كلام العرب والقرآن والقراءات لعلة من العلل(١). فالمواضع التي ذكرت فيها، لا تكون الإمالة فيها واجبة، وإنما جائزة عند من يميلون، لذا حاول العلماء تعيين هذه الظاهرة وبيان أسبابها، وتعد أثر من آثار التطور الصوتي الذي يلحق بالألسنة، لذا فإننا نجدها كثيرة الشيوع في لهجة ما ويقل شيوعها في أخرى(٢).

ذكرها سيبويه بوصفها ظاهرة صوتية تشير إلى ضرب من التقارب بين أصوات المد، إذ قال: (فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد، وعالم، ومساجد، ومفاتيح، وعذافر، وهابيل، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا ان يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي... التماس الخفة)(٣)، ويعللها سيبويه بالاقتصاد في الجهد العضلي، بقوله: (انما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة)(٤)، وتكون الإمالة عنده في عدة حالات مجموعة في قوله: (وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الالف حرف متحرك، والأول مكسور، "نحو عماد"... وكذلك إن كان بينه وبين الألف حرفان، الأول ساكن، لان الساكن ليس بحاجز قوى... وذلك قولهم سربال، وشملال... ومما يميلون ألفه كل شيء من بنات الياء والواو، كانت عينه مفتوحة، وإذا بلغت الأسماء أربعة أحرف أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستتبة، لأنها قد خرجت إلى الياء)(٥). وأشار إلى الحالات التي لا تصلح فيها الإمالة، في قوله: (فإذا كان بعد الألف مضموما أو مفتوحًا لم تكن فيه إمالة، وذلك نحو آجر، وتابل، وخاتم... وإذا كان الحرف الذي قبل الألف مفتوحًا أو مضمومًا، نحو: رباب، وجماد، والبلبال، والجماع، والخطاف... فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو، نحو قفًا، وعصًا، والقنا، والقطا،... والحروف التي تمنها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء، إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه...وإذا كانت الراء مكسورة بعد الألف التي تليها، وذلك لأنَّ الراء لما كانت تقوى على كسر الألف في فعال في الجر وفعال)(٦).

---

(١) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٧٩.

(٢) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ٢٦٠.

(٣) الكتاب : ١١٧/٤.

(٤) المصدر نفسه:١١٧/٤.

(٥) المصدر نفسه: ٤/ ١١٧-١٢٠.

(٦) المصدر نفسه : ٤/ ١١٨-١٣٦.

فالإمالة تختص بصوتي الفتحة القصيرة والطويلة، وتقريبها إلى صوتي الكسرة القصيرة أو الطويلة، أي إنها تختص بالحركات، وهي تابعة للصوامت عند علماء العربية، لذا فإنهم وصفوا الصوامت بالإمالة كما وصفوا الحركات، وهو الأصل في الإمالة.

أما علماء التجويد فكان تعريفهم للإمالة أكثر وضوحًا، فجاء تعريف مكي على ما استقر عليه القراء، إذ قال: (واعلم ان معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسر)[١]،وفي التبصرة، قال: (إنما الإمالة تكون في الألف، ومعناها أن تقرب الألف نحو الياء قبلها أو بعدها في اللفظ أو في المعنى)[٢]، ويلاحظ هنا أنَّ مكيًا استعمل دلالة التقريب في تعريفه للإمالة ، وقال أيضًا: (ومعنى الإمالة في الألف أن تنحو بها نحو الياء، ولا تقدر على ذلك حتى تنحو بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة؟)[٣]، أما في الرعاية فذهب مكي وتبعه القرطبي إلى أن الإمالة: (أن تميل الفتحة نحو الكسرة وتميل الألف نحو الياء)[٤] لأنهم ذهبوا إلى وجود حركات تسبق حروف المد مجانسة لها، فإنَّ الألف قبلها فتحة والياء قبلها كسرة والواو قبلها ضمة[٥].

ويلاحظ أن أدق تعريفات مكي للإمالة وأصوبها في كتابه الرعاية، لأنه يؤدي الغرض في بيان حقيقة الإمالة، إذ إنه بدأ بإمالة الفتحة نحو الكسرة، وعليه تكون إمالة الألف نحو الياء وذلك تحقيقا للانسجام الصوتي؛ ذهبت الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن أصوات المد ليست مسبوقة بحركة بل صوت المد حركة طويلة ولا توجد حركة قصيرة قبله ، وهذا يعني أن الالف ليست مسبوقة بفتحة[٦]، وسمى هذه الالف بـــ (الألف الممالة)، إذ قال: (هي ألف بين الألف والياء، لا هي ألف خالصة ولا ياء خالصة، إنما هي ألف قريبة من لفظ الياء لعلل أوجبت ذلك، وبذلك قرأ حمزة والكسائي في كثير من القرآن نحو: الهدى، والعلا، وأسارى، ووافقهما أبو عمرو وغيره من جملة منه)[٧]. ويتضح أنه أخذ المادة الخام لتعريف الإمالة من سيبويه، كالتقريب، والصوائت المشتركة بهذا التقريب، واتجاه التقريب[٨]، وأشار إلى درجة أخرى من درجات الإمالة وسماها (بين اللفظين) التي اصطلح عليها (بالتوسط) ،إذ عرفها

---

(١) الكشف : ١/ ١٦٨.

(٢) التبصرة في القراءات : ١١٨-١١٩.

(٣) الرعاية : ١٣٠، وينظر : مصطلحات الاداء الصوتي في كتب القراءات والتجويد (بحث): ١٦٠.

(٤) الرعاية : ١٠٥، وينظر: الموضح في التجويد : ١٥٤.

(٥) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٢١.

(٦) ينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد(بحث) : ٢٨٠.

(٧) الرعاية :١٠٨.

(٨) ينظر: الكتاب : ١١٧/٤، والتفكير الصوتي عند مكي بن ابي طالب القيسي(بحث) :٣١٢.

قائلًا: (معناها بين الفتح والإمالة، لا هو مفتوح محض، ولا ممال محض)[١]، ذكر ايضًا إلى درجة (ما هو أقرب إلى الفتح)، بقوله: (ومن ذلك أيضا "ياسين" قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بإمالة الياء غير أن حمزة أقرب إلى الفتح وفتح الباقون)[٢].

وعلل مكي أسباب الإمالة وأفرد لها بابًا في كتابه الكشف، إذ قال: (واعلم أنَّ العلل التي توجب الإمالة ثلاثة: وهي الكسرة وما أميل ليدل على أصله، والإمالة للإمالة)[٣]، فقوله ما أميل لكسرة: (الكسرة تقع بعد الألف على راء، والكسرة إعراب نحو "النار، النهار"، وشبهه، فما بعد الألف راء مكسورة إمالة أبي عمرو الدوري... وقراه ورش بين اللفظين، وفتحه الباقون)[٤]، أما ما أميل ليدل على أصله، قوله:(فالتي اصلها الياء نحو: الياء إمالة حمزة والكسائي لقوله: "أتى، وتعالى، ورمى، وطغى "فهذا كله في الافعال وتكون في الأسماء نحو "الهدى، والهوى، ومنتهى" وشبهه) [٥]، والإمالة للإمالة، قال: (نحو: "رأى" "ورآه" "ورآك" أميلت فتحة الهمزة، ليوصل بذلك إلى إمالة الالف، وأميلت الراء لإتيان حرفين ممالين بعدها، ومثله "ونأى بجانبه" في الموضعين إذا أميلت النون)[٦].

وفي جانب آخر ذكر مكي أن الإمالة تختلف عن الإدغام؛ لأنَّ الإدغام ظاهرة صوتية أكثر عموما، وهي أقرب للتركيب منه إلى اللهجات، إذ قال: (اعلم أنَّ أصل الكلام كله فتح، والإمالة تدخل في بعضه، وفي بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائر جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه في بعض اللغات لعلة، فالأصل ما عم، وهو الفتح)[٧].

أما الداني فتكلم على الإمالة، إلا أنه لم يعرفها تعريفًا مباشرًا، لكن في ضوء آرائه الصوتية في ما يمال ولا يمال فإن الإمالة عنده: أن تميل الفتحة نحو الكسرة، وتميل الألف نحو الياء ويتضح من كلامه أنَّ الإمالة سبب عرضي غير مقصود التزم به بعض القراء، وابتعد عنه بعضهم الآخر[٨]، وذهب في أرجوزته أن الأصل الفتح لا الإمالة، والإمالة فرع عن الأصل، إذ قال[٩]:

---

(١) الكشف :١/١٧١،١٨٣.

(٢) المصدر نفسه :١/ ١٨٨.

(٣) المصدر نفسه :١/١٧٠.

(٤) المصدر نفسه:١/١٧١.

(٥) المصدر نفسه :١/ ١٧٧-١٧٩.

(٦) المصدر نفسه : ١/١٩١.

(٧) المصدر نفسه: ١/ ١٦٨، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٢١.

(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني(بحث) : ١٦٣.

(٩) الارجوزة المنبهة : ٢٤٦.

وَالفَتْحُ عِنْدَ العُلَمَاءِ الأَصْلُ وَالكَسْرُ فَرْعٌ قَالَ هَذَا الكُلُّ

وقد عبر عن الإمالة بالكسر، والتي تعد العلة الرئيسة في الإمالة عند التميمي، لا سيما أنَّ الكسرة تعد حركة قوية في كلامه فتؤثر في المصوتات المجاورة لها[١]، ويعد مصطلح الكسر الذي استعمله الداني من مصطلحات سيبويه[٢]، الذي عبر عنه في أرجوزته قائلًا[٣]:

وَالكَسْرُ تَعبِيرُ عَنِ الإمالَة وَهِي لِلأعْلاَمِ وَالدَلالَة

وقسَّم الداني الإمالة على ضربين (مشبعة وغير مشبعة) وقسمها على: إمالة شديدة ومتوسطة، فقال: (وأما الممال فعلى ضربين: مشبع وغير مشبع، فالمشبع حقه أن يؤتى به بين الكسر الشديد الذي يوجب القلب لشدته وليس له أمام، وبين الفتح المتوسط... وغير المشبع حقه أن يؤتى به بين الفتح الوسط وبين الإمالة التي دون الكسر)[٤]، وذكر أن الغرض من الإمالة هو التقريب بين الأصوات كالإدغام، في قوله: (وهي تخفيف كالإدغام سواء)[٥] وبين ذلك في ارجوزته قائلًا[٦]:

يُقَرِّبُ الحَرْفَ إذَا أُمِيلا مِنْ ذَاكَ تَخْفِيفاً كَذَا قَدّ قِيلا

وذكر أن سبب الإمالة ما كان من ذوات الياء في الأسماء والأفعال، وهذا النمط الصوتي كان قد أماله حمزة والكسائي من القراء(نحو ﴿**مُوسَى**﴾ (الاعراف:١٤٣)،...وما أشبهه من الأسماء وكانا يميلان ما كانت ألفه منقلبة عن ياء، كما في﴿**وَسَعَى**﴾ (البقرة:١١٤)...وما كانت ألفه للتأنيث، كما في ﴿**الْأَيَامَى**﴾ (النور:٣٢))[٧].

ومن توجيهات القرطبي القراءة بالإمالة في كلمة (فنادته) التي قرئت (فناداه) في قوله:(قوله تعالى﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ**﴾) (ال عمران:٣٩) توجيهًا صوتيًا، إذ علل سبب إمالة حمزة والكسائي (فناداه) بان أصلها ياء، لأن الالف منقلبة عند الياء، والإمالة دليل هذا القلب، وهذا السبب الأول. أما الثاني فهو: إنَّ الألف وقعت حرفا رابعا في ترتيبها بين الحروف في كلمة (نادى) بقوله:(قوله تعالى (**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**) قرأ حمزة والكسائي (فناداه) بالألف على التذكير ويميلانه، لأنه اصلها الياء، ولأنها أربعة،

---

(١) ينظر : لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة : ١٣٠.

(٢) ينظر : الكتاب : ٣/٤،٢٨٧،٤/١٢٠.

(٣) الارجوزة المنبهة : ٢٤٦.

(٤) التحديد:١٠٣.

(٥) المصدر نفسه : ١٥٨.

(٦) الارجوزة المنبهة : ٢٤٦.

(٧) التيسير :٤٥-٤٦.

وبالألف قراءة ابن عباس وابن مسعود، وهو اختيار أبي عبيد)[١]، وأشار ابن مالك إلى السبب الأول في الفيته قائلًا[٢]:

الأَلِفَ الْمُبْدَلَ مِنْ فِي طَرَفْ أَمِلْ كَذَا الْوَاقِعُ مِنْهُ الْيَا خَلَفْ

أما ابن الطحان فقد تطرق في كتابه مرشد القارئ إلى مصطلحي الفتح والإمالة، قائلًا: (الفتح عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير مماله إلى مذاق الكسر... والإمالة: عبارة عن ضد الفتح وهي نوعان: إمالة صغرى، وإمالة كبرى فالإمالة الصغرى حدها أنْ ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسر قليلًا... والإمالة الكبرى حدها أن ينطق بالألف مركبة على فتحة تصرف إلى الكسرة كثيرًا، ونهاية ذلك أنْ لا يبالغ فيه حتى تنقلب الألف ياء)[٣]، فقد بين ابن الطحان أنواع الألف بقوله :(ونهاية ذلك ان لا يبالغ فيه حتى تنقلب الالف ياء)، بمعنى بين فتح الفم أقصى ما يمكن، وبين تضيقه إلى أدنى ما يمكن، بحيث لا يصل إلى الحد الذي تصير فيه الألف ياء[٤]، واستعمل مصطلحي (البطح والاضجاع) بقوله: (والبطح والاضجاع: عبارتان قديمتان بمعنى الإمالة القديمة، تقعان في كتب المتقدمين من علمائنا، رضي الله عنهم، ويعبرون عن الإمالة بالإشباع)[٥] وقال أيضًا: (والألف الممالة نوعان: صوت مبطوح صرف، ضد الفتح الصرف وصوت بين الصوتين: الفتح والبطح)[٦].

وتطرق كل من مكي والداني والقرطبي لذكر أنواع الألف، فذهبوا إلى أن الناطق إذا فتح فاه إلى اقصى حد وأرسب لسانه في الحنك الأسفل فسينتج صوتًا، وهو ما سماه علماء التجويد بألف التفخيم، وكلما ضاق الناطق بدرجة الانفتاح إلى حد أقصى درجات التضييق، فينتقل الصوت من نوع الأصوات الذائبة إلى الأصوات الجامدة، فإن الصوت الناتج هو ياء المد، وبين الف التفخيم وياء المد أنواع من الأصوات أُطلق عليها علماء التجويد بالألف الخالصة المعتادة ،وبالإمالة المتوسطة، وبالإمالة الشديدة[٧].

أما حروف الإمالة فقد اجتمع علماء اللغة والتجويد عامة، وعلماء الأندلس خاصة على أن الإمالة تختص بالفتحة والألف، أو الفتحة القصيرة والفتحة الطويلة انفرادًا أو مجتمعة إلا أنَّ الداني جعل الإمالة بالصائت القصير أصالة، ولم يذكر صوت الألف لأنه يمال لإمالة الفتحة ويتضح ذلك من قوله:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن :١١٢/٥، وينظر : التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات القرآنية(بحث) : ٧٣ -٧٤.

(٢) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك :١٨٢/١.

(٣) مرشد القارئ ١٣٤-١٣٥.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣١٩.

(٥) مرشد القارئ :٥٥.

(٦) المصدر نفسه :٤٠، وينظر: مخارج الحروف وصفاتها: ١٠٠.

(٧) ينظر: الرعاية: ٨٦، والتحديد: ٩٩، والموضح في التجويد:١٥٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٢٠.

(الإمالة في الحركة دون الحرف اذ كانت لعلة اوجبتها)[١] أما مكي فقد خالفهم بجعله ثلاثة أصوات للإمالة وهي الألف وهاء التأنيث والراء التي سماها حروف الإمالة، في قوله: (وإنما سميت حروف الإمالة لأن الإمالة في كلام العرب لا تكون إلا فيها)[٢]، فصوت الراء وهاء التأنيث ليسا صوتي إمالة في أنفسهما، وإنما صوتان لهما علاقة بالإمالة لأسباب، فلا تحصل فيهما الإمالة لانهما من الأصوات الصامتة، وإنَّ الإمالة تقع في الحيز الذي تقاس به الأصوات الصائتة، والسبب وراء جعل مكي الراء والهاء صوتي إمالة، علاقتهما بالإمالة، فقد ارتبطت الإمالة في اللهجات العربية بهذين الحرفين كثيرًا، فضلًا عن اختيار بعض القراء الإمالة في بعض لكلمات التي فيها الراء والهاء[٣].

أما علماء اللغة فقال ابن مالك: (الإمالة وهي أن ينحى جوازا في فعل او اسم متمكن بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء لتطرفها وانقلابها عنها)[٤]، وتابعه أبو حيان بتعريفه للإمالة، قائلًا: (الإمالة ان ينحى بالألف نحو الياء)[٥]، فيلزم من ذلك: أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة)[٦] وقد نسب الإمالة إلى القبائل البدوية التي تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي في كلامهم، بقوله: (أصحاب الإمالة تميم، وقيس، واسد وعامة أهل نجد، وأصحاب الفتح الحجازيون إلا في مواضع قليلة)[٧]. وقد استعمل مصطلح الإمالة للدلالة على النحو بالفتحة نحو الكسرة في مواضع عديدة، واستعمل مصطلح الإمالة كثيرًا مثل: (أمال) و(الإمالة) و(الممالة)[٨]، واستعمل مصطلح (الكسر) إلا أنه لم يوظفه إلا في مواضع قليلة، قال: (وقرأ: النخعي بكسر السين من غير همز، يعني بالكسر الإمالة)[٩]، أما ابن عصفور فإنه جعل للإمالة درجات من القوة، ويتضح ذلك في رأيه:(إن الإمالة لكسرة البناء هي أقوى منها لكسرة الإعراب، والمتصلة أقوى منها للمقدرة، وفيما كانت الألف فيه متطرفة رابعة فصاعدًا أو ثالثة منقلبة عن ياء أقوى منها إذا كانت منقلبة عن واوًا مكسورة)[١٠]، ويكشف هذا القول: أن ميل الأصوات إلى الانسجام

(١) التحديد: ١٥٨، وينظر : الخلاف الصوتي عند علماء التجويد (بحث): ٢٨٤.
(٢) الرعاية : ١٠٤.
(٣) ينظر: الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) :٣٥٨.
(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٥، وينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ٢٥٦.
(٥) سبك المنظوم في المختوم : ٢٨٠.
(٦) الارتشاف : ٢ /٥١٨.
(٧) المصدر نفسه : ٢/ ٥١٨.
(٨) ينظر:تفسير البحر المحيط : ٣/١٨٦، ٥/٢٨١، ٦/ ١٦٣ .
(٩) المصدر نفسه :٤/٣٧، وينظر: الجهود الصوتية عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ١٦٠.
(١٠) ينظر : المقرب : ٣٤٩-٣٥٠.

يحصل مع الأصوات التي تحصل الإمالة معها، وهو أقوى من إمالة صوت مع صوت مغاير، وكذلك مدى تماس الحرف للحركة اثناء الإمالة، فإذا كان اتصالهما قريبًا قوى ذلك من الإمالة، والعكس[١].اذن فقد عدّ علماء اللغة الإمالة ظاهرة صوتية، واهتموا بدراستها وبيان مواضعها ودرجاتها ، وعرفوها بأنها تقريب الألف من الياء والفتحة من الكسرة[٢].

أما الإمالة عند المحدثين فإنها عملية (نطق الفتحة نطقًا أماميًا، بحيث يقترب مخرجها من مخرج الكسرة)[٣]،أي تقريب صوتي بين الصوائت، يعني الاتجاه بالصائت قصيرًا كان أو طويلًا إلى حالة ارتكازية وسطى بين صائتين اثنين[٤]، ونقل الدكتور عبد القادر مرعي تعريفًا آخر للإمالة، قائلًا (هي تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة)[٥]، وذهب إلى أنَّ ترديد القدماء للألف والياء والكسرة والفتحة في تعريفهم للإمالة، هو عدم تميزهم بين الحركات الطويلة والقصيرة[٦]، أما علتها فإنَّ الألف تطلب من الفم أعلاه والكسرة تطلب أسفله فتنافرا، فجنحت الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء فزال الثقل وحل محله الانسجام والتماثل[٧]، إذن فغرضهم من الإمالة الاقتصاد في الجهد العضلي، والمتكلم يحاول في نطقه أن يميل إلى ذلك[٨].ويتضح مما تقدم أن المحدثين رددوا كلام من سبقهم من علماء اللغة والتجويد في مفهوم ظاهرة الإمالة وحروفها والغرض منها.

(١) ينظر : ظاهرة الانسجام الصوتي في العربية(مجلة) : ٨.
(٢) ينظر : في اللهجات العربية : ٥٧.
(٣) دروس في علم أصوات العربية : ١٥٦.
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية (عبد القادر): ٣٠٦-٣٠٧
(٥) المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر(بحث) : ١٥٨.
(٦) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي (بحث) : ١٠١.
(٧) ينظر : اللهجات العربية في التراث : ٢٧٦/١-٢٧٧.
(٨) ينظر : في اللهجات العربية :٦٧، ودراسة الصوت اللغوي :٣١٩-٣٢٠.

الروم والاشمام:

الروم والاشمام كلاهما طريق من طرق الوقف، فقد تحدث سيبويه عن أثر الوقف في الحركات من الروم والاشمام، قائلًا: (فأما المرفوع والمضموم فانه يوقف عنده أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الاشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم الحركة التحريك، وبالتضعيف)[١]، وأوضح معنى الروم، بقوله: (وأما الذين راموا الحركة فانهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه اسكان على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حالة، وذلك أراد الذين أشموا، إلا أنَّ هؤلاء أشد توكيدا)[٢] والروم عنده في الحركات الثلاثة وهي الرفع والنصب والجر[٣]، ونطقه في الحركة يكون بصوت خفي، وحدد علامات توضع على الأصوات التي تدل على حالات الوقف، فإذا كان اشمامًا توضع نقطة على الصوت، وإذا كان رومًا يوضع خط، وإذا كان إسكانًا يوضع رمز خط، أما تضعيفًا فيوضع رمز (ش) عليه[٤].

أما الإشمام فاختص بالضمة دون الفتحة والكسرة، قال سيبويه: (وإنما كان ذا في الرفع، لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أنْ تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك، لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك، واشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن، ألا ترى أنك لو قلت "هذا معن" فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم، فانت تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضم شفتيك ولا تقدر على أن تفعل ذلك، ثم تحرك موضع الألف والياء)[٥]، ويكون الإشمام في الرفع دون النصب والجر، لأن الشفتين مع الضم تستديران، فيتمكن من رؤية حركتهما كون الإشمام من غير صوت يسمع[٦]. إذن فالإشمام ليس صوتًا وإنما حالة من حالات الشفتين في الوقف، ولأنَّ الشفتين عضوان بارزان من أعضاء الجهاز الصوتي، فيمثلان حالة انتهاء الصوت[٧]. وتابع علماء التجويد سيبويه في مفهوم الروم والإشمام، قال مكي في الروم:(هو إضعاف الصوت بالحركة، وهو يكون في المخفوض والمرفوع... وأما المنصوب الذي لا يصحبه تنوين نحو: فاطر، عالم، المضافين وإياك، فيجوز الروم، غير أنَّ عادة القراء لا يرومون فيه، وأنْ يقفوا بالسكون

---

(١) الكتاب: ٤/ ١٦٨.
(٢) الكتاب: ١٦٨/٤.
(٣) المصدر نفسه :١٦٨/٤، ١٧١.
(٤) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ٢٦٦.
(٥) الكتاب : ٤ /١٧١.
(٦) ينظر : الجهود الصوتية عند ابي حيان الأندلسي(بحث) : ١٨٦.
(٧) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ) : ٢٤٨.

للجميع)[١]. وفي الإشمام قال: (ضم شفتيك من غير صوت، وهو إنما يكون في المرفوع خاصة)[٢] ويلاحظ من تعريف مكي لهذين المصطلحين، أن الروم في الحركات الثلاثة (الضمة، والفتحة، والكسرة)، بشرط ان لا تكون تنويناً، والإشمام مختص بالمرفوع، وهو أقل حركة من الروم؛ لأن حركة الاشمام تشبه السكون، ولا عمل لأعضاء جهاز النطق في السكون، والإشمام أيضًا غير الإيماء بالشفتين للضمة من غير صوت[٣].

غير أن بعض العلماء في بعض القراءات أطلقوا كلمة الاشمام على خلط الضمة بالكسرة مثل (قيل، سيء) .وعلل مكي ذلك، قائلًا: (وهي ترجمة على مذهب الكوفيين؛ لأنهم يترجمون عن الإشمام الذي لا يسمع بالروم، ويترجمون عن الروم الذي يسمع بالإشمام)[٤]. وللداني رأي حول ذلك، بأن من حق اللفظ ان ينحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضمة، مثلما ينحى بالفتحة من قوله: ﴿مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة:١٦٧)، إذا أريد الإمالة المحضة، نحو الكسرة وكذلك ينحى بالكسرة نحو الضمة إذا أريد الاشمام، لان ذلك كالممال سواء، وهذا لا يجوزه غيره من العلماء من النحاة والقراء[٥].

علل مكي ظاهرة الروم والإشمام في الوقف بشيء من التفصيل بالدلالة على كيفية الحركة في الوصل وتابعه القرطبي: إذ قال: (اعلم أنَّ الروم والاشمام انما استعملتهما العرب في الوقف لتبين الحركة، كيف كانت في الوصل وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الاشمام، لأن الروم يسمع ويرى، والاشمام يرى ولا يسمع، فمن رام الحركة أتى بدليل قوي على أصل حركة الكلمة في الوصل، ومن أشم الحركة أتى بدليل ضعيف على ذلك)[٦]، وهنا صرّح إلى أن الروم أقوى في الدلالة على الحركة من الاشمام، وذلك لظهور صوت ولو ضعيف مع الروم ، إما الاشمام فلا صوت له، وذهب مكي إلى أن المصطلحين من الوسائل التعليمية لتعليم كتاب الله عز وجل، فعد الروم إشارة صوتية تعليمية للأعمى، والإشمام إشارة مرئية للأصم الذي ينظر ولا يسمع[٧].

---

(١) التبصرة: ١٠٤-١٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٤.

(٣) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث) : ١٠٦-١٠٧.

(٤) الكشف : ١/ ١٢٢، وينظر: التيسير : ١٩٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٢٩.

(٥) ينظر: التحديد: ٩٦، والدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني(بحث) : ١٤٢.

(٦) الكشف :١٢٢/١، وينظر :الموضح في التجويد :٢٠٨.

(٧) ينظر : الدرس الصوتي عند مكي القيسي(بحث):١٠٨.

أما الداني فنهج ما ذهب اليه سيبويه ومكي في تعريفه للروم والإشمام[١]، وعلى الرغم من أنه جعل الروم في الحركات الثلاثة، إلا أنه أورد رأيا آخر للقراء في الروم، وذلك بقوله: (إلا أن عادة القراء أن لا يرومون المنصوب ولا المفتوح لخفتهما وسرعة ظهورها إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما، فيبدو الاشباع لذلك)[٢]، وذكر مثالا للمنصوب: (كقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ (النحل:٧٥)،... وما أشبهه، فالوقف عليه بألف ممكنة، بدلا من التنوين، لخفة النصب)[٣]. ويظهر مما تقدم وكأن الداني لا يجوز الروم في الرفع والجر ويجوز في النصب، لأنّ الضمة والكسرة أثقل من الفتحة، وذكر في هامش كتابه التحديد بأنه لو أبدلوا من التنوين واوًا في حالة الرفع، ومن التنوين ياء في الجر، كما فعلوا ذلك في النصب، لأدى ذلك أنْ يكون اسم متمكن في آخره واو قبلها ضمة في حالة الرفع، وهذا ليس في كلام العرب[٤].وذكر أنَّ الاشمام لا يكون خاصا بالوقف، بل قد يكون في الوصل أيضًا، إذ قال: (وأما المشمم من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومي بالعضو، وهما الشفتان) [٥].

لم يخرج القرطبي عما ذهب اليه علماء التجويد في تحديد مفهومي الروم والإشمام، إلا أنه رأى الروم في: (المضموم والمكسور إعرابا كان أم بناء دون المفتوح)[٦]، وعلل ذلك بأن الحركة في المفتوح أسرع ظهورا لخفته[٧].وتابع ابن الطحان سابقيه في أن الاشمام قد يكون في الوصل أيضًا، إذ قال: (والاشمام عبارة عن ضم الشفتين، وهو بالأوائل والاوسط والاطراف يكون دليلا على الضمة... فيكون صوغه بأوائل الكلم مع الشروع في كسر الحرف المشمم، ويكون صوغه بأوساطها عند سكونها الخالص في مدغماتها، ويكون صوغه بأطرافها عند سكونها القفي واثر حصوله ولا يقصد به أن يقرع سمعا في جميعها، فإنَّ حد الإسماع غير مقصود، فلعله خافية الا على من اقتدى بسنة التجويد العالية)[٨].

وتابع علماء اللغة سيبويه، فقال ابن مالك مفصلًا: (إنْ كان الموقوف عليه متحركًا غير هاء تأنيث سكن، وهو الأصل، أو ريمت حركته مطلقًا، أو أشير اليها دون صوت إن كانت ضمة، وهو الاشمام، أو ضعف الحرف وان لم يكن همزة ولا حرف لين ولا تالي ساكن، أو نقلت الحركة إلى الساكن

---

(١) ينظر: التحديد : ١٦٥.
(٢) المصدر نفسه : ١٦٥.
(٣) المصدر نفسه : ١٦٦.
(٤) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٤١.
(٥) التحديد : ١٦٦.
(٦) الموضح في التجويد : ٢٠٩.
(٧) ينظر : المصطلح الصوتي(الصيغ) : ٢٦٧.
(٨) مرشد القارئ : ١٣٥.

قبله، ما لم يتعذر تحريكه أو يوجب عدم النظير أو تكن الحركة فتحة فلا تنقل إلا من همزة، خلافا للكوفيين)[١].

أما أبو حيان فقال في الروم: (وهو الإتيان بالحركة ضعيفة إشعارًا بما كان لها في الأصل، ويدركه الأعمى والبصير)[٢]، وذهب إلى أنَّ الروم يحتاج إلى رياضة في المنصوب والمفتوح، وذلك لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة، إذ قال: (ويحتاج في المنصوب والمفتوح إلى رياضة، لخفة الفتحة، وتناول اللسان لها بسرعة)[٣]، وأشار إلى علامة الروم بقوله: (وعلامة الروم خط بين يدي الحرف وصورته(–))[٤]، وقال في الإشمام:(ويجوز في المضموم الإشمام وهو الإشارة إلى ضم الشفتين إلى الحركة المحذوفة من غير صوت ويدركه البصير لا الأعمى، وهو مختص بالمضموم سواء أكانت ضمة بناء أم غيرها)[٥].ويلاحظ من مفهوم أبي حيان للروم والاشمام بأنه فرق بين الاشارة إلى الحركة في الروم والاشارة إلى الحركة في الإشمام، فالأولى مبنية على أساس السمع ولذلك يدركها الأعمى والبصير، والثانية مبنية على أساس النظر ولذلك لا يدركها الأعمى. أما عند حديثه عن الفعل الاجوف المبني للمجهول، فإنه جعل الإشمام حركة بين الضمة والكسرة، أي مخالطة صوت الضمة لصوت الكسرة، وذلك بنطق الصوت الأول من اللفظة مكسورا مع الاشارة إلى صائت الضم، للتدليل على أن أصل العين فيها واو، إذ قال: (لفعل الثلاثي الذي انقلبت عين فعله الفًا في الماضي، إذا بني للمفعول اخلص كسر أوله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ومجاوريهم من بني كنانة، وضم أولها عند كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم، وعامة بني اسد، وفي ذلك لغة ثالثة، وهي اخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه ولم يقرأ بها، وهي لغة لهذيل وبني دبير)[٦].

وذكر أبو حيان علامة الإشمام بقوله: (وعلامة الاشمام نقطة بين يدي الحرف هكذا ويجوز التضعيف)[٧]، وذكر ابن عصفور الإشمام (وهوضم الشفتين من غير صوت)[٨]، والروم (هو تضعيف

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣٢٩.
(٢) الارتشاف : ٨٠٨.
(٣) الارتشاف : ٨٠٨.
(٤) المصدر نفسه :٨٠٨.
(٥) المصدر نفسه:٨٠٨.
(٦) تفسير البحر المحيط :١/١٩٠-١٩١، وينظر :الجهود الصوتية عند أبي حيان الأندلسي(بحث) : ١٨٧.
(٧) الارتشاف :٨٠٩.
(٨) المقرب :٢/٢٥.

الصوت بالحركة)[١]، ومذهب علماء اللغة أن الروم يكون في الحركات الثلاث. أما الإشمام فلا يرون جوازه في غير المرفوع ، وهذا مذهب سيبويه.

المـــــدّ:

المدّ ظاهرة صوتية تعرّف بأنها: (زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه)[٢]، وعليه فإنَّ هناك نوعين من المدّ: المد الطبيعي (الأصلي) وهو المدة الزمنية التي تستغرقها أصوات المد في جريان نفسها حتى تصل إلى مرحلة تتميز عن الصوائت القصيرة أي (الحركات) . والثاني: المد الفرعي، وهو زيادة المد على المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به[٣].

إنّ أصوات المد في العربية ثلاثة (الالف، والواو المسبوقة بالضمة ، والياء المسبوقة بالكسرة)، فقد اهتم علماء اللغة بإظهار الصفات الصوتية لهذه الحروف من ناحية المخرج، والصفات المميزة لها، إلا أنهم خلطوا بين حروف المد وحرفي اللين، بوصفهما حرفين يدخلان في جذر الكلمة، وتباين آرائهم في إعطاء الصفات المميزة لهذه الحروف، فقد وضع سيبويه الحركات الطويلة (حروف المد) وهي الألف والواو والياء تحت صفتين، الأولى: اللينة وهي الواو التي قبلها فتحة، والياء التي قبلها فتحة، الذي اتسع مخرج الصوت معهما دون مخرج الألف، وعلل وصفه لهذين الصوتين باللين، في قوله: (لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما)[٤]، والأخرى :الهاوية وهي صفة الألف، وعلى الرغم من أنه أكثر اتساعًا من الياء والواو، إلا أنه لا يدخل في فئة اللينة، قال في الألف: (ومنها الهاوي حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد اتساعًا مخرج الياء والواو)[٥]، إلا أن صوتي اللين هما صوتا فيهما مد، ولذلك قال: (وإن شئت اجريت الصوت ومددت)[٦]، وقد لاحظ مكي هذا، إذ قال: (وقد جعل سيبويه في الياء المفتوح ما قبلها مدًا ولينًا)[٧]، ويبدو أنَّ سيبويه فرق بين الياء الصامت الذي يقبل الحركات الثلاث وعده ليناً وبين صوت الياء المصوت وعده مديًا وكذلك الواو، إلا أنه لم يذكر هذا التفريق في الكتاب، فقد وصف ياء المد باللين في البيت التالي قائلًا: (فلا بد فيه من حرف لين للردف نحو:

---

(١) المقرب : ٢/ ٢٥.

(٢) النشر : ٢٤٥/١.

(٣) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر: ٣٧.

(٤) الكتاب : ٤/ ٤٣٥، وينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ):١٦١.

(٥) الكتاب : ٤٣٦/٤.

(٦) التبصرة : ٥٩-٦٠.

(٧) الكتاب : ٤/ ٤٤١، وينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ): ١٦١.

ومَا كُل ذي لبٍ بُمْؤتِيك نُصْحَه ... وما كُل مؤتٍ نصحه بلبيبِ)[١]

إذن فقد جمع القدامى بين حروف المد وحرفي اللين في حزمة صوتية واحدة، على الرغم من التفريق في الصفات من الناحية النظرية ، قال سيبويه: (ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المقاربة؛ لأن فيهما مدًا ولينًا)[٢].

وقد اعتنى علماء التجويد بهذه الظاهرة عناية كبيرة، فوضحوا وعللوا، وقسموا وبالغوا في التقسيم، ومنهم مكي إذ تحدث عن حروف المد، قائلًا: (وهي ثلاثة أحرف: الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة)[٣]، وعلل تسميتها بقوله: (وإنما سميت بحروف المد؛ لأن مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن مع ملاصقتهن لساكن بعدهن، أو همزة قبلهن، أو بعدهن، ولأن في أنفسهن مدّات)[٤]، أي إن المد إطالة صوت المد زيادة على ما فيه من مد طبيعي لا تقوم ذات الحرف إلا به، وهذا ما أجمع عليه علماء التجويد في تعريفاتهم لحروف المد التي تقاربت في اللفظ وتطابقت في الدلالة[٥]. وفي الكشف أجاز مكي مدّ نصفي المد وهما حرفي اللين (الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما)، إذ قال: (إن المد لا يكون إلا في حروف المد واللين، وهي الألف التي قبلها فتحة، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي قبلها كسرة، وإنما يكون المد في هذه الحروف عند ملاصقتهن لهمزة، أو ساكن مشدد، أو غير مشدد نحو: ﴿جَاءَ﴾ (النساء:٤٣)...في قراءة من أسكن الياء، ويكون المد أيضاً في حرفي اللين إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان اللتان قبلهما فتحة نحو: ﴿شَيْءٍ﴾ (البقرة :٢٠))[٦].

وذكر قضية قلّ من تعرض لها، وهي مراعاة أحكام المد ليس لازمة في كل أشكال النطق العربي، بل أنها تلزم في قراءة القرآن فحسب، أي أنَّ المد ثابت في كلام العرب غير أن قراءة القرآن لا بد من توافر كل مظاهر العناية والإتقان فيها لتوفية الحروف حقوقها من الأحكام الخاصة بها، قال مكي:

---

(١) الكتاب : ٤/ ٤٤٦، وينظر : الحركات وحروف المد بين القدماء والمحدثين(مجلة) : ١٩٤.

(٢) الكتاب :٤/٤٣٥.

(٣) الرعاية : ١٠١.

(٤) المصدر نفسه :١٠١.

(٥) ينظر : التحديد : ١٠٦، والموضح في التجويد : ١٢٨ ، ومرشد القارئ:٣٦. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٠.

(٦) الكشف : ١/٤٥.

(والهمزة إذا وقعت بعد حرف المد واللين لك أن تدع إشباع المد في الكلام، فتقول: صائم وقائم بغير إشباع، قد ثبتت الألف والهمزة ولا تشبع، فأما في القرآن فلا بد من إشباع المد اتباعاً للرواية)[١].

وسميت هذه الحروف بالمد؛ لأنَّ الهواء المندفع حال النطق بها من الرئتين ينطلق دون أن يعوقه أي عائق يحبس الهواء أو يعوق حركته في أي عضو من أعضاء النطق خلافًا لسائر حروف الصامتة التي لا تسمح بهذا الامتداد، لانحباس الهواء أما كليًا أو جزئيًا وراء كل موضع من مواضع النطق، فحال ذلك دون امتدادها واكثر الحروف سعة وانطلاقًا صوت الألف، لذلك عدها مكي الأصل في المد ، والياء والواو مشبهتان به[٢]، إذ قال: (فالألف أمكن في هواء الفم عند خروجها من الواو والياء، إذ لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم)[٣]. وتابعه الداني وابن الطحان، بأن الألف أمكن من الياء والواو. قال الداني[٤]:

الأَلِفُ المَفْتُوحُ مَا يَلِيهَا وَالمَدُّ أَقْوَى مَا يَكُونُ فِيهَا
لأَنهَا أَشَدُّ فِي الخَفَاءِ مِنْ غَيْرِهَا لِسَعَةِ الهَوَاءِ
فَهْيَ لِذَا أَمَدُّ مِنْ سِوَاهَا وَاليَاءُ وَالوَاوُ مَعًا أُخْتَاهَا

عدّ القدامى بما فيهم مكي أصوات المد أصواتًا صامتة، قال عن الواو: (فإن كانت الحركة التي عليها ضمة ازدادت ثقلًا)[٥]. وقال عن الياء: (كذلك الياء المتحركة ثقيلة)[٦]، وهذا الخطأ يرجع إلى أن الخط العربي عرف أصوات المد وجعل لها رموزا، ولم يجعل للحركات رموزا كتابية في بادئ الأمر، وهو الخط النبطي، الذي كان يكتب به بعض الساميين في شمال جزيرة العرب[٧]، على الرغم من أنَّ مكيًا يعد هذه الحروف أصواتًا صامتة من الناحية الوظيفية، وصائتة من الناحية العضوية (الفسيولوجية)، أما اللين فانهما يقتربان من الصوامت، لكنهما إلى الصوائت أقرب، ويكونان وظيفيًا من الصوامت، لذا تتساوى حروف المد واللين في أنها من الناحية الكتابية والوظيفية تعد أصواتًا شبه صامتة[٨].

---

(١) الكشف :١/ ٦٨ ، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٤٧.
(٢) ينظر: الرعاية : ١٠١، والتفكير الصوتي عند مكي بن ابي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر(بحث) : ٣٠١.
(٣) الرعاية : ١٠٢.
(٤) التحديد :١٠٦ ، وينظر: مرشد القارئ : ٣٦ ، والأرجوزة المنبهة : ٢٣١.
(٥) الرعاية : ٢٠٩.
(٦) المصدر نفسه : ١٥٥.
(٧) ينظر : فصول في فقه اللغة : ٣٩٨.
(٨) ينظر : الجهود الصوتية للإمام مكي بن أبي طالب القيسي(بحث) : ٢٣٦.

إنّ الفارق بين حروف المد والحركات قائم على كمية الصوت وزمنه الذي يستغرقه، إذن لا فارق بينهما إلا في الكمية والزمن وهذا ما ذهب إليه رمضان عبد التواب: (فأنك تقول (ضرَب)، ثم تطيل الزمن الذي تستغرقه في نطق الفتحة بعد الضاد فتصير الكلمة (ضارب)، ومثل ذلك في (ضُرب) المبني للمجهول، و(ضورب)، و(مساكن)، و(مساكين)، وأشباه ذلك)[١].

وقد تناول مكي هذه القضية وعقد لها بابا ، وأورد فيه اختلاف النحويين في هذا الأمر، بعنوان (باب الاختلاف في حروف المد واللين والحركات الثلاث أيهما مأخوذ من الآخر وعلل ذلك)[٢]. أما سبب المد فقد تابع علماء التجويد ما ذهب إليه ابن جني، إلا أنهم أفاضوا في التقسيم والتمثيل والتعليل، قال ابن جني: (ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توأم كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك : يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا وقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولًا وامتدادًا) [٣]، وقال مكي وهو يتحدث عن الألف: (فإذا لاصقته همزة لم يكن بد من تمكين مده ومده إذا كانت الهمزة بعده أكد، نحو جاء وشاء وكذلك يمد إذا كان بعده ساكنًا مشددًا وغير مشدد وزيادة تطويل المد ونقصه فيه على حسب ما ذكرناه في غير هذا الكتاب مع اختلاف القراءة عن القراء)[٤]، إذن المد يكون لسبب، والعلة عند مكي علة لفظية، إما يكون همزة أو ساكنًا، والساكن يشمل المدغم وغير المدغم، وقد يكون لازماً أو عارضاً[٥]. أما الداني فعلل حدوث المد، بقوله: (وإن لقي همزة أو حرفًا ساكنًا ، مظهرًا أو مدغمًا، زيد في تمكينه واشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا، وكذلك حكم الياء المكسور ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن ومع غيرهما كحكم الالف سواء)[٦]، إذ انه يرجع سبب المد إلى الهمزة والسكون وبذلك يوافق ابن جني.

قال القرطبي: (أما المد فهو حكم يجب لحروف المد واللين إذا كان عقبها همزة أو ساكن مدغم أو مظهر: كـ﴿السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ١٩)... إذا وقفت عليها وما أشبه ذلك)[٧]، إذن فإنَّ المد عند علماء التجويد كان سببه الهمزة أو السكون.

---

(١) فصول في فقه اللغة : ٤٠٦.

(٢) الرعاية : ٨١.

(٣) سر صناعة الاعراب :٣٣/١، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٤٢.

(٤) الرعاية : ١٣٤.

(٥) ينظر : التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر (بحث): ٤٠٣.

(٦) التحديد : ١١٨.

(٧) الموضح في التجويد :١٢٨.

أما تعليلهم لهذه الظاهرة ففيه توجيه صوتي يدل على فكرهم المدرك لهذه الظاهرة ، قال مكي: (إن هذه الحروف خفية والهمزة حرف جلد يعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفا خفيا خيف عليه ان يزداد بملاصقته الهمزة له خفاء، فبين بالمد ليظهر)[١]، واكتفى الداني بقوله وهو يتحدث عن الألف: (وأن لقي همزة أو حرفًا ساكنًا مظهرًا أو مدغمًا، زيد في تمكينه وإشباع مده، بيانا للهمزة لخفائها، وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعا)[٢]، أما القرطبي فكان أكثر وضوحًا وعمقًا لتعليل ظاهرة المد، إذ قال: (العلة في وجوب المد تختلف فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة أن حرف المد في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجاء المد مقربا لهذه الحروف ومظهرًا لخفائها، لتحصل هناك مناسبة ما تحصن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى... فإما إذا كان بعدها حرف ساكن مظهر أو مدغم فإنما وجب فيه المد للفرق بين الساكنين لما التقيا)[٣]، ويتضح من النصوص السابقة أنَّ مكيًا جعل المد قبل الهمزة حفاظًا على حرف المد لخفائه، أما الداني والقرطبي فاختلفوا عنه، بجعلهم المد قبل الهمزة لبيانها هي والحفاظ عليها، وقبل المشدد للفصل بين الساكنين[٤].

ووافق الدكتور إبراهيم انيس في تعليله لظاهرة المد قبل المشدد، والمبني على الملاحظة الذاتية إلى ما ذهب إليه علماء التجويد، ووافق مكي في تعليل المد قبل الهمزة للحفاظ على صوت المد، إذ قال: (أما السر في هذه الاطالة فهو–كما يبدو لي– الحرص على صوت اللين وطوله، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام لان الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرًا طليقًا، وأنْ تكون فتحة المزمار انطباقًا محكمًا يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين، وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم)[٥]. ولأنَّ سبب ظاهرة المد وقوع الهمزة أو الساكن بعد حرف المد، فعلى هذا الأساس قسم علماء التجويد المد على اقسام، فمكي قسم المد على قسمين: لازم وعارض، وفرق بينهما بقوله: (ومن هذا الفصل، الوقف على اواخر الكلام التي قبل الآخر منها حرف مد ولين نحو: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)، فإنَّ الوقف عليه لمن اسكن بتمكين مد غير مشبع، وذلك لمجيء

(١) الكشف:١/٤٦.

(٢) التحديد :١١٨.

(٣) الموضح في التجويد :١٢٨–١٢٩.

(٤) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٤٥.

(٥) الأصوات اللغوية : ١٤٩، وينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٤٦.

الساكن بعده، وليس هو في المد مثل "محياي" في الوقف في قراءة من اسكن في الوصل ولا مثل "دابة" لأنه سكون عارض و "محياي" و"دابة" السكون فيها لازم فبانا في المد على ما سكونه غير لازم)[١].

أما الداني فله السبق في وضع مصطلحات دقيقة لأقسام المد، إذ قسم المد على طبيعي ومتكلف، إذ قال: (وأما الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلف. فالطبيعي: حقه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المد واللين ممكنات على مقدار ما فيهن من المد الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع، وذلك إذا لم تلق واحدة منهن همزة ولا حرفًا ساكنًا، ويسمي هذا الضرب القراء مقصورًا... والمتكلف حقه أن يزاد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من المد الذي لا يوصل إلى النطق بهن إلا به، من غير إفراط في التمكين ولا إسراف في التمطيط)[٢]. ويلاحظ أن الداني يحذر من المد المتكلف، وهو الإفراط في المد وعدم تجاوز الحد، لان ذلك ينافي حقيقة التجويد ، ويعد لحنًا خفيًا عنده[٣]. أما ابن الطحان فاستعمل مصطلح المد الطبيعي والمد العرضي، إذ قال: (وهو نوعان طبيعي وعرضي، فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه، والعرضي هو الذي يعرض زيادة على الطبيعي لموجب بموجبه)[٤].

وعنى القرطبي بالحروف المقطعة، وذكر أحوالها في المد، إذ قال: (فالحاصل أن هذه الحروف ستة اضرب: ضرب لا مد فيه ولا تمكين، وهو الألف وضرب دون الممكن المقصور وفوق الحركة، وهو العين وضرب ممكن مقصور، وهو الطاء والحاء والهاء، وما أشبه ذلك وضرب فوق ذلك بأدنى مد، وهو الكاف والقاف وصاد ونون في قراءة من أظهر ونستعين في حال الوقف بغير الروم وضرب ممدود أتم المد... وضرب ممدودا مدًا وسطًا بين مد القاف والكاف) [٥]، وعند تناول القرطبي ظاهرة المد حذر من ترعيد الصوت بالمدات، وهو مكروه منهي عنه، في قوله: (أما الترعيد في القراءة فهو ان يأتي بالصوت إذا قرأ مضطربًا كأنه يرتعد من برد أو ألم)[٦]. وقال أيضًا بعد أن تحدث عن أحكام المد: (وقد بقي الآن أنْ نبين ما يستكره في المد وننبه عليه ليتجنب، ونمثله في مواضع قريبة ليستدل بالأقل على الأكثر

(١) التبصرة:٦٦.
(٢) التحديد : ٩٧.
(٣) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٦٢.
(٤) مرشد القارئ : ٥٠.
(٥) الموضح في التجويد: ١٣٨-١٣٩.
(٦) المصدر نفسه : ٢١٢.

فنقول: ينبغي أن يكون الصوت في حال المد سليما من ترعيد وتمطيط خالصًا من اضطراب وتهزيز، صافيا في إجراء النفس معه وتكدير رونقه به)[١].

تتميز حروف المد بقابليتها على الامتداد عند استيفائها من المد الذي ينقل من الحركة إلى الحرف[٢]، وتباينت مقادير المد بين علماء التجويد، فقد أشار الداني إلى مقادير المد عند حديثه عن المد المتكلف، إذ قال: (وحقيقة النطق بذلك ان تمد الاحرف الثلاثة ضعفي مدهن في الضرب الأول، والقراء يقدرون ذلك مقدار ألفين إنْ كان حرف المد (ألف)، ومقدار ياءين أن كان حرف المد (ياء)، ومقدار واوين إنْ كان حرف المد (واو)) [٣]، ويلاحظ من النص أنَّ الداني يحذر من تجاوز حدود المد لحروف اللين، وذلك لأنَّ مقدار المد في حرف اللين، ضعف ما فيه من المد الطبيعي[٤].أما القرطبي، فقال: (وسواء كان المد موجودا في كلمة واحدة كـ ﴿السَّمَاءِ﴾ (البقرة:١٩)... أو مركبًا من كلمتين كقوله تعالى ﴿مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٧٨)... مدغمًا أو مظهرًا فكله في وجوب المد فيه على حد سواء، وإنما يختلف في الطول والقصر باختلاف اللغات ويزيد وينقص بحسب طرق القراءات)[٥]، وقال أيضًا: (إن المد يقصر في حروف المد واللين، إذا كان بعدها ساكن يوقف عليه في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:٤)...، وما أشبه ذلك– عن المد في ﴿الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة:٧)، وإنْ كان المراد به الفصل بين الساكنين)[٦]. ويلاحظ من النصوص السابقة أن علماء التجويد ينحون منحى عامًا في تحديد مراتب الممدود، والتي تختلف باختلاف اسلوب القراءة، فان القراءة بالتحقيق تحتاج إلى وقت اطول من القراءة بالحدر[٧].

أما علماء اللغة فقد فرق ابن عصفور بين الواو والياء من جهة والألف من جهة اخرى، وذلك عن طريق تيار الهواء المنتج لهذه الأصوات، بقوله: (فالواو والياء اتسع مخرجها لهواء الصوت فجرى الصوت بعض الجري، وأما الألف فاتساع مخرجها أشد من اتساع مخرج الواو والياء، وذلك لأنك تضم الشفتين في الواو وترفع لسانك قبل الحنك في الياء، أما الألف فليس لها شيء من ذلك، فهذه الأحرف الثلاثة لها أصوات في غير موضعها من الفم فأشبهن الرخوة، ولكن ليس للصوت جري في مواضعها، وأشبهن

(١) الموضح في التجويد :١٣٤.
(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٥١.
(٣) التحديد : ٩٧.
(٤) ينظر : الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني(بحث) : ١٦٣.
(٥) الموضح في التجويد : ١٣٥.
(٦) المصدر نفسه : ١٣١.
(٧) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٥٣، ٤٥٥.

الشديدة للزومها مواضعها)[١] وذكر أبو حيان هذه الظاهرة، بقوله: (واللينة: الالف والواو المضموم ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها يجمعها "واى"، وأمكنهن عند الجمهور في المد الالف...)[٢].

وهناك ثمة خلاف بين المحدثين والقدامى حول ظاهرة حروف المد، فالمحدثون فرقوا بين حروف المد (الحركات الطويلة) وحرفي اللين (الواو والياء) بوصفهما نصفي حركة، وأنكروا أن تسبق حروف المد بحركات من جنسها وهذا يخالف ما ذهب اليه القدامى، قال د. إبراهيم انيس: (ولكن القدامى ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلا: إن هناك فتحة على التاء في كتاب، وكسرة تحت الراء في كريم، وضمة فوق القاف في يقول، والحقيقة أنَّ هذه الحركات في الحقيقة لا وجود لها في تلك المواضع... ويظهر كتاب اللغة العربية في صورتها المألوفة من وضع الفتحة على التاء والكسرة تحت الراء والضمة فوق القاف قد جعل القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في هذه المواضع)[٣]، فما ذهب إليه إبراهيم أنيس ليس فيه شيء من الدقة، بأن الكتابة سبب في هذا الوهم لأنَّ الكتابة العربية وصفت الظاهرة بحسب ما اعتقد علماء اللغة، إذن اللغة ليست سببًا، وانما الاعتقاد لديهم هو ما جعلهم يضعون الرمز الكتابي[٤].

ومن أوجه الخلاف بينهم سكون حرف المد، وإنها حركات والحركة لا تسكن، وأشار كمال بشر إلى ذلك قائلًا: (إنَّ علماء العربية جروا على التوسع في مفهوم الكلمة ساكن أو ما بأطلاق– خطأ– على حروف المد الاف والواو والياء أو ما يسمى الحركات الطويلة وهذا– كما ترى– اطلاق مضلل... لا يصح بحال اطلاق اسم الساكن عليها في أي موقف كانت)[٥]، وعموما فإنَّ هذه الظاهرة لم تلق عناية كبيرة من قبل دارسي الأصوات العربية المحدثين، ومن ثم لم تمتحن بوسائل الدرس الصوتي الحديث، إلا ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس آنفًا، وهو تعليل مبني على الملاحظة الذاتية[٦].

(١) الممتع في التصريف : ٢/٦٧٣–٦٧٤ ، وينظر ، الحركات وحروف المد بين القدماء والمحدثين(مجلة): ١٩٢

(٢) الارتشاف : ١/١٨.

(٣) الأصوات اللغوية : ٤٠.

(٤) ينظر : الحركات وحروف المد واللين بين القدماء والمحدثين (مجلة): ٢١٢.

(٥) دراسات في علم اللغة (كمال بشر) : ٥٥.

(٦) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٤٦.

الإشباع والاختلاس:

تعنى ظاهرتا الإشباع والاختلاس في الحركات، فقد حرص أهل اللغة على إيرادها من دون إفراط أو تفريط وإعطاء كل ذي حق حقه، وكذلك الأمر لعلماء التجويد الذين استذوقوا الحرف وأعطوه حقه في المخارج ومستحقه من الصفات، فقد تناولوا هذه الظاهرة بوصفها ظاهرة صوتية تؤخذ بالسماع والمشافهة، فلم يفرد لها دراسة مستقلة. وإنما وردت في بطون مصادر كتب اللغة ومراجعها، وكتب القراءات وتوجيهاتها. فالاختلاس أن لا نشبع الحركة وانما نأتي بجزء منها، أي لا تكون الحركة كاملة نطقا ، وعكسه الإشباع أنْ تكون الحركة طويلة، ويكون نطقها من دون إسراف وعن أصلها، قال سيبويه :(فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واو وياء وهذا تحكمه لك المشافهة .وذلك قولك :يضربها، ومن مأمنك وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسًا، وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك، يسرعون اللفظ.... ولا يكون هذا في النصب، لأن الفتح أخف عليهم)[١].

فقد شاع الإشباع في القوافي التي يراد به حركة قبل حرف الروي، قال ابن سيده: (والإشباع في القوافي: حركة الدخيل وهو الحرف الذي بعد التأسيس، ككسرة الصاد من قوله: كليني لهم يا أميمة ناصب)[٢]، أما في التراث اللغوي فورد الإشباع في الحركات الثلاث: الفتحة التي تنحى نحو الألف، والكسرة نحو الياء، والضمة نحو الواو[٣]، فعرّفه ابن الطحان قائلًا: (إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك، ويستعمل أيضا عبارة عن أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات)[٤] ، فالامتداد في طول الصوت في الحركات الثلاث راجع إلى أنها من مخرج واحد، فإنَّ الفتحة من مخرج الألف ،والكسرة من مخرج الياء، والضمة من مخرج الواو[٥]، قال سيبويه: (الفتحة من الالف ،وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء)[٦]، وقال القرطبي: (الكسر ليس من الشفه ، وإنما هو من مخرج الياء، ومخرج

(١) الكتاب :٢٠٢/٤ ، وينظر : الاختلاس عند علماء القراءات واللغويين (مجلة):١٣-١٤.
(٢) تاج العروس :٨/ ٢٢٠.
(٣) ينظر : سر صناعة الاعراب :١٧/١.
(٤) مرشد القارئ : ٦٥.
(٥) ينظر : المدخل إلى علم اللغة :٩٦، ودراسة الصوت اللغوي : ٣٢٩.
(٦) الكتاب : ١٤٢/٤.

الياء من شجر الفم)[١] فقد خصتا الحركات بالصوائت القصيرة وحروف المد بالصوائت الطويلة لانَّ خروجها لا يعتريه اعتراض أو احتكاك في أي مدرج من مدارج الحلق أو الفم[٢].

وقد حرص علماء التجويد على اشباع الحركات لئلا يقع القارئ في الإدغام أو الخفاء نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:٣) وذلك لأنَّ تكرار الحرف ثقيل في اللفظ لما فيه من الشبه بمشي المقيد الذي يرفع رجليه ويردهما إلى موضعهما[٣].

أما ظاهرة الاختلاس فأنها لا تعني انعدام الحركة، وإنما خفوتها يشبه الروم إلا أنَّ الروم يكون في الوقف، أما الاختلاس في درج الكلام وفي الوقف[٤]، وقد وصف ابن جني الاختلاس بالحركة الضعيفة، ويعد وصفا دقيقا ، في أنها: (كغيرها من سائر المتحركات في ميزان العروض الذي هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرك)[٥] ،وأطلق عليها الاخفاء أيضًا[٦].

إذن- فإنَّ الاختلاس أعم دلالة من الروم، فكلاهما يشير إلى تقصير يلحق الحركات، إلا أن الاختلاس غير محدد بمقدار واضح[٧]، فإنَّ الفرق بين الاختلاس والروم بأن الأول يقرب الحركة من السكون وذلك بتضعيفها، أما الثاني فإنه يخاف السكون نحو بعض الحركة، فالاشتراك بينهما أن كليهما واقف ببعض الحركة سواء واقفا بالروم او مسرعا بالاختلاس[٨]

وقد عنى علماء التجويد بظاهرة الاختلاس، وعرّفوها بأنها الاسراع بالحركة حتى يظن السامع أنَّ المسموع سكون لا حركة. وهذا إنما تحكمه المشافهة[٩]، وعبّر عن ذلك الداني بقوله: (وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به اسراعًا يظن السامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن ،تامة في الحقيقة، إلا أنها لم تمطط ولا ترسل بها، فخفي اشباعها ولم

(١) الموضح في التجويد: ٢٠٩.
(٢) ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٣٣٠.
(٣) ينظر :اللباب في البناء والأعراب:٣٩٠/٢، وشرح المفصل :٥١٣/٥، والممتع في التصريف :٤٠٣/١.
(٤) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ): ٢٣٣.
(٥) سر صناعة الإعراب : ٥٦/١.
(٦) ينظر: المصدر نفسه :٥٦/١.
(٧) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٣١.
(٨) ينظر : الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري : ٢٦٣.
(٩) ينظر: الانباء في تجويد القرآن(مجلة):٢٢٢.

يتبين تحقيقها)[١]. أما القرطبي فقد فصل الحديث عنها في الباب الثالث (في الكلام على الحركات والسكون)، قائلًا: (فإذا سمعت حضّ أئمة القراءة وأصحاب الأداء على اختلاس الحركة في موضع ما فإنما ذلك لان الحركة تظهر على ذلك الحرف، وفي ذلك المكان، وينطاع بها اللسان أكثر من انطياعه بها على حرف آخر)[٢]، وذهب ابن الطحان إلى أن الاختلاس:(عبارة عن الاسراع بالحركة، اسراعًا يحكم السامع له أنَّ الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن)[٣]، وأن سبب الاختلاس هو حذر الوقوع في إشباع غير لازم[٤].

ذكر القرطبي ذلك بقوله: (ويفرق بين المشبع والمختلس في اللفظ ككسرة ما قبل الياء في﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ (المائدة:٢٨)..... فإنَّ هذه الكسرات تشبع ما دامت الياء ساكنة، فإذا تحركت بالفتح عادت الحركة التي قبلها إلى الاختلاس، لأنك لو اشبعت كسرة ما قبلها مع الفتح فيها صارت في تقدير ياءين، وذلك مستكره)[٥]، وهنا لا يراد بالاختلاس انقاص الحركة حقها من المد ، وإنما اعطاؤها حقها مع التحفظ من الاشباع والزيادة في المد[٦].

لقد وجه علماء التجويد القراء بأن يحسنوا الاشباع والاختلاس مع مراعاة مخارج الحروف المؤثرة في بروز الحرف من عدمه كقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (المائدة:١٨) وذلك بإشباع الضم في الراء لا اختلاسها، فتحول من مقطع صوتي قصير إلى طويل بحكم الإشباع قال القرطبي: (ما أشبه ذلك من المواضع التي تكون حروف الحلق فيها متحركة أو ساكنة ينبغيان تسكنها إذا أسكنتها بتؤدة، وتخرج حركتها وافية مطفقة لأنَّ هذه الحروف لا ينطاع اللفظ بها إلا بنوع معالجة، فالحركات والسكنات متعذرة فيها ضرورة تعذر النطق بها فندب إلى التعامل لإشباعها لذلك)[٧].

أما علماء اللغة، فقد استعمل ابن مالك المصطلح بشكل عابر في أثناء كلامه، فقال في باب كيفية التثنية وجمعي التصحيح: (ويختار الاختلاس بعد ساكن مطلقا وفاقا لأبي العباس، وقد تسكن أو تختلس

---

(١) التحديد : ٩٥.
(٢) الموضح في التجويد : ١٩٢.
(٣) الأنباء في تجويد القرآن : ٨٢٢.
(٤) ينظر : المصطلح الصوتي (الصيغ): ٢٣٤.
(٥) الموضح في التجويد : ١٩٧.
(٦) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٣٥.
(٧) الموضح في التجويد:٢٠٣، وينظر: مصطلحا الإشباع والاختلاس عند علماء العربية دراسة صوتية مقطعية(مجلة) :١٥٦٧.

الحركة بعد متحرك عند بني عقيل وبني كلاب اختيارًا وعند غيرهم اضطرارًا)[١]، وقال أبو حيان: (قاله أبو عمرو سيبويه عن العرب خلافاً للمبرد إذ الاختلاس عنده أجود من الإشباع، وتبعه ابن مالك، وقرأ ابن ذكوان (أرجئه) بكسر الهاء من غير إشباع بعد كسر مفصول بينها وبين الهاء بساكن، وظاهر كلام ابن مالك اقتباسه)[٢]. ويبدو واضحًا مما سبق أنَّ استعمال مصطلحي الإشباع والاختلاس عند علماء التجويد في الأندلس استعمالًا تطبيقيًا يختلف عن استعماله عند علماء اللغة في الأندلس.

وبيّن علماء الأصوات المعاصرون أنَّ الاختلاس هو عدم الإشباع في تصويت الحركة، فلا تشبع فتتحول إلى صائت طويل، وإنما يختلس اختلاسا كقوله تعالى ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ﴾ (النساء:٩٢)، فقد بين الدكتور رشيد العبيدي أهمية عدم اشباع كسرة الدال في (ديّه)، وإنما تلفظ كسرة سريعة خفيفة، حتى لا تصبح (دييه) وتقرأ (ديّه)، فهذا نوع من اللحن الخفي، فإنَّ اختلاس الكسرة يؤدي إلى قراءة سليمة[٣].

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٢٤/١.
(٢) الارتشاف : ٩١٩/٢.
(٣) ينظر : معجم الصوتيات :٢٢

- القرآن الكريم
- **الكتب المطبوعة:**

- أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، الدكتور غانم قدوري حمد ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١، ٢٠١١م.
- الإبدال، ابن السكيت (ت- ٢٤٤هـ) ، تحقيق : د. حسن محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م.
- أبو حيان النحوي، د. خديجة الحديثي، دار التضامن، بغداد ، ط١، ١٩٦٦م.
- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر ، أحمد بن محمد الغني الدمياطي(ت- ١١١٧هـ)، تعليق : علي الضباع ، دار الندوة ، بيروت- لبنان(د، ت).
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة. د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ٢٠٠٤م.
- الإدغام الكبير في القرآن ، أبو عمرو بن سعيد الداني(ت-٤٤٤هـ) ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت- ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط١، ١٩٩٨ م.
- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات، الداني، تحقيق : محمد مجقان الجزائري، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٩٩٩م.
- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات السبع. محمد علي الضباع ، دار الصحابة للتراث، طنطا-مصر، ٢٠٠٢م.
- أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا (ت- ٤٢٨هـ) . نشره : ولاديمبر اخوليدياني ، دار النشر متسنيارا، تفليس ، ١٩٦٦م.
- أسس علم اللغة، ماريو باي. ترجمة: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، ١٩٧٣م.
- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ، أحمد محمد قدور، دار الفكر ، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.
- أصوات العربية بين التحول والثبات. د. حسام سعيد النعيمي، بيت الحكمة(٤)، بغداد، ١٩٨٩م.
- أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ط ١، ١٩٦٣.
- الأصوات اللغوية. د. عاطف فضل محمد، دار الميسرة لنشر والتوزيع ، عمان ،ط١،٢٠١٣م.
- الأصوات اللغوية. د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان- الأردن ، ط١ ، ١٩٩٨م.

- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٥، ٢٠٠٧ م .
- الأصوات ووظائفها. محمد منصف القماطي ، نشر جامعة الفاتح، ليبيا، ط١، ١٩٨١م.
- الألسنة العربية، د. ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط٢،١٩٨١م.
- ألفية ابن مالك في النحو والصرف المسماة الخلاصة في النحو. أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت-٦٧٢هـ)، تحقيق: سليمان بن عبد الله العيوني ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع –الرياض، ١٤٢٨هـ.
- البحث الصوتي عند العرب. د. خليل إبراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٣م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت-٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر-دمشق. ط ٢، ١٩٧٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس. أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت- ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت،١٩٩٨م.
- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب . د. محمد المختار ولد أباه ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ١٩٧١، ط١، ١٩٩٦م.
- التبصرة في القراءات ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت-٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٥م.
- التحديد في الإتقان والتجويد. الداني. تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر والتوزيع ط ٢، ٢٠١٠ م.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، أبو حيان الأندلسي(ت-٧٤٥هـ) ، تحقيق: حسن هنداوي، دار كنوز-اشبيليا- السعودية، ط١، ٢٠١٦م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك الطائي الجيلاني الأندلسي، تحقيق: محمد عبد القادر عطاو طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ، ٢٠٠١م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية . سلمان العاني .ترجمة الدكتور ياسر الملاح ، النادي الأدبي الثقافي – السعودية ، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨١م.
- التطور اللغوي وعلله وقوانينه. د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي- القاهرة، دار الرفاعي- الرياض، ط١، ١٩٨٣م.
- التطور النحوي للغة العربية. برجشتراسر. تعليق : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة ، ودار الرفاعي – الرياض، ١٩٨٢م.

- التعليقة على كتاب سيبويه ، أبو علي الفارسي (ت- ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، مطبعة الامانة ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م.
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٣م.
- التمهيد في علم التجويد. محمد بن محمد بن الجزري(ت- ٨٣٣هـ). تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠٠١م .
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري(ت-٣٧٠هـ). تحقيق: عبد السلام هارون ، دار القومية العربية، القاهرة ، ١٩٦٤م.
- التيسير في القراءات السبع . الداني . عني بتصحيحه : اوتوبر تزل، مطبعة الدولة، استانبول ، ١٩٣٠م.
- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت-٦٧١هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد وحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦ م.
- جهد المقل. محمد بن أبي بكر المعروف بساجقلي زادة (ت-١١٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور سالم قدوري الحمد، دار عمَّار، عمَّان، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع ، ط٢، ٢٠٠٧م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني. د. حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر- بغداد ، سلسلة دراسات (٢٣٤) ١٩٨٠.
- دراسات في علم اللغة. د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م.
- دراسات في فقه اللغة. د. صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م.
- دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الانتاج إلى الادراك ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- دراسة الصوت اللغوي. د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني – دراسة مقارنة في التشكيل الصوتي . إبراهيم خليل الرفوع ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٠ م.
- الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري . ميرفت يوسف كاظم ، دار صفاء للنشر، عمان، ط ١، ٢٠١٠م.
- دروس في علم أصوات العربية. جان كانتنيو، ترجمة : صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، ١٩٦٦ م.

- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها ، مكي بن ابي طالب القيسي، تحقيق: د. احمد حسن فرحات، دار المعارف للطباعة ، دمشق ، ١٩٧٣م.
- سبك المنظوم في المختوم. أبو حيان الأندلسي، تحقيق : عدنان محمد سلمان وفاخر جبر مطر ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث– دبي، ط١، ٢٠٠٤م.
- سر صناعة الإعراب. أبو الفتح عثمان بن جني (ت– ٣٩٢هـ)، تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- شرح آبن عقيل على ألفية ابن مالك. بهاء الدين عبد الله بن عقيل(ت– ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث للنشر والتوزيع ،القاهرة –مصر، ط٢، ١٩٨٠م.
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك ، علي بن محمد الاشموني (ت ٩٢٩هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١، ١٩٥٥م.
- شرح الكافية الشافية. ابن مالك، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، السعودية ، ط١، ١٩٨٢م.
- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي(ت–٦٤٣هـ).دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان(د، ت).
- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة. ابن قاسم المرادي(ت– ٧٤٩هـ)، تحقيق: د.عبد الهادي الفضلي، دار القلم ، بيروت – لبنان ، (د،ت).
- شرح جمل الزجاجي ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الاشبيلي (ت–٦٦٩هـ)، تحقيق: د.أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٩٨م .
- علم الأصوات. د. كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا. عصام نور الدين ، دار الفكر اللبناني، ط١، بيروت– لبنان ، ١٩٩٢م .
- علم اللغة . د. حاتم صالح الضامن ، طبع بمطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. د. محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ت).
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت– ١٧٥ هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة في العراق ١٩٨٠ – ١٩٨٥م.
- غاية النهاية في طبقات القراء. ابن الجزري(ت– ٨٣٣هـ)، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٣٣م .
- فصول في فقه العربية. د. رمضان عبد التواب، ط٦، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

- فقه اللغة ، عبد الحسين المبارك ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م.
- في التطور اللغوي. عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط١، ١٩٧٥م.
- في اللهجات العربية. د. إبراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.
- في علم اللغة العام. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٣، ١٩٨٠م.
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ، مطبعة البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ط٢، ١٩٥٢م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٦م.
- قواعد التجويد والالقاء الصوتي. الشيخ جلال الحنفي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٧م.
- الكتاب. سيبويه (ت–١٨٠هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٩٨٢م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: د. محي الدين رمضان ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، ١٩٧٤م.
- الكلام انتاجه وتحليله. د.عبد الرحمن ايوب، دار ذات السلاسل للنشر، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- اللسان، ابن منظور (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- لطائف الاشارات لفنون القراءات. شهاب الدين القسطلاني(ت٩٢٩هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري. تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر–دمشق،ط١٩٩٥،١م.
- اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م.
- لغويات. د. عبده عبد العزيز قلقيلة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٧٧م .
- اللهجات العربية في التراث. د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، ١٩٧٨م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية. د.عبدة الراجحي، مكتبة المعارف، الرياض ، ط١، ١٩٩٩م.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة في العراق، بغداد ، ١٩٧٨م.
- مثل المقرب. ابن عصفور، تحقيق صلاح سعد محمد المليطي ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- محاضرات في اللغة. د. عبد الرحمن أيوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٩٦م.
- مخارج الحروف وصفاتها. ابن الطحان، تحقيق: د. محمد يعقوب تركستاني،ط١، ١٩٨٤م.

- المدارس النحوية ، شوقي ضيف ، دار المعارف، مصر، ط٧ ،١٩٦٨م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية. د. غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٢م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م .
- المدرسة النحوية في مصر و الشام في القرنين السابع و الثامن من الهجرة ، د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق–بيروت ، ط١، ١٩٨٠م
- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ. ابن الطحان ، تحقيق: د. حاتم الضامن مكتبة الصحابة–الإمارات، مكتبة التابعين–القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت–٩١١هـ)، شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، وآخرون، المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ، د– ط ، ٢٠٠٤م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية . د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م .
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر. عبد القادر مرعي ، جامعة مؤتة ، عمان ، ط١، ١٩٩٣م.
- معجم الصوتيات . د. رشيد العبيدي، مركز الصوت والدراسات، ديوان الوقف السني ،العراق، ط١، ٢٠٠٧م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٧٩م.
- مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ، د. محمد يحيى سالم الجبوري ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت– ٧٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى–السعودية ، ط١، ١٤٢٨هـ.
- المقرب، ابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، ط١، ١٩٧٢م.
- الممتع في التصريف ، ابن عصفور، تحقيق: فخر الدين قباوة ، مكتبة دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٧م.
- من أسرار العربية ، د. إبراهيم انيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣، ١٩٦٦م.
- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة،ط٢ ، ١٩٨٥ م .

- المنصف. ابن جني، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٥٤م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه. نوزاد أحمد حسن، منشورات جامعة قابوس، ليبيا، ط١، ١٩٩٦م.
- منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء ، الدكتور حيدر فخري ميران ، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق- بابل، ط١ ، ٢٠٢٠م .
- الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تحقيق: د.غانم قدوري حمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢ ،٢٠٠١م.
- النشر في القراءات العشر. ابن الجزري. تحقيق: علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢، ٢٠٠٢م.
- النكت الحسان في شرح غاية الإحسان ،أبو حيان الأندلسي. تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. السيوطي، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرّم ، دار البحوث العلمية، الكويت ، ١٩٨٠م.
- الوجيز في فقه اللغة ، عبد القادر محمد مايو ، منشورات دار القلم العربي،حلب-سوريا،ط١، ١٩٩٨م.

المجلات والدوريات:

- الاختلاس عند علماء القراءات واللغويين (دراسة لغوية) ، الدكتور تقي الدين مصطفى التميمي ، جامعة فلسطين التقنية ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مج: ١ ، ع: ٤٨، لسنة ٢٠١٩.
- أصوات العربية والقرآن الكريم منهج دراستها وتعليمها عند مكي ، مجلة كلية اللغة العربية ،جامعة الإمام محمد بن سعود ، ع:١٠، لسنة ١٤٠٠هـ.
- الانباء في تجويد القرآن. ابن الطحان (ت-٥٦١هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، كلية مجلة الأحمدية عن دار البحوث الإسلامية- دبي، ع:٤، جمادى الأولى، ١٤٢٠هـ.
- التجديد في الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي ، جامعة منتوري قسنطينة ،كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها ،مجلة علمية متخصصة ومحكمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها، ع: ٥، لسنة ٢٠٠٠م .
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد. د.كمال بشر ، دار الثقافة العربية ، مطبعة دار الهاني ،١٩٩٠ م .
- الحركات وحروف المد واللين بين القدماء والمحدثين ، الدكتور سعيد شواهنة ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، ع:١٦. لسنة ٢٠٠٩ م.
- الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف. أبو المعالي بن أبي الفرج فخر الدين الموصلي(ت-٦٢١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مجلة الحكمة، السعودية، ع:٢٥، لسنة ٢٠٠٢م.
- ظاهرة الانسجام الصوتي في العربية الإمالة والاتباع الحركي نموذجا. د. عماد حميد أحمد، و د.ميمونة عوني سليم ، مجلة جامعة سامراء، مج: ١٠، ع: ٣٨، ٢٠١٤م.
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، المستشرق الألماني ، أ. شاده ، صحيفة الجامعة المصرية ، س٢، ع ٥، و ٦، ١٩٣١م.
- مخارج الحروف وصفاتها الصائتة عند الدكتور غانم قدوري الحمد في ضوء الدراسات القديمة والحديثة، الدكتور حيدر فخري ميران و علي جواد كاظم ، كلية التربية ، جامعة بابل ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية ، مجلد ٢ ، ع: ١، حزيران ٢٠١٢ .
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية وعلماء التجويد ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، الدكتورة آمنه سعاد بو عناني ، جامعة وهران ،احمد بن بلة ، الجزائر ، قسم الآداب واللغات ، العدد ٢٠، جوان ٢٠١٨م.

- مصطلحا الاشباع والاختلاس عند علماء العربية دراسة صوتية مقطعية ، الدكتور حيدر فخري ميران، الدكتورة منى يوسف حسين ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، العدد ٤٣، نيسان ٢٠١٩م.
- منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفية، مجلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة،ع: ١١، ١٤٣٧هـ، الدكتور سلطان بن عواض العوفي، كلية اللغة العربية، الجامعة الاسلامية .
- النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ،الطيب البكوش ، حوليات الجامعة التونسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ع١١، ١٩٧٤م.

الرسائل الجامعية والمخطوطات:

- آراء ابن عصفور الأشبيلي في كتابيه المقرب وشرح الجمل . بلخير شنين. رسالة ماجستير من كلية الآداب والعلوم الانسانية– جامعة قاصدي مرباح– ورقلة ، سنة ٢٠٠٨م.
- ابن الطحان وجهوده في الدارسات الصوتية ،رسالة ماجستير ، إعداد الطالبة سوسن غانم قدوري الحمد ، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت ،سنة ٢٠٠٢م.
- ابن مالك. غنيم غانم عبد الكريم الينبعاوي ، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية المملكة العربية (السعودية)، جامعة الملك عبد العزيز سنة١٩٧٩م.
- أثر مخرج الحرف وصفته في تصريف الكلمة . محمد بدر علي خيرات دغريري، أطروحة دكتوراه، من جامعة أم القرى (السعودية)، كلية اللغة العربية، سنة١٩٩٨م.
- الادلة النحوية الاجمالية في شرح ابن عصفور الكبير على جمل الزجاجي . حسن بن محمد حسن مفرق. رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية ، قسم اللغة والنحو والصرف– جامعة أم القرى، سنة ٢٠٠٨م.
- الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة ، حيدر غضبان محسن الجبوري، رسالة ماجستير من كلية التربية– جامعة بابل سنة ٢٠٠٣م.
- ألفية ابن مالك تحليلا ونقدا ، عبد الله علي محمد الهنادوه. رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية/ جامعة أم القرى (السعودية) ، لسنة ١٩٨٩م.
- تحفة المودود في المقصور والممدود. ابن مالك الطائي (ت– ٦٧٢هـ)، (مخطوطة) مصورة على المايكروفيلم عن نسخة مكتبة الأوقاف بغداد، رقم ٦٠٩٧.
- التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر. علاء الدين أحمد محمد الغرايبة، أطروحة دكتوراه من كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٣م.
- التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات القرآنية في تفسير " الجامع لأحكام القرآن الكريم " للقرطبي من سورة الفاتحة إلى آواخر سورة المائدة : دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث . عمر عقلة خليف الدعجة، أطروحة دكتوراه من كلية الآداب /جامعة اليرموك(الأردن) سنة ٢٠١٦م.
- الجهود الصوتية عند أبي حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط انموذجًا. رحمة كزولي . اطروحة دكتوراه من كلية الاداب للبنات/ جامعة أبي بكر بلقايد ، ٢٠١٨ م.
- الجهود الصوتية للإمام مكي بن ابي طالب القيسي .عباس السر محمد علي، اطروحة دكتوراه من كلية اللغة العربية، جامعة ام درمان الإسلامية سنة ٢٠٠٥م .
- الخلاف الصوتي عند علماء التجويد. إبراهيم زماوي نعمة. أطروحة دكتوراه من كلية التربية/ جامعة بابل سنة ٢٠٢٠م.

- دراسة مقارنة بين كتاب أبي عمرو الداني " التحديد في الإتقان والتجويد " وكتابي ابن سينا " أسباب حدوث الحروف " و"القانون في الطب " ، إعداد الطالبتين : روميسة بو عزيز و وسام جدي ، رسالة ماجستير من كلية الآداب واللغات/جامعة العربي بن مهيدي ،سنة ٢٠١٧م.
- الدرس الصوتي عند ابن عصفور. سعيد محمد إسماعيل علي. رسالة ماجستير من كلية الدراسات العليا/ جامعة النجاح الوطنية (فلسطين) سنة ٢٠٠٢م.
- الدرس الصوتي عند ابي عمرو الداني دراسة وصفية تحليلية . إبراهيم خليل الرفوع، رسالة ماجستير من عمادة الدراسات العليا/ جامعة مؤتة سنة ٢٠٠٤م.
- الدرس الصوتي عند المرعشي (ت – ١١٥٠هـ) في كتابه جهد المقل .منى يوسف حسين ، رسالة ماجستير من كلية التربية/ الجامعة المستنصرية سنة ٢٠٠٠م.
- الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري. بو عناني سعاد آمنة. اطروحة دكتوراه من كلية الآداب واللغات والفنون/ جامعة وهران سنة ٢٠١١ م.
- الدرس الصوتي عند مكي طالب القيسي. بكر محمد أبو معيلي، رسالة ماجستير من عمادة الدراسات العليا / جامعة مؤتة سنة ٢٠٠٣م.
- الدرس الصوتي في شافية ابن الحاجب (ت– ٦٤٦هـ) وشرحه للاستراباذي (ت– ٦٨٦هـ). هيام سليم عبد اللطيف ناصيف. رسالة ماجستير من كلية الدراسات العليا/ جامعة النجاح الوطنية سنة٢٠٠٣م.
- شرح التسهيل لابن مالك جانب الموصولات أنموذجا. معمري هوارية، رسالة ماجستير من معهد الآداب واللغات/ المركز الجامعي بلحاج بو شعيب، سنة ٢٠١٧م.
- مصطلحات الأداء الصوتي في كتب القراءات القرآنية وكتب التجويد، سكينة يوسف الرواشدة رسالة ماجستير من كلية الآداب /جامعة مؤتة ٢٠٠٧ م.
- المصطلحات النحوية عند ابن مالك من خلال كتابه شرح التسهيل من باب شرح الكلمة والكلام الى باب أفعال المقاربة – دراسة تحليلية نقدية. توري ماحي. رسالة ماجستير من كلية اللغات/ جامعة المدينة العالمية سنة ٢٠١٤م.
- منهج ابن عصفور الاشبيلي في النحو والتصريف . د. جميل عبد الله عويضة ، اطروحة دكتوراه من جامعة القديس يوسف، بيروت ، ١٩٨٨م.
- منهج أبي حيان النحوي الأندلسي في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب. مزيد إسماعيل نعيم. أطروحة دكتوراه من جامعة كلية دار العلوم /القاهرة سنة ١٩٧٨م.
- منهج الدرس الصوتي عند العرب. علي خليف حسين. أطروحة من كلية الآداب /جامعة بغداد ، سنة ٢٠٠٢م .

النتـــــــــــــــــــــائج

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- عنى البحث بدراسة الصوت اللغوي في الأندلس مع موازنة بين آراء علماء التجويد وعلماء اللغة من حيث خصائص الصوت مفردًا وتركيبًا.

٢- أوضح البحث أنَّ كثرة الكتب المؤلفة من علمائنا القدامى وتنوع موضوعاتها وطريقة التأليف فيها، لها أثرها الكبير في الدراسة الصوتية العربية، لا سيما علماء التجويد الذين أفاضوا الحديث عنها، وأفردوا كتبًا وبحوثًا مستقلة لهذا الغرض.

٣- كان لعلماء العربية الأثر الكبير في علماء التجويد، وقد استخلص علماء التجويد المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين، فجاء الدرس الصوتي في بدايته مختلطًا بالدراسات اللغوية والنحوية، إلا أَنه تمتع باستقلالية أكثر لدى علماء التجويد. وهم لم يكونوا ناقلين لكلام ممن سبقهم من علماء العربية فحسب، بل كانت لهم زيادات متميزة في موضوع المخارج والصفات والظواهر التركيبية حتى صار علماء اللغة الذين جاءوا بعدهم ينقلون وجهات نظرهم.

٤- أكد البحث أنَّ آراء علماء التجويد وعلماء اللغة كان مرجعه الخليل وسيبويه ، وكانت المسائل الخلافية في ما بينهم فرعية في الأعم الأغلب .

٥- سعى البحث إلى بيان جهد علماء التجويد في المحافظة على لغة القرآن الكريم من الانحرافات النطقية، عن طريق المحافظة على الأصوات العربية الفصيحة عن طريق اجتناب اللحن الخفي. مع التأكيد على اعطاء الحرف حقه ومستحقه. ويقصد به الخلل الذي يطرأ على الأصوات جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج والصفات أو ما يطرأ عليها من الأحكام عند تركيبها في الكلام، الذي يعد اساس دراسة علماء التجويد .أما علماء اللغة فركزوا اهتمامهم باللحن الجلي وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وهو عمل النحويين.

٦- إنَّ معالجة اللحن الخفي في قراءة القرآن وتقويم خلله كان السبب وراء الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ودراسة أصوات اللغة وتحديد صور نطقها الصحيحة، برصدهم الانحرافات المتوقعة في نطقها ، وبذلك كانت نظرتهم إلى أصوات اللغة نظرة شاملة، أما علماء العربية فكانوا منشغلين بدراسة الاصوات لمعالجة بعض القضايا الصرفية .

٧- إنَّ منهج علماء التجويد في الأندلس -كما أظهر البحث- منهج متطور قياسًا إلى منهج علماء اللغة في دراسة الأصوات، لأنه منهج شامل لكل جوانب الدرس الصوتي من معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومعرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

٨- لقد تناول كل من علماء التجويد وعلماء اللغة المصطلح الصوتي. لكنهم اختلفوا في طبيعته، فنجد كل فريق يعتمد أسسًا مرة متقاربة وأخرى متباعدة في استعمال المصطلح.

٩- كشف البحث اهتمام علماء الأندلس بالصوت المنفرد، وأدركوا الغاية من اختلاف الصفات والمخارج في الحروف. فضلاً عن اهتمامهم بالنظام الفونولوجي الذي كان أساس دراستهم والقائم على التجاور الصوتي بين التأثر والتأثير.

١٠- بين البحث جهود علماء التجويد في الأندلس في تناولهم أعضاء النطق ووصفها وصفًا دقيقًا مستعينين بما توافر لديهم من معلومات بعلم التشريح. فالدراسة عندهم ليست أداة لدراسة صرفية أو معجمية كما هو الحال عند علماء اللغة بل لغاية صوتية خالصة .

١١- تناول علماء التجويد مصطلح الترقيق مقابل مصطلح التفخيم، الذي لم يرد عند سيبويه ومن تبعه من علماء اللغة، فضلا عن توظيفهم لمصطلحات(الإدغام التام) و(الإدغام الناقص) و(الإدغام الصغير) و(الإدغام الكبير) الذي لم يرد عند علماء اللغة.

١٢- كان لسيبويه ومن تبعه من علماء اللغة الاثر الكبير في ذكر اعضاء النطق، على الرغم من إغفالهم لبعض أجزائه بسبب عدم معرفتهم الواسعة بعلم التشريح. اما علماء التجويد فإنهم امتازوا بمعرفة أعضاء آلة النطق ووظيفة كل عضو في إنتاج الاصوات، ووصفهم لبعض أعضاء النطق وصفاً دقيقاً مستعينين بما لديهم من معرفة بعلم التشريح وإن لم تصل تلك المعرفة إلى حد إدراك وظيفة الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات.

١٣- لقد اعتنى علماء التجويد بظاهرة المد عناية كبيرة ، فقد وضحوا وعللوا وقسموا وبالغوا في التقسيم ، ومنهم مكي القيسي حين تحدث عن حروف المد . كما أشاروا الى قضية قلّ من تعرض لها، وهي مراعاة أحكام المد ليس لازمة في كل أشكال النطق العربي، بل أنها تلزم في قراءة القرآن فحسب ، أي أن المد ثابت في كلام العرب غير أن قراءة القرآن لا بد من توفر كل مظاهر العناية والاتقان فيها لتوفية الحروف حقوقها من الأحكام الخاصة بها .

١٤- أن الفارق بين حروف المدّ والحركات قائم على كمية الصوت وزمنه الذي يستغرقه ، إذن لا فارق بينهما إلا في الكمية والزمن وهذا ما ذهب أليه رمضان عبد التواب .

١٥- خصص علماء التجويد مخرجًا مستقلًا لحروف المد (الألف والواو والياء)، فقد كانوا مدركين ما تتصف به الأصوات المدية من اتساع مخارجها وحرية مرور الهواء أثناء النطق بها وعمل أكثرهم على إخراج الألف من حروف الحلق ومنهم مكي القيسي، وذهب جمهور منهم إلى الفتحة من الألف، والكسرة من الياء والضمة من الواو. اما علماء اللغة فان بعضهم قد خلط بين حروف المد وحرفي اللين بوصفهما حرفين يدخلان في جذر الكلمة، أي جعلهما في حزمة صوتية واحدة.

١٦- عالج علماء التجويد في الأندلس الظواهر الصوتية الناشئة عن التركيب وما يلحق الأصوات من تغيير بسبب المجاورة، كالظواهر الصوتية التأثرية الخاصة بالأصوات الجامدة والأصوات الذائبة معالجة تطبيقية واسعة وعميقة، أكثر من علماء اللغة.

١٧- عالج علماء التجويد في الأندلس الإدغام بشكل أوسع وأكثر دقة قياسًا بعلماء اللغة إلى الحد الذي تميزوا فيه في استيعاب جميع صور الإدغام بحسب نوع التأثر. أما علماء اللغة فاقتصر حديثهم عن إدغام المتماثلين والمتقاربين، للتخلص من موضع الثقل الذي رافق النطق بالمثلين والمتقاربين.

١٨- إنَّ علماء الأندلس هم أول من بحث في موضوع القوة والضعف على نحو مفصل، ويعد مكي القيسي أقدم من تكلم عن هذا الموضوع وأفاض في الحديث عنه، فهو واضع نظريتها، وتبعه في ذلك الكثير ممن جاء بعده.

١٩- أوضح البحث الشوائب الصوتية التي تلحق ببعض الأصوات بسبب المجاورة كالجهر والهمس، الإطباق والانفتاح، والأنفية. ويدل ذلك على الحس المرهف والملاحظة الدقيقة التي كانوا يتمتعون بها علماء الأندلس.

٢٠- تأخر البحث الصوتي في علم التجويد قليلا عن البحث الصوتي عند علماء العربية من حيث الزمن، الا أنه تميز باستقلالية ودقة وعمق البحث الصوتي.

٢١- تبنى البحث مفهوم الأصوات الرئيس في سلوك التأليف بين علماء التجويد وعلماء اللغة، فقد وظف الأول الأصوات بغية تحقيق حسن أداء الصوت ، في حين وظفها الثاني في تحقيق أثرها في البناء الوظيفي. وهذا الأخير لم يكن غائبًا عند الأول لكنه كان وسيلة في تحقيق هدفه.

٢٢- بينت الدراسة جهود علماء الأندلس في البناء التركيبي من إبدال وإشمام وروم ، وهذه المفاهيم كانت تتوافق مع هدفهم في دقة نطق الحرف في القرآن وجمال سماعه بنسق صوتي تطرب له الآذان.

هذا والله الحمد من قبل ومن بعد

التمهيـــد

علماء التجويد بين التأثر والتأثير

المسألة الأولى: أثر علماء العربية في علماء التجويد

المسألة الثانية: أثر علماء التجويد في الدرس الصوتي

rawpixel

الفصل الأول

المنهج والمصطلح

بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

المبحث الأول: المنهج الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

المبحث الثاني: المصطلح الصوتي بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

rawpixel

الفصل الثاني

مخارج الأصوات

بين علماء التجويد وعلماء اللغة في الأندلس

الفصل الثالث

صفات الأصوات

بين علماء التجويد وعلماء اللغة في

الأندلس

المبحث الأول : الصفات المميزة

المبحث الثاني : الصفات المحسنة

rawpixel

الفصل الرابع

الظواهر الصوتية في التركيب الصوتي

١- الإدغام

٢- الإبدال

٣- الإمالة

٤- الروم والإشمام

٥- المدّ

٦- الاشباع والاختلاس

rawpixel

النتائج

المصادر والمراجع

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon - College of Arts
Department of Arabic Language
Postgraduate Studies

The Phonetic Lesson In Andalusia Between Intonation Scholars And Linguists *(A Balancing Study)*

A letter submitted by the student

Saba Fareed Berto

To the Council of the Faculty of Arts - University of Babylon

It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic Language Arts/Language

Supervised by

Prof. Dr

Mona Youssef Hussein Aljaafri

2021A.D 1442A.H

Abstract:

In this thesis, I dealt with the phonetic lesson of the most prominent Arabic scholars in Andalusia, such as Makki Al-Qaisi (437 AH), Abi Amr Al-Dani (444 AH), Abdul-Wahhab Al-Qurtubi (461 AH), Abdul Aziz bin Al-Tahan (561 AH), Ibn Malik (672 AH), and Ibn Asfour (669 AH).), and Abi Hayyan Al-Andalusi (745 AH), the study included an introduction, an epilogue, three chapters and a conclusion.

I dealt with two issues in the epilogue, the first one is : the impact of linguists on the scholars of intonation, and the second: the impact of the scholars of intonation on the phonetic lesson.

As for the first chapter, which I called (The Phonemic Method And Term Among The Scholars Of Intonation And Linguists In Andalusia), it included two sections, the first: the phonetic method between the scholars of intonation and linguists in Andalusia, and the second: the phonetic term between the scholars of intonation and linguists in Andalusia.

As for the second chapter, it was entitled (**Pronunciation of letters and their attributes among the scholars of intonation and language in Andalusia**), which included two topics: the first: the Pronunciation of sounds between scholars of intonation and linguists in Andalusia. The second: the characteristics of sounds among the scholars of intonation and linguists in Andalusia.

We devoted the third chapter to (Acoustic Phenomena in Synthesis), in which I dealt with five phenomena (Al-Dagham - Substitution - Amalgamation - Roman and smelling - Extension - Saturation and embezzlement) .

As for the approach that I followed, it is the descriptive and analytical approach in presenting and discussing opinions and striking a balance between the scholars of intonation and the linguists in Andalusia, with the addition of the opinions of the scholars of the modern phonetic lesson to show the extent to which the ancients came close to what was reached by modern linguistics.